من حكايات أجاثا كريستي

أفضل ترجمة لأحسن رواية

جريمة على ضفاف النيل

تأليف أجاثا كريستي

ترجمة علي الجوهري





من حكايات أجاثا كريستى

أفضل ترجمة لأحسن رواية

جريمة على ضفاف النيل

تأليف : أجاثا كريستى

ترجمة : على الجوهرى

مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير

٧٦ شارع محمد فريد - جامع الفتح - مصر الجديدة - القاهرة ت : ٦٣٧٩٨٦٣ - ٦٣٨٩٣٧٢ فاكس : ٦٣٨٠٤٨٣

IBN SINA BOOKSHOP *Printing - Publishing - Distributing - Exporting*

76 Mohamed Farid St., Heliopolis, Cairo Tel. : (202) 6379863 - 6389372 - Fax : (202) 6380483

اسم الكتـــاب : جريمة على ضفاف النيل
اســم المــؤلــف : أجاثا كريستى (ترجمة) على الجوهرى
اسم الناشـــر : مكتبة ابن سينا
تصميم الغلاف : إبراهيم محمد إبراهيم
رقــم الإيـــداع : ١٣٣٤٣ / ٢٠٠١
التـرقـيم الدولى : 977-271-535-X

تطلب جميع مطبوعاتنا بالمملكة العربية السعودية من وكيلنا الوحيد مكتبة الساعى للنشر والتوزيع
الرياض - هاتف : ٤٣٥٣٧٦٨ - ٤٣٥١٩٦٦ فاكس ٤٣٥٥٩٤٥ جدة هاتف : ٦٥٣٢٠٨٩ - ٦٥٢٤٠٩٥ فاكس : ٦٥٢٤١٨٩

طبع بمطابع ابن سينا القاهرة ت : ٣٢٠٩٧٢٨

Web site : www.ibnsina-eg.com E-mail : info@ibnsina-eg.com



شخصيات الرواية



١- لينيت ريدچواى : **Linet Ridgeway :**

شابة جميلة من أصحاب الملايين .

٢- السيد / برنابى : **Mr. Burnaby :**

صاحب محل التيجان الثلاثة فى بلدة مالتون أندر وود .

٣- سير چورج : **Sir George :**

مالك لأحد القصور ، وباعه إلى لينيت ريدچواى . كان مغرما بسباق الخيل .

٤- چوانا ساوثوود : **Joanna Southwood :**

صديقة لينيت ريدچواى ، وزميلتها فى الدراسة ، من أسرة عريقة ولكنها أصبحت فقيرة.

٥- لورد ويندلشام : **Lord Windlesham :**

شاب من الطبقة الأرستقراطية ، راجت شائعات ترشحه للزواج من لينيت ريدچواى .

٦- چاكلين دى بلفورت : **Jacklin de Bellefort**

فتاة حسناء ، كانت زميلة غنية من زميلات لينيت ريدچواى أثناء الدراسة ، ولكنها أصبحت فقيرة .

٧- هركيول بوارو : **Hercule Poirot**

مخبر سرى متقدم فى السِّن ، فائق فى ذكائه ، يستطيع فى العادة كشف غموض أعقد الجرائم والوصول إلى مرتكبيها بالغا ما بلغ حذقهم فى إخفاء معالم جريمتهم .

٨- سيمون دويل : **Simon Doyle**

شاب فقير يتمتع بقدر من الوسامة ، كان خطيبا لچاكلين ثم تزوج لينيت .

٩- تيم ألرتون : **Tim Alerton**

ابن خالة چوانا ساوثوود . كانا مشتركين فى علاقة عمل من نوع ما .

١٠- السيدة ألرتون : **Mrs Alerton**

أم تيم .

١١- أندرو بنجتون : **Andrew Pennington**

الوصى الأمريكى على تركة لينيت .

١٢- جيمس فانثورب : **James Fanthorp**

ابن أخ للمحامى البريطانى الذى يتولى قضايا لينيت (وليام كار مايكل) .

١٣- كورنيليا روبسون : **Cornelia Robson**

فتاة ترافق خالتها العانس العجوز فان شويلر .

١٤- الآنسة فان شويلر : **Miss van Schuyler**

خالة كورنيليا وهى مليونيرة عجوز وغير متزوجة .

١٥- روزالى أوتربورن : **Rosalie Otterbourne**

١٦- وأمها : السيدة أوتر بورن : **Mrs Otterbourne**

(مؤلفة روايات) .

١٧- فيرجسون : **Mr Ferguson**

شيوعى متطرف فى تفكيره .

١٨- لويز بورجيه : **Louise Bourger**

وصيفة لينيت .

١٩- الدكتور بسنر : **Dr. Bessner**

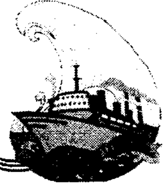
طبيب الباخرة .

٢٠- ريشتى : **Signor Richetti**

عالم آثار إيطالى .

٢١- الآنسة بويرز : **Miss Bowers**

ممرضة .



الفصل الأول

«إنها هي .. لينيت ريدچواي!» .

قال السيد برنابى صاحب محل التيجان السبعة لرفاقه الملتفين حوله : «إنها هى . لينيت ريدچواى شخصياً!» .

وحَمْلَقَ نحوها الرجلان اللذان كانا يقفان معه بعيون مشدوهة وأفواه مفتوحة ، بينما كانت سيارة من طراز رولز رويس حمراء اللون تقف أمام مكتب البريد المحلى .

وقفزت فتاة بدون قبعة من السيارة . وكانت الفتاة ترتدى ثوباً يبدو بسيطاً فى ظاهره ، ولكنه ثمين من حيث القماش الذى صُنِعَ منه ومن حيث طريقة تفصيله وحياكته . كانت الفتاة ذهبية الشعر ، تفصح قسمات وجهها عن ملامح تمتزج فيها الأرستقراطية (١) بالأتوقراطية (٢) . كانت جميلة الشكل ، كانت فتاة يندر أن يوجد مثلها فى قرية صغيرة مثل قرية «مالتون أندر وود» .

وبخطوات سريعة واثقة تنم عن عظيم السلطان دَخَلَتْ الفتاةُ مكتب البريد .

وقال السيد برنابى مكرراً عبارته : «إنها هى . لينيت ريدجواى شخصياً . إنها هى، صاحبة الملايين .. ستنفقُ آلاف الجنيهات على القصر . إنها ستنشئ فى القصر حمامات للسباحة ، وحدائق على النمط الإيطالى ، وصالة للحفلات ، وهى ستزيل نصف القصر لتعيد بناءه من جديد ..» .

قال صاحبه : «إنها ستجلب أموالا إلى بلدتنا الصغيرة» .

ووافقه السيد برنابى وهو يقول : «إن هذا لشىء عظيم بالنسبة إلى قرية مالتون أندر وود . إن هذا لشىء عظيم بالفعل . شىء سيوقظنا على ظروف أكثر ملاءمة لنا» .

---

(١) الأرستقراطية هى : طبقة الأثرياء أصحاب الثروات الكبيرة والنفوذ فى المجتمع .

(٢) الأتوقراطية هى : سيطرة فئة واحدة معينة فى المجتمع على السلطات فيه . (المترجم)

قال صاحبه : «سيكون الحال مختلفا بعض الشيء عما كانت عليه الأحوال أثناء ملكية سير چورچ للقصر» .

قال برنابى : «هذه هى نتيجة هَوَسه بسباق الخيل . لم يكن سير چورچ محظوظاً فى مسابقاته على الخيل أبدا» .

قال صاحبه : «وكم يبلغ ما حصل عليه من بيْع القصر؟» .

قال برنابى : «حصل على ستين ألفاً من الجنيهات الباردة فيما سمعت» . وتعالى صفير المستمعين . واستطرد برنابى قائلا : «ويقولون إنها قد رصدت ستين ألف جنيه أخرى لتنهى الإصلاحات» .

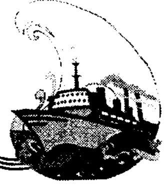
قال صاحبه : «هذا ظُلْم ! من أين حصلت هذه الفتاة على كل هذا المال؟»

قال برنابى : «من أمريكا كما سَمِعْتُ . كانت أمها ابنة وحيدة لأحد أصحاب الملايين. شيء كتلك الأشياء التى نشاهدها فى الأفلام ، أليس كذلك؟» .

وخرجت الفتاة من مكتب البريد ، وركبت السيارة . وتتبعها الواقفون حول برنابى بأنظارهم . وقال أحدهم : «يبدو لى أن هذا كثير عليها . مالٌ وجمالٌ . هذا كثير ! ولو كانت أى فتاة تمتلك كل هذا المال وهذا الجمال وهذه الصحة ، فكيف لا تبدو جميلة؟!...» .

وراح أحدهم يقلب صفحات إحدى الصحف ثم قرأ فيها ما يلى :

«من بين أولئك الذين شاهدتهم فى مطعم «عند عمتى» شاهَدْتُ الحسناء لينيت ريدچواى ، وكانت چوانا ساوثوود فى صحبتها ، ومعهما اللورد ويِنْدلشام والسيد/ توبى برايس . والآنسة ريدچواى كما يعرف الجميع هى ابنة ملْويسْن ريدچواى الذى كان متزوجًا من «آنا هارتز» ، وهى تَرِثُ عن جَدِّها ليوبولْد هارتز ثروة ضخمة . والآنسة لينيت الجميلة هى زهرة المجتمع فى الوقت الراهن ، وهناك شائعات عن أن خطوبة سيتم إعلانها فى المستقبل القريب . إن اللورد ويندلشام مَعْجَبٌ بها كل الإعجاب!» .



الفصل الثانى

وعندما وصلت لينيت ريدچواى إلى القصر ، جاءت صديقتها وزميلتها فى الدراسة چوانا ساوثوود لزيارتها ، فقالت لها : «ياعزيزتى ، أعتقد أن كل شىء فى هذا القصر يمضى على ما يرام وقد أوشكت الإصلاحات على الاكتمال ليكون قصرك هذا أعجوبة من أعاجيب الزمان!» .

ومن شرفة القصر ، كانت العيون تستطيع أن تستمتع بمنظر الريف المترامى الأطراف تكسوه خضرة الحقول والأشجار .

قالت لينيت : «لقد اكتمل تجهيز القصر بما يلزمه ياعزيزتى چوانا ، أليس كذلك ؟» .

واتكأت لينيت بمرفقيها على سياج الشرفة ، وقد ارتسمت على ملامح وجهها أمارات الحيوية والتطلع إلى مسرات الحياة ، بينما كانت چوانا ساوثوود تقف إلى جانبها ، ضئيلة الحجم ، طويلة القامة ، وعلى وجهها شىء من الكآبة والتجهم . ولم تكن چوانا قد طوت من العمر إلا سبعة وعشرين عاما . وكان وجهها فيه شىء من الاستطالة ، وتبدو فيه أمارات تدل على المهارة ، وفيه حاجبان لون الشعر فيهما أسود . وقالت چوانا : «لقد أمكن لك إنجاز الكثير من العمل فى وقت مناسب . هل ساعدك كثير من المهندسين؟» فقالت لينيت : «ثلاثة» . قالت چوانا : «ما كيفية التعامل مع أولئك المهندسين ؟ إننى لم أتعامل مع أى مهندس» .

قالت لينيت : «إن التعامل معهم قد تم على ما يرام . إننى قد وجدت أن أفكارهم غير عملية فى بعض الأحيان» .

قالت چوانا : «لقد تعاملت معهم بطريقة مناسبة بشأن أفكارهم غير العملية . إنك مخلوقة عملية من الطراز الأول» .

والتقطت چوانا عقداً من اللؤلؤ وهى تقول : «أعتقد أن هذه اللآلئ لآلئ حقيقية، أليس كذلك ؟» .

فقالت لينيت : «طبعاً . إنها لآلئ حقيقية» .

قالت چوانا : «عندما يكون العقد خاصاً بك فلا غرابة أن تكون اللآلئ طبيعية ،

ولو كان خاصاً بغيرك فلا غرابة أن تكون اللآلئ صناعية . إنه عقد مدهش ياعزيزتى، وهو يناسبك تماماً . إن اللآلئ الموجودة به تساوى مبلغا رهيبا من المال» .

قالت لينيت : «إنه عقد عادى ، أليس كذلك؟» .

فقالت چوانا : «كلا . إنه الجمال نفسه . كم يساوى؟» .

قالت لينيت : «لا يزيد ثمنه على خمسين ألف جنيه» .

قالت چوانا : «ياله من مبلغ ضخم ! ألا تخافين أن تسرق كل هذه اللآلئ عندما يسْرَق هذا العقد؟» .

قالت لينيت : «لا . كيف يسْرق وأنا ألبسه دائماً . وعلى كل حال فأنا لا أخشى أن يُسْرق فهو مؤمن عليه» .

قالت چوانا : «دعينى ألبس هذا العقد حتى ننتهى من الغداء . هل توافقين ياعزيزتى؟ إن ذلك سيبهجنى جداً» .

فضحكت لينيت وهى تقول : «أوافق بالطبع ياعزيزتى مادمت تحبين ذلك» .

قالت چوانا : «أنت تعرفين ياعزيزتى لينيت أننى أغبطك فى حقيقة الأمر . عندك كل شىء . ها أنت ذى فى العشرين من العمر . وأنت سيدة نفسك دون أى ولى أمر لك يفرض عليك نفسه ، وعندك كل ما تريدين من المال ، ويتطلع كل الناس نحوك ، وتتمتعين بصحة جيدة ، حتى الذكاء لا ينقصك . متى تبلغين سِنَّ الحادية والعشرين؟» .

فقالت لينيت : «فى شهر يونيو القادم . وسأقيم بهذه المناسبة حفلة ضخمة جداً لبلوغ سِنِّ الرشد» .

قالت چوانا : «وبعدئذ تتزوجين من شارل وندلشام؟ إن جميع محررى الصحف يستبد بهم الشغف بهذا الموضوع ، وهو بالفعل موضوع مثير» .

هزت لينيت كتفيها وهى تقول : «لست أدرى . إننى فى حقيقة الأمر لا أريد أن أتزوج من أى شخص حتى الآن» .

فقالت چوانا : «إنك على صواب تماماً ياعزيزتى . إن الأمور لن تظل على ما هى عليه فى الأيام القادمة ، أليس كذلك؟» .

ودُقَّ جرس الهاتف ، فمضت إليه لينيت وقالت : «نعم . نعم» . وأخبرها كبير الخدم أن الآنسة «دى بلفورت» تطلب أن تتكلم معها ، فأمرته بتوصيلها بها .

وسمعت لينيت إشارة إتمام التوصيل ثم سمعت صوت الآنسة دى بلفورت وهى تقول لها :

– هالو . هل أنت الآنسة ريدچواى ؟ لينيت !

– چاكى ياحبيبتى ! إننى لم أسمع منك أى حديث منذ وقت طويل .

– أنا أعـرف هذا ، وهو مما يؤلمنى . إن هذا شىء فظيع . إننى أريد أن أقـابلك بشأن ضرورى .

– ألا تستطيعين ياعزيزتى أن تأتى عندى هنا ؟ إن عندى الآن لعبة جديدة . إننى أرغب أن تشاهديها .

– وهذا بالضبط هو ما أريده .

– حسنا . اقفزى إلى أول سيارة أو أول قطار .

– هذا ما سأفعله بالضبط . سأركب سيارتى ذات المقعدين الفظيعة المنظر . لقد اشتريتها بمبلغ خمسة عشر جنيها ، وحالتها تتحسن بمرور الأيام ، ولكنها تسير وفقا لحالة مزاجها المتغير . وإذا لم أصل عندك فى وقت تناول الشاى بعد الظهر فاعلمى ياعزيزتى أن مزاج سيارتى ليس على ما يرام . وإلى اللقاء ياجميلتى .

وضعت لينيت سماعة الهاتف ، وعادت للجلوس مع صديقتها چوانا . وقالت لها: «كانت هذه هى چاكلين دى بلفورت . كانت زميلتى فى مدرسة الدير فى باريس . إنها من أقدم صديقاتى . كان أبوها رجلاً فرنسيا يحمل لقب «كونت» ، وأمها أمريكية مثل أمى من ولاية فى جنوب أمريكا . وكان أبوها قد هرب مع امرأة أخرى ، وفقدت أمها معظم نقودها فى مضاربات البورصة ، وهكذا أصبحت چاكلين فقيرة إلى حد كبير . ولست أدرى كيف تستطيع أن تعيش منذ عامين» .

قالت چوانا : «إنها بهذا الوصف صديقة من النوع المزعج» .

قالت لينيت : «لماذا تعتقدين أنها من النوع المزعج؟» .

قالت چوانا : «أنا شخصيا ياعزيزتى إذا حل الإفلاس بأى شخص من أصدقائى فإننى أقاطعه على الفور . وقد يكون فى هذا المسلك من جانبى شىء من القسوة ، ولكنه يوفر كثيرا من المتاعب فيما بعد . إن هذا النوع من الأصدقاء يطلب دائما قروضا لا يستطيع سدادها ، أو يطلب أن يشترى له أصدقاؤه الموسرون أشياء سخيفة بمبالغ كبيرة» .

قالت لينيت : «لو فقدت أنا ثروتى اليوم ...» .

فقالت چوانا : «أقاطعك فى الغد . إننى لا أحب إلا الأغنياء الناجحين ياعزيزتى. إن معظم الناس يسلكون نفس مسلكى هذا فى الواقع ، ولكن أكثرهم لا يعترفون بذلك صراحة » .

قالت لينيت : «ما أفظع صراحتك ياچوانا ! ولكنك على كل حال تخطئين الظن بالنسبة إلى صديقتى چاكلين . لقد عرضت عليها فى مرات كثيرة أن أساعدها ماديا، ولكنها كانت ترفض . إن كبرياءها يمنعها ذلك» .

قالت چوانا : «وفيم لهفتها على أن تزورك اليوم ؟ أراهنك على أنها تريد شيئا» .

قالت لينيت : «يبدو من لهجتها اليوم أنها بالفعل تريد شيئا . ولكنها دائما متحمسة عندما تقول شيئا وعندما تفعل شيئا . لقد رأيتها ذات مرة وهى تطعن شابا بمدية فى ذراعه!» .

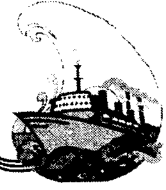
قالت چوانا : «ما أفظع هذا المسلك!» .

قالت لينيت : «لقد كان هذا الشاب يعمد إلى معاكسة أحد الكلاب . وطلبت منه چاكى أن يكف عن معاكسة الكلب . وعندما لم يطعها طعنته بالمدية فى ذراعه!» .

فى هذه اللحظة دخلت الخادمة ، وتناولت أحد الأثواب ، وخرجت به لتكويه ، ولاحظت چوانا احمرار عينى الخادمة فسألت لينيت عن ذلك فقالت لينيت : «إنها مسكينة ! كانت ترغب أن تتزوج شاباً إنجليزياً يعمل موظفا فى مصر ، ولأنه كان يعمل فى مكان بعيد ، فلقد كانت تجهل عنه كل شىء . ولقد رأيت أنا أنه من الأفضل أن أتأكد بنفسى من أن أحواله على ما يرام ، وأسفرت تحرياتى عن أنه متزوج بالفعل – وعنده ثلاثة أطفال» .

قالت چوانا : «يا لكثرة عدد الأعداء الذين يلزمهم أن يناصبوك العداء يالينيت!» فقالت لينيت وهى مندهشة : «أعداء؟» . أومأت چوانا برأسها إيماءة تؤكد قولها ، نعم . أعداء بكل معانى الكلمة ياعزيزتى الجميلة . إنك بارعة تماماً فى هذا المجال ، مجال خلق الأعداء . وأنت طيبة إلى حد مخيف بإصرارك على عمل كل ما هو صواب» .

ضحكت لينيت وهى تقول : «ما هذا الذى تقولينه يا چوانا ؟ ليس لى عَدُوٌ واحد فى العالم!» .



الفصل الثالث

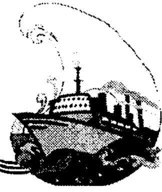
فى ذلك الوقت كان اللورد ويندلشام يجلس تحت شجرة من أشجار حديقة القصر وقد اتجه بصره إلى التأمل فى الواجهة الرشيقة لقصر وودهول ؛ ليلاحظ ما تحفل به من أسباب الرشاقة والتناسق وهو يشعر بالراحة إزاء منظرها الذى يشيع فى النفس السرور والهدوء والأمن . وتذكر آنذاك قصر أسرته التاريخى الذى توارثه أفراد الأسرة جيلا بعد جيل ، قصر شارلتونبرى وتخيل أن لينيت ، الجميلة الشقراء تنتقل من قصرها الجميل إلى قصر أسرته الذى لا يقل روعة وجمالا ، وتنهد فى لهفة أن يراها وقد أصبحت سيدة قصر أسرته أيضا .

وشعر اللورد ويندلشام بالراحة وبشىء من الأمل حيث إن رَفْضَ لينيت الزواج منه لم يكن يبدو بأى حال رفضا قاطعا حاسما . كان تمنُّعًا بقصْد كسْبِ مزيد من الوقت ولم يكن امتناعا . ولقد كان اللورد ويندلشام يستطيع أن يدفع تكاليف القليل من الصبر .

لقد كان الموضوع كله مناسبا على نحو رائع . كان الناصحون ينصحون له أنه يجب أن يتزوج فتاة ذات مال ، ولم يكن من الضرورى أن يعتبر نفسه مقيدا بهذا القيد وحده بحيث ينحى مشاعره وعواطفه عن الموضوع تماما ، وقد أحب لينيت . وكان يرغب فى أن يتزوجها حتى لو كانت لا تمتلك أى مال بدلا من أن تكون أغنى فتاة فى إنجلترا .

وتلاعبت فى ذهنه خطط جميلة لحياته المقبلة . سيكون سيد ومالك روكْسْدِولْ ، وسيسترد نفوذ وأمجاد الأسرة ، وسيستمتع أيضاً برحلات الصيد فى إسكتلندا .

كان تشارلس ويندلشام يحلم تحت أشعة الشمس .



الفصل الرابع

وصلت السيارة الصغيرة ذات المقعدين وتوقفت محدثة صوتا ضخما فى الساعة الرابعة . ونزلت منها فتاة ناحلة القوام شعرها أسود اللون ، جرت على درجات السلم، وضغطت جرس الباب . وبعد دقائق قليلة كانت تدخل إلى حجرة الاستقبال ليصافحها صوت عميق يقول لها باشتياق : «الآنسة دى بلفورت» ، وتهتف الفتاة قائلة : «لينيت!» لتقول لها لينيت : «چاكى!» .

وقف ويندلشام جانباً وهو يرقب هذه المخلوقة الرقيقة القوام وهى تندفع إلى حضن لينيت التى فتحت لها ذراعيها ، ثم لم تلبث أن قدمتها إلى ويندلشام قائلة : «هذا هو لورد ويندلشام . وهذه هى الآنسة دى بلفورت – أفضل صديقاتى» .

وَجَدَهَا ويندلشام طفلة جميلة – ليست جميلة بالمقاييس المعتادة لقياس الجمال ، ولكنها بالقطع جذابة بشعرها الأسْوَد ذى التجاعيد وعينيها الواسعتين . وتمتم ويندلشام بعض العبارات الفارغة من المعنى ثم نجح فى أن ينسحب ليترك الصديقتين معا .

وتقافزت چاكلين إلى الكلام بطريقة لا تزال لينيت تتذكر أنها طريقة مميزة لها فقالت: «ويندلشام ..؟ ويندلشام .. ؟ إنه بالتأكيد هو الرجل الذى تقول عنه الصحف دائما إنه الرجل الذى ستتزوجين منه ! هل ستتزوجينه يا لينيت ؟ هل ستتزوجينه ؟» وتمتمت لينيت قائلة : «ربما» . فقالت چاكلين : «ياعزيزتى – أنا مسرورة جدا . إنه يبدو جميلا» . فقالت لينيت : «لا تشغلى بالك بهذا الموضوع . أنا لم أصل إلى قرار حاسم بشأنه حتى الآن» . فقالت لها چاكلين : «بالطبع لم تصلى إلى قرار حاسم بشأنه حتى الآن» . فقالت هكذا الملكات . إنهن لا يتخذن قرارا بشأن من يشاركهن الجلوس على العرش بسرعة» . فقالت لها لينيت : «لا تكونى سخيفة ياچاكى» . فقالت چاكلين : «ولكنك بالفعل ملكة يا لينيت ! لقد كنت ملكة على الدوام . صاحبة الجلالة ، الملكة لينيت . لينيت الشقراء (قالت العبارات الثلاثة باللغة الفرنسية) . وأنا مجرد وصيفة كاتمة أسرار الملكة !» فقالت لها لينيت : «ما هذا الهراء الذى تقولينه ياعزيزتى چاكى ؟ أين كنت تلعبين طيلة هذا الوقت ؟ إنك

تختفين فقط عن الأنظار . ولا تكتبين أى خطاب على الإطلاق» . فقالت جاكلين: «أنا لا أحب كتابة الخطابات . أما سؤالك أين كنت أنا ، فلقد كنت أعمل أعمالاً شاقة وسط نساء شرسات!» قالت لينيت : «ياعزيزتى .. كنت أريد ...» فقالت جاكلين : «كنت تريدين أن أكون فى خدمة الملكة ؟ لم يصل بى الأمر إلى هذا الحد . بصراحة ياعزيزتى . ولكننى قد جئت إليك لكى أطلب منك خدمة كبيرة» .

قالت لينيت : «قولى» . فقالت لها جاكلين : «لو كنت ستتزوجين هذا الرجل الذى اسمه ويندلشام ستفهمين» . وبدت الحيرة على ملامح لينيت وهى تقول : «جاكى ! هل تقصدين أنك...» فقالت جاكلين : «نعم ياعزيزتى . أنا مرتبطة بالزواج من رجل» . فقالت لينيت : «هذه هى المسألة إذَنْ . أنا أعرف أنك تمارسين حياتك على نحو ما ، ولكنك دائما تفعلين أفعالا غير معتادة» . فقالت جاكلين : «هذا هو نمط الحياة الذى أحبه وأفضله» . قالت لينيت : «قولى لى كل شىء عنه» . فقالت لها جاكلين : «إن اسمه هو سيمون دويل . إنه ضخم الجسم ، عريض المنكبين . وهو بسيط جدا فى تصرفاته وسلوكه يتصرف دائما على نحو تلقائى كالأطفال مما يجعلنى أحبه حبا كبيراً ! إنه فقير – لم يمتلك مالا . إنه ابن بلد فقير. وهذا لا يهم . إنه ولد صغير . وهذا هو كل ما هنالك . إن أسرته من ديڤونشاير. إنه يحب الريف والأشياء المتصلة بالريف . ولكنه يعمل فى مكتب بالمدينة منذ خمس سنوات . وأصحاب المكتب قاموا بتخفيض عدد موظفيهم ، وهو الآن عاطل عن العمل . يالينيت : إننى سأموت بالتأكيد إن لم أتزوجه . سأموت ! سأموت!» فقالت لها لينيت : «لا تكونى سخيفة يا جاكى» . فقالت جاكلين : «قلت لك إننى سأموت ! أنا مجنونة به ، وهو مجنون بى . ولا يمكن لأحدنا أن يعيش بدون الآخر» . فقالت لينيت : «ياعزيزتى . إنك تتعاملين مع هذه المسألة على نحو بالغ السوء!» فقالت جاكلين : «أنَا أعرف ذلك . إن هذا أمر مفزع ، أليس كذلك ؟ إن من شأن هذا الحب أن يأخذ بتلابيب الواحدة منا ، ولا تستطيع الواحدة منا أن تفعل أى شئ حياله» .

وتوقفت جاكلين عن الكلام برهة ثم لمعت عيناها ، وبدت كما لو كان قد أصابها مَسٌّ جعلها ترتعد ، ثم قالت : «إن شأنى معه مخيف فى بعض الأحيان . لقد خلق الله سيمون وخلقنى ليكون كل منا للآخر . أنا لا يهمنى فى العالم أى شخص

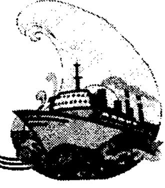
غير سيمون . ومن الضرورى أن تمدى لنا يد العون والمساعدة يالينيت . لقد سمعت أنك قد تم لك شراء هذا القصر بكل ما يحيط به ، وقد أفضى سماعى لهذا النبأ إلى فكرة سيطرت على عقلى. إنك سوف تحتاجين إلى مدير لأملاكك ، وربما تحتاجين إلى مديرين وليس إلى مدير واحد . أنا أريدك أن تعطى هذه الوظيفة إلى سيمون» .

وفغرت لينيت فمها عن صيحة تأوُّه ، فاندفعت چاكلين تقول : «إن سيمون يمتلك كل صفات ولوازم ومقومات القيام بهذه الوظيفة . إنه يعرف كل شيء عن إدارة المزارع . إنه قد نشأ وتربى منذ نعومة أظفاره فى إحدى المزارع . ولقد صقلته وظيفته بالمدينة . آه يا لينيت ! إنك سوف تعطينه هذه الوظيفة ، أليس كذلك ؟ أجل يالينيت ، أعطيها له . ولو لم يستطع القيام بمطالبها اطرديه . لكنه سيقوم بكل العمل المطلوب منه . وسنستطيع أن نعيش فى بيت صغير . وسأتمكن من أراك فى مرات كثيرة ، وكل شيء فى حديقة هذا القصر سيكون على ما يرام» . ونهضت چاكلين واقفة وهى تقول : «قولى يالينيت إنك ستعطينه الوظيفة قولى يالينيت ياجميلة . أيتها الطويلة ذات الشعر الذهبى . أنت .... يا من تخصيننى بالصداقة والمحبة ، قولى إنك ستعطينه الوظيفة» .

قالت لينيت : «ياچاكى ...» فقالت چاكلين : «هل ستعطين الوظيفة له ؟» فانفجرت لينيت ضاحكة وهى تقول : «ياچاكى ! أيتها السخيفة . هاتى ولدك الشاب وسوف أنظر فى شأنه ثم نتكلم فى الموضوع» . واندفعت چاكلين نحوها وهى تقبلها بنهم شديد وهى تقول : «ياعزيزتى لينيت – أنت صديقة حقًا . لقد كنت أعرف من قبل أنك صديقة حقيقية . إنك لم تخذلينى أبدا . أنت أجمل ما فى الوجود . وداعًا» .

وطلبت لينيت من چاكلين أن تنتظر لتتناول الشاى ، ولكن چاكلين قالت إنها لا تستطيع الانتظار لشدة فرحها ورغبتها فى أن تعود إلى خطيبها سيمون لتزف إليه البشرى . وقالت : «أنت تعرفين أننى مجنونة ياعزيزتى ، ولكننى لا أستطيع أن أتفادى الجنون . والزواج هو العلاج الوحيد لجنونى فيما آمل وأرجو . إن الزواج له دائمًا تأثير لطيف على الناس» .

واستدارت چاكلين نحو الباب واندفعت خارجة وهى تقول : «ياعزيزتى لينيت – لا توجد إنسانة تماثلك» .



الفصل الخامس

لم يكن السيد / جاستون بلوندين ، صاحب مطعم «عند عمتى» رجلاً يخف بسرور للحفاوة بكل رواد المطعم الذى يمتلكه . كان الأغنياء وكانت الجميلات والمشهورون والمشهورات وذوو المحتد الرفيع فحسب هم الذين ربما يحظى بعضهم بالتميز ونيل بعض اهتمامه الخاص . فى حالات نادرة فقط كان السيد بلوندين يولى أحد النزلاء اهتماماً خاصا وذلك بمصاحبته إلى منضدة ذات موقع متميز أو بتبادل بعض الملاحظات مع بعض النزلاء .

وفى تلك الليلة الفريدة فى ظروفها لم يبذل السيد بلوندين مجاملاته الرفيعة المستوى إلا ثلاث مرات – مرة من أجل واحدة من الدوقات ، ومرة من أجل أحد أبطال السباق ، ومرة من أجل رجل ضئيل الجسم ، مضحك المظهر ، له شارب ضخم كث أسود الشعر ، وهو رجل يستحيل أن يتصور من يشاهد منظره دون معرفة حقيقة شخصيته أن يحظى بمعاملة خاصة فى مطعم «عند عمتى» .

لقد كان السيد بلوندين مبالغاً تلك الليلة فى حفاوته بهذا الرجل الضئيل الجسم. كانت إحدى المناضد قد تم إعلان كل الزبائن أنها محجوزة لرجل ظهر الآن بطريقة غامضة ليجلس إلى هذه المنضدة التى كانت محجوزة له ليحظى بحفاوة مبالغ فيها من صاحب المطعم الذى اقتاده إليها بحفاوة بالغة ، وهو يقول له : «ولكن ، وبطبيعة الحال ، توجد منضدة لك أنت ياسيد / بوارو . وكم أتمنى لو حظينا بشرف حضورك مرات أكثر ياسيد / بوارو» .

ابتسم هركيول بوارو ، وهو يتذكر قضية كان قد أسهم فى كشف غموضها وكانت تتعلق بذات المطعم وأحد عماله الذى كان قد قتل سيدة بارعة الجمال .

قال بوارو لصاحب المطعم : «أنت صديق مجامل ياسيد / بلوندين» . فقال بلوندين : «هل أنت هنا بمفردك ياسيد بوارو؟» فقال بوارو : «نعم . أنا هنا بمفردى» . فقال بلوندين: «إن كبير العمال بالمطعم ، جولز ، سيحضر وجبة تفوق أروع قصائد الشعر . إن النساء الجميلات لا يستطعن صرف الانتباه عن جمال وروعة وجباتنا ومشروباتنا» .

وجاء جولز وتبادل حديثًا مع بوارو بشأن ما يحضره له من مأكولات ومشروبات . وقبل أن ينصرف السيد/ بلوندين بخطوات بطيئة قال بصوت خفيض وبكل ثقة واعتداد : «هل عندك عمل مهم تقوم به هنا الآن؟» وهز بوارو رأسه بما يفيد النفى وهو يقول : للأسف . لقد أصبحت رجلاً عاطلاً بلا عمل . ولقد حصلت على أموال تكفى لمعيشتى وأصبح عندى وقت الفراغ لكى أستمتع بحياة البطالة والتقاعد عن العمل» . فقال بلوندين : «إنى أغبطك على ذلك» . فقال بوارو : «كلا . كلا . ليس من الحكمة أن تتمنى أن تكون فى مثل حالتى هذه . إن حالتى هذه ليست ممتعة كما تتخيل . لقد بدأت أمل الفراغ تماما من العمل . ولقد صدق من قال إن الإنسان قد اضطر إلى اختراع العمل لكى يهرب من أفكاره!» فقال بلوندين : «ولماذا لا تتسلى بالأسفار؟» فقال بوارو : «هذا هو ما عقدت العزم عليه . لقد أعددت العدة لزيارة مصر فى هذا الشتاء . الطقس فى مصر رائع فى فصل الشتاء كما يقولون . ويطيب لى أن أسافر من لندن إلى القاهرة براً بالقطار عبر أوربا وتركيا والشام لأتجنب السفر بطريق البحر» . فقال بلوندين : «ألا يناسبك السفر بطريق البحر؟» .

وظهرت مظاهر قشعريرة على ملامح هركيول بوارو لدى سماعه السؤال . وبدأت الموسيقى تعزف ، وبدأ الخدم يتوافدون وهم يحملون إلى المناضد المأكولات والمشروبات ، فأخذ بوارو يستمتع بتناول الطعام والشراب وسماع الموسيقى ، ولفت نظره من بين الراقصين شاب وفتاة كلاهما فى مطلع الشباب وإهاب الجمال وعندما انتهت الرقصة ، أخذ الشاب يد الفتاة واقتادها للجلوس إلى منضدة قريبة من تلك المنضدة التى كان يجلس إليها بوارو الذى شعر بإشعاعات السعادة التى تفيض منهما. وكانت الفتاة فى أحاديثها شديدة الحماسة مع كثير من الاهتمام بالفتى ، وكان حديثهما مسموعا بسهولة ، وإذا بالشاب يقول : «لابد من قضاء شهر العسل ياعزيزتى چاكلين فى مصر مهما يكلفنا الأمر. لقد كنت أحلم دائمًا بمشاهدة الأهرام والنيل والصحراء المترامية الأطراف» .

وخبا صوت سيمون وهو يقول : «ستمضى الأمور كما قلت لك . سنذهب إلى مصر لقضاء شهر العسل . سحقا لتكاليف السفر ! لقد كنت دائما أحلم بالذهاب إلى مصر حيث توجد الأهرام والنيل والصحراء المترامية الأطراف ...» .

ثم عاد صوته إلى الارتفاع مرة أخرى وهو يقول لها : «سوف نرى كل هذه الأشياء معا ياچاكى . ألن يكون ذلك شيئًا رائعًا ؟» فقالت له : «إننى أتساءل ما إذا

كان ذلك سيكون رائعاً بالنسبة لك قدر ما هو رائع بالنسبة لى . هل أنت مهتم بهذا الموضوع قدر اهتمامى أنا به؟» .

وزادت حدة نبرات صوتها واتسعت حدقتا عينيها ربما من الهلع وهى تقول له السؤال الأخير . وأجاب الرجل سؤالها بنفس درجة حدة الصوت بقوله : «لا تكونى سخيفة يا چاكى» . فعادت الفتاة تقول : «إننى أتساءل ...» ولم تكمل السؤال ، وهزت كتفيها ، فقال لها : «هيا نرقص» .

وتمتم هركيول بوارو يقول لنفسه باللغة الفرنسية ما معناه : «أناس يحبون ، وأناس يعوزهم الحب . وأنا أيضا أتساءل : ما السر فى هذا ؟

*****

قالت چوانا ساوثوود مخاطبة لينيت ريدچواى : «لكن افترضى لو كان جافى الطباع إلى حد كبير ، فما هو الحل ؟» فهزت لينيت رأسها نفيا وهى تقول : «أوه ! إنه لن يكون جافى الطباع . إننى أستطيع أن أطمئن إلى ذوق وحسن اختيار چاكلين لنوعية الرجل» .

فقالت لها چوانا : «آه ، ولكن الناس لا تمشى قلوبهم فى المسار الصحيح فيما يتعلق بشأن الحب» . فهزت لينيت رأسها متململة بنفاد صبر وعمدت إلى تغيير موضوع الكلام فقالت : «يجب أن أخرج لأقابل المهندس بيرس لأناقش معه هذه المشروعات» .

فسألتها چوانا : «أية مشروعات؟» فقالت لينيت : «نعم . بعض الأكواخ العشوائية القديمة فوق أرض أمتلكها . وأنا عازمة على هدمها وطرد السكان منها» . فقالت چوانا : «أنت حريصة على النظافة العامة والصالح العام لهذا البلد ياعزيزتى» . فقالت لينيت : «من اللازم أن يذهب أولئك الناس إلى مكان آخر . إن هذه الأكواخ القديمة التى يقطنون فيها تحجب مجال الرؤية حول حمام السباحة عندى» . فسألتها چوانا : «هل الناس الذين يقطنون هذه الأكواخ موافقون على مغادرتها؟» فقالت لينيت : «معظمهم موافقون ومسرورون لمغادرتها . وسكان كوخ أو كوخين أغبياء إلى حد ما بالنسبة إلى هذا الموضوع. يبدو أنهم لا يستطيعون أن يدركوا كم ستتحسن ظروفهم المعيشية عندما ينتقلون إلى مكان آخر للسكنى به!» . فقالت چوانا: «ولكنك أنت متأكدة من تحسن ظروفهم المعيشية عندما ينتقلون إلى مكان آخر فيما افترضت» . فقالت لينيت : «ياعزيزتى چوانا . إن انتقالهم فى مصلحتهم

في حقيقة الأمر» . فقالت چوانا : «نعم ياعزيزتي . إنها مصحلة إجبارية لهم» وقطبت لينيت جبينها وضحكت چوانا وهي تقول : «أنت طاغية يالينيت. اعترفي بهذه الحقيقة . قولي إنك طاغية في إحسانك إلى الآخرين» .

فقالت لينيت : «أنا لست طاغية بأي حال من الأحوال» . فقالت چوانا : «ولكنك تحبين طريقتك في تناول الأمور وفي التصرف» . فقالت لينيت : «أنا لا أتعمد ذلك» . فقالت چوانا : «يالينيت ريدچواي . انظري بعينيك نحو عَيْنَيّ ثم أخبريني في أي مناسبة من المناسبات أخفقت ولم تستطيعي أن تفعلي بالضبط ما يحلو لك وما تريدينه» . فقالت لها لينيت : «في عديد المرات» . فقالت چوانا : «تقولين في عديد المرات ولا تستطيعين أن تحددي مرة واحدة كمثال واحد . إنك ببساطة لا تستطيعين أن تذكري مثالاً واحداً ياعزيزتي مهما كان إصرارك على المحاولة. إن الظفر المستديم الذي يحالف لينيت ريدچواي موجود بداخل سيارتها الذهبية» . فقالت لينيت بشيء من الحدة : «هل تعتقدين أنني أنانية؟» فقالت چوانا: لا . إنني أقصد فحسب أنك لا تقاومين ولا يستطيع أحد أن يمنعك عن تحقيق أي رغبة من رغباتك . ومرجع ذلك إنما هو المال والجمال ، إن كل شيء يجري تحت قدميك . وما لا تستطيعين شراءه بالمال تشترينه بابتسامة . والنتيجة هي أن: لينيت ريدچواي هي الفتاة التي تستحوذ على كل شيء» . فقالت لينيت : «لا تكوني سخيفة ياچوانا!» فقالت چوانا : «أنا أعتقد ... أن هذا يعتبر كوضع مميز لك» . فقالت لينيت : «بالطبع . لي وضع مميز ومتميز ياعزيزتي . تصابين بالإحباط والملل من جراء كثرة ممتلكاتي وأموالي!»

وعندما دخل اللورد ويندلشام قالت لينيت : «إن چوانا تقول لي كلامًا هو أسخف الكلام» . فقالت چوانا وهي تنهض عن مقعدها : «لا يهم ولن يؤثر عندك كل ما أقول» .

ولم تبد چوانا اعتذاراً عن انصرافها . كانت تلمح في عيني ويندلشام السرور والرضا لانصرافها . وظل ويندلشام صامتاً لمدة دقيقة أو دقيقتين . ثم تكلم مباشرة في الموضوع الذي كان يشغله قائلا : «هل أمكن لك الوصول إلى قرار يالينيت؟» .

فقالت لينيت بشيء من البطء : هل أنا قاسية القلب ؟ إنني أعتقد أنني إذا لم أكن متأكدة من أي شأن فمن الواجب أن أقول : «لا» .

فقال ويندلشام : «لا تقولي كلمة «لا» . إن لديك متسعا من الوقت كما ترغبين. ولكنني أعتقد أنك تعرفين أننا سنكون سعداء لو عشنا معا» .

فقالت لينيت وفى صوتها نبرة اعتذار : «أنت تدرك أننى أستمتع كثيراً بحياتى خصوصا بسبب كثرة ممتلكاتى . إننى أريد أن أجعل هذا القصر قصراً ريفياً نموذجياً. وأعتقد أننى قد جعلته قصراً جميلاً ، أليس كذلك ؟» .

فقال ويندلشام «إنه جميل . إنه جميل حقا . تصميمه جميل . كل شىء فيه على ما يرام . أنت ماهرة يا لينيت» . وتوقف عن الكلام برهة ثم قال : «إنه يحتاج إلى إدخال شىء من الأنماط الحديثة فى البناء ، ولكنك ماهرة فى هذه الأمور . إنك ستتمتعين به . إنه يشبه قصرنا شارلتونبرى» .

لم تدر لينيت حقيقة مشاعرها آنذاك ، واستمرت فى الكلام بحماس ، ولكنها كانت مرتبكة فى مشاعرها إلى حد أن اعترتها رجفة ، وبدا صوتها متعبًا كما لو كان شىء ما يتعارض مع رضاها التام فى الحياة .

ولم تسنح لها فرصة كى تتأمل وتفحص مشاعرها آنذاك ولكنها فيما بعد عندما انصرف ويندلشام حاولت أن تتمعن فى صميم مشاعرها وأغوار ما يدور بذهنها .

قصر عائلة ويندلشام المعروف باسم شارلتونبرى . نعم . إنه قصر معروف ، تمتلكه عائلة ويندلشام منذ عصر الملكة إليزابث . وعندما تكون هى سيدة قصر شارلتونبرى فهذا اعتبار مرموق فى المجتمع . إن ويندلشام رجل مرموق تتوق فتيات كثيرة إلى الزواج منه فى إنجلترا. ومن الطبيعى ألا يبهره قصر وود الذى تمتلكه هى . ولكنه قصرها هى . إنه القصر الذى تمتلكه . شاهدته . ودفعت ثمن شرائه ، وأعادت بناءه، وأصبح من ممتلكاتها . إنه مملكتها.

ولكن ، لن يكون لهذا القصر قيمة تذكر عند ويندلشام لو تزوجت منه ، وماذا سيفعلان بقصرين من القصور الريفية ؟ ولو فكرا فى أن يستغنيا عن أحدهما بالبيع ، فسيكون القصر الذى يعرض للبيع هو قصرها هى ، وليس قصر أجداد ويندلشام ! ستفقد لينيت ريدچواى كل شىء فى صميم وجودها عندما تصبح هى الكونتيسة ويندلشام التى تأتى بثروة ضخمة إلى قصر شارلتونبرى وإلى سيد هذا القصر ، وستكون وصيفة ملكة ، وليست ملكة أصيلة . وقالت لينيت لنفسها : «إننى أكون حمقاء فى هذه الحالة دون ريب!» لقد كان من العسير عليها أن تتصور أنها يمكن أن تتخلى عن ملكية قصرها بأى حال من الأحوال .

وكان هنالك شىء آخر يضطرم فى وجدانها . كان صوت چاكى يرن فى أذنها بشدة وهى تقول بحماس شديد : «سأموت لو لم أتزوجه . سأموت . سأموت» .

وساءلت لينيت نفسها : هل يدور بخلدها مثل هذا الكلام بالنسبة إلى ويندلشام؟ .

إن مثل هذا الكلام بالقطع لم يرد فى ذهنها . ربما لم يدر بذهنها مثل هذا الكلام بالنسبة لأى شخص . ومن الضرورى أن من المثير إلى حد ما أن تمتلك مثل هذه المشاعر التى تعبر عنها كلمات چاكى عن(*) خطيبها .

وسمعت لينيت صوت سيارة قادمة . ونهضت لينيت نافضة مشاعرها . من الضرورى أن چاكى وخطيبها فى طريقهما لزيارتها . ووقفت فى شرفة قصرها بينما كانت چاكى وخطيبها الشاب سيمون دويل يهبطان من السيارة .

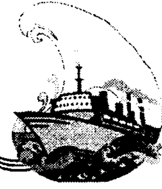
قالت چاكى وهى تجرى نحو لينيت : «يالينيت ! هذا هو سيمون . يا سيمون . هذه هى لينيت . إنها أجمل البشر فى الوجود» .

ورأت لينيت الشاب العريض المنكبين وله عينان لونهما أزرق داكن جداً ، وله شَعر جِعد بنى اللون ، وذقنه مربعة الشكل ، وعلى شفتيه ابتسامة لا يزال لها رونق ابتسامة طفل تشع منها إشعاعات الطفولة البريئة . ومدت يدها لمصافحته . وكانت اليد التى صافحتها قوية ودافئة ... وأعجبتها الطريقة التى نظر بها نحوها . كانت نظرته إليها تفيض منها السذاجة الفطرية والإعجاب الفريد الذى لا يضارعه إعجاب بأى شخص آخر . كانت خطيبته چاكى قد قالت له عن لينيت إنها أجمل البشر فى الوجود ، وكانت نظرته إلى لينيت تقول إن لينيت هى أجمل البشر فى الوجود . وجرى شعور حلو فى شرايين لينيت .

قالت لينيت : «أليس كل شىء جميلاً ؟ ادخل ياسيمون ودعنى أرحب بالمشرف الكفء لممتلكاتى من الأراضى الزراعية بالطريقة اللائقة» .

وبينما كانت تستدير لتفسح الطريق لزوارها قالت لنفسها : «إننى سعيدة . سعيدة على نحو مخيف . إننى أحب خطيب چاكى الشاب ... إننى أحبه جداً ...» ثم قالت بصوت عال : «كم أنت محظوظة يا چاكى ..!» .

(*) **إن لينيت ريدچواى مع كل ثروتها لم تمتلك مشاعر حب قوية نحو اللورد ويندلشام . وهى تحسد چاكى على مشاعر حبها القوية نحو خطيبها سيمون دويل . وسيفضى بها جشعها واعتقادها أنها تستطيع بالمال أن تأخذ أى شىء فى الحياة إلى محاولة الزواج من خطيب صديقتها وزميلة دراستها چاكى اعتمادا على ثروتها الكبيرة . وهذا محور مهم من محاور الرواية . (المترجم) .**



الفصل السادس

شد تيم ألرتون ظهره على كرسيه إلى الوراء وتثاءب وهو ينظر نحو البحر ثم نظر نحو أمه.

كانت السيدة ألرتون امرأة قد غدا شعرها أبيض اللون بوقار فى حوالى الخمسين من عمرها . ولكنها كانت تبدى مظاهر الحزم على شفتيها كلما تتحدث إلى ابنها إذ أنها كانت تحاول جاهدة أن تخفى حبها العميق له ، ولم يكن تظاهرها بالحزم مع ابنها يخفى عن الناس حقيقة حبها له كما أن هذا الحب لم يكن يخفى عن تيم نفسه .

قال تيم لأمه : «هل تحبين ماچوركا حقًا يا أمى؟» .

وفكرت السيدة ألرتون قليلا وهى تقول : «حسنا ... إنها زهيدة التكاليف» .

فقال تيم وهو يتظاهر برعشة خفيفة : «ولكنها باردة» .

كان تيم شابا ناحل القوام مكتنز الصدر . وكان فمه جميلا وله عينان فيهما شىء من الحزن . وتبدو على محياه معالم لين العريكة ، وله ذراعان طويلتان غير ممتلئتين .

كانت أسباب أمه لضغط المصروفات تحاصره . ولقد كان من المفترض أنه يحترف الكتابة ولكن كان من المعروف لدى أصدقائه أن العائد المالى من الكتابة قليل لقلة الطلب عليها .

قالت السيدة ألرتون : «فيم تفكر ياتيم ؟» .

قال تيم وهو ينظر بعمق نحو أمه : «كنت أفكر فى مصر» .

فقالت السيدة ألرتون : «مصر؟» .

قال تيم : «الدفء الحقيقى يا أمى العزيزة . والرمال الذهبية الكسولة . والنيل . كم أحب أن أركب سفينة فوق مياه النيل . ألا تحبين ذلك يا أمى؟» .

قالت السيدة ألرتون : «أنا أيضًا أحب ذلك ، ولكن مصر باهظة التكاليف يا

عزيزى . إنها لا تناسب رحلات أولئك الذين يمتلكون نقوداً قليلة يحتاجون أن يجروا حساباتهم لها من آن لآخر خشية أن تنفد كلها ولا يجدون ما ينفقونه» .

وضحك تيم وهو ينهض واقفًا ، وبدت عليه الحيوية فجأة وقال بفرح شديد : «التكاليف ستكون من شأنى أنا . لقد كسبت بعض المال . جاءتنى الأخبار بذلك هذا الصباح . لقد أخبرنى السمسار بارتفاع أسعار الأسهم» .

قالت أمه : «هذا الصباح ؟ إنك لم تتلق إلا خطاباً واحداً» .

قال تيم : كان ذلك من چوانا» .

قالت السيدة ألرتون : «وماذا تقول چوانا ؟ هل ثمة أخبار ؟» .

قال تيم وهو يعطى خطاب چوانا إليها : «إنها لا تقول كثيراً من الأخبار . إن الطلاق قد تم بين السيد ديڤينيس وزوجته . وتم القبض على السيد مونتى العجوز للسكر وهو يقود سيارته . وسافر اللورد ويندلشام إلى كندا ويبدو أنه قد صدم بشدة من جراء رفض لينيت ريدچواى للزواج منه . إن لينيت ريدچواى على أهبة الزواج من وكيل أعمالها لشئون الزراعة» .

قالت السيد ألرتون : «هذه أحداث شاذة كلها ، بل إنها بالغة الشذوذ . هل هذا الشخص الذى ستتزوجه لينت جذاب وجميل بشكل خارق للعادة؟» .

قال تيم : «لا . لا . لا حظ له إطلاقا من الوسامة أو الجاذبية . ولكنه من أبناء أسرة كريمة فى ديڤونشاير . وهو لا يمتلك أى أموال . ولقد تقدم بالفعل لخطوبة واحدة من أعز أصدقاء لينيت . وفسخ خطوبتها للزواج من لينيت ، شىء فظيع» .

قالت السيدة ألرتون : «لا أعتقد إطلاقا أن هذا مما يليق . وأنا أعرف ياعزيزى أنك لا تستسيغ أن تخطف امرأة زوج امرأة أخرى . فى أيامنا كانت لنا قيم ومعايير . وإنه لشىء رائع أن يحافظ الناس على هذه القيم وتلك المعايير . وفى هذه الأيام يعتقد الشباب أنهم يستطيعون المضى فى عمل أى شىء يريدونه مهما كان مخلا بالقيم والمعايير والمثل الأخلاقية السليمة» .

قال تيم : «إنهم لا يعتقدون إمكانية ما يريدون مهما كان مخلا بالقيم ولكنهم يقدمون فعلاً على ممارسته ، وهو ما أقدمت عليه لينيت ريدچواى» .

قالت السيدة ألرتون : «إن هذا لفظيع!»

قال تيم : «لا تفزعى يا أمى . أنا أتفق معك فى أن هذا التهور لا يليق . وعلى كل حال أنا لم أسرق زوجة أحد من الرجال ولا خطيبة أحد من الناس حتى الآن» .

قالت السيدة ألرتون : «أنا واثقة أنك لن تفعل شيئا من هذا القبيل . لقد اعتنيت بتربيتك بطريقة سليمة» .

قال تيم : «الفضل فى ذلك يرجع إليك أنت ولا يرجع إلىّ أنا» .

قالت السيدة ألرتون : «هل چوانا بخير وتستمتع بحياتها؟» .

قال تيم : «إنها متقلبة الأحوال . وهى تفكر فى فتح محل للأزياء» .

قالت السيدة ألرتون : «إنها تزعم أنها مفلسة بالرغم من أنها ترتدى أفخر الملابس» .

قال تيم : «هذا سهل جداً مادامت لا تدفع ثمنها» .

قالت السيدة ألرتون : «ماذا تقصد؟» .

قال تيم : «لا أعنى أن أحد الرجال يدفع لها ثمن ما ترتديه ، ولكنها تماطل فى دفع الثمن فقط» .

قالت السيدة ألرتون : «وأنا لا أتصور كيف لا يدفع الناس فى هذه الأيام ثمن ما يشترونه أيضاً» .

قال تيم : «لو أن الإنسان يتخلى عن قيمة النقود ، ويتحلى بشىء من الإسراف ، مع شئ مع الذوق الرفيع فى انتقاء المشتريات ، يعطيه الناس كثيرا من الثقة ، ويعطونه كثيرا من المشتريات على أن يسدد ثمنها فيما بعد» .

قالت السيدة ألرتون : «نعم ، ولكن مصيره سيصبح بين يدى القاضى فى محكمة المدينين المفلسين مثل مصير سيرچورچ وود الذى لم ينقذه بيع قصره الذى اشترته لينيت ولم يكف لسداد ديونه . ألا تستطيع أن تدرك وتستوعب هذه الحقيقة؟» .

قال تيم : «بصراحة أنا لا أستطيع التعلق بأهداب الماضى . لماذا يتحتم علينا أن نعيش وفقا لقيم ومعايير الماضى ؟ لماذا التعلق بما مضى؟» .

قالت السيدة ألرتون : «وماذا تحب أن تضع بدلا من قيم ومعايير الماضى ؟ ربما تحب أن تضع بدلاً منها الجدة والحداثة وبهجة الجهل بعواقب الأمور يوما بعد يوم . وبدلاً من الاهتمام بامتلاك مساحة من الأرض يبتهج بالحصول على مبلغ من المال لتمتع به نفسك باستخدام كل قدرتك على التفكير وكل ما لديك من مهارة فى الحصول على اللذة السريعة» .

قال تيم : «إن مبادلة ممتلكات أى شخص بالمال للحصول على الملذات مبادلة ناجحة فى حقيقة الأمر» . واستغرق تيم ألرتون فى الضحك وهو يقول : «ولم لا ؟» .

قالت السيدة ألرتون : «وماذا عن الخسارة فى نهاية المطاف ؟ تفكر فى أن تربح لذة سريعة ولا تفكر فى خسارة دائمة أكيدة؟!» .

قال تيم : «هذه مناقشة عبثية لا طائل منها ، وهى غير مناسبة لحديثنا اليوم . ما رأيك فى رحلتنا إلى مصر؟» .

قالت السيدة ألرتون : «لا بأس بها» .

قال تيم : «فى هذا الشأن يمكن لنا أن نتفق . إننا كلينا نرغب فى أن نزور مصر» .

قالت السيدة ألرتون : «متى تقترح أن نقوم بزيارة مصر؟» .

قال تيم : «آه . فى الشهر القادم . إن شهر يناير هو أنسب الشهور لنا من حيث الطقس وحالة الجو فى مصر . ولسوف نستمتع بالإقامة الطويلة فى ذلك الفندق المشهور فى القاهرة لمدة بضعة أسابيع» .

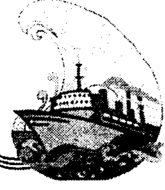
قالت السيدة ألرتون : لا ينبغى أن تنسى أننى قد وعدت السيدة ليسن أن تذهب معها إلى مركز البوليس . إنها تجهل اللغة هناك . وعليك أن تترجم لها» .

قال تيم : «آه . من أجل خاتمها المفقود ... الخاتم ذو الياقوتة الحمراء ، لقد رأيتها تنزل البحر وهو فى إصبعها ثم تخرج بدونه . لا ريب فى أنه وقع منها وهى تستمتع بالسباحة فى الماء . وبالرغم من ذلك تريد أن تبلغ البوليس» .

قالت السيدة ألرتون : «ولكنها تؤكد أنها قد تركته على المائدة بحجرة النوم ، وعندما عاودت البحث عنه لم تجده» .

قال تيم : «إنها إما واهمة وإما كاذبة . لقد رأيتها بعينى رأسى» .

قالت السيدة ألرتون : «على كل حال لقد وعدتها أن تصحبها إلى مكتب البوليس . لا تذكر شيئا إذ ينحصر واجبك حيالها فى مجرد الترجمة» .



الفصل السابع

كان السيد/ أنْدْرُو بنْجتُون هو الوصى الأمريكى على التركة التى ورثتها لينيت ريدچواى. وكان جالساً إلى مكتبه يفحص البريد الذى وصل إلى مكتبه ، وتقلصت أصابع يده ، ونفرت عروق فى جبهته وهو يقرأ إحدى الرسائل فضغط على أحد الأزرار واستدعى شريكه السيد/ روكفُورْد كى يحضر إليه . وعندما وصل شريكه إليه بادره قائلاً :

– خبرٌ صاعق ! لقد تزوَّجَتْ لينيت .

قال السيد روكفورد : كيف ؟ ومتى ؟ ولماذا لم تخبرنا فى موعد مناسب ؟

قال السيد أندرو : هذا الخطاب يقول إنها ستعقد قرانها فى اليوم الرابع من هذا الشهر . ومعنى ذلك أنها تعقد قرانها اليوم .

قال السيد ركفورد : ومن الرجل الذى ستتزوجه ؟

قال السيد أندرو : اسمه سيمون دويل .

قال السيد روكفورد : تُرَى أى نوع من الرجال هذا الرجل ؟

قال السيد أندرو : الخطاب لا يوضح أى نوع من الرجال هذا الرجل . والمهم هو ماذا نفعل الآن ؟ إنهما يعتزمان قضاء شهر العسل فى مصر .

قال السيد / روكفورد : إن الباخرة نورماندى ستبحر إلى مصر اليوم . ومن الضرورى أن تسافر عليها لتحاول أن تنقذ ما يمكن إنقاذه . وتستطيع أن تزعم عند مقابلة لينيت فى مصر أنك فى رحلة للنزهة والسياحة ، وأن لقاءك معها قد تم بمحض الصدفة . والباقى متروك لفطنتك وحسن تصرفك . إن لينيت تثق بك إلى حد كبير مما يجعل من السهل عليك أن تحصل على توقيعها على كل ما يلزم تسوية حساب تركتها من الأوراق . إن وصايتك عليها تنتهى بزواجها . ومن الضرورى تسوية الحساب عن تركتها وتسليمها إليها.

مضت أيام بعد زواج لينيت ريدچواى من سيمون دويل ورحيلهما إلى مصر لقضاء شهر العسل ، ووصلت رسالة من لينيت إلى السيد/ وليام كارمايكل المحامى الإنجليزى المتقدم فى العمر قرأ فيها ما يلى :

«وذهبنا اليوم لحجز تذاكر السفر بالباخرة للنزهة فوق مياه النيل وإذا بى أجد مفاجأة تنتظرنى . لقد فوجئت بوجود الوصى الأمريكى على ثروة جدى . هذا الوصى ربما كنت تسمع عنه . إنه هو السيد/ أندرو بننجتون . لم أكن أعرف أنه موجود فى مصر ، ولم يكن هو أيضًا يعرف بوجودى بها ، ولم يكن يعرف أننى تزوجت لأنه أخبرنى أنه قد سافر إلى مصر فى يوم سابق لتاريخ تحرير الخطاب الذى كنت قد أرسلته إليه ، أخطره فيه بزواجى فلم يستلم ذلك الخطاب . ومن المصادفات الغريبة أيضًا أنه كان موجودا بمكتب شركة كوك للسياحة أيضًا حيث قابلته لكى يحجز لنفسه مكانا فى ذات الرحلة النيلية التى كنت أقوم بالحجز فيها ، ولذلك سيكون معنا على ذات السفينة. سنكون معا فى مركب واحدة فوق النيل . أليست هذه صدفة مدهشة؟» .

وحالما قرأ السيد/ وليام كار مايكل محامى لينيت الإنجليزى المتقدم فى العمر المحنك فى مهنته هذه الرسالة تملكته الشكوك وثارت بذهنه شتى الريب والظنون . هل تم اللقاء بين الوصى أندرو بننجتون ولينيت بمحض الصدفة أم أن هذا اللقاء متعمد بهدف محاولة خداع لينيت والحصول على توقيعها على بعض الأوراق المتعلقة بحسابات ميراثها الخاضع لوصاية بننجتون ؟

وعلى الفور استدعى السيد/ وليام كارمايكل ابن أخيه الذى كان يعمل مساعداً له فى إدارة شئون مكتبه لأعمال المحاماة وهو الشاب چيمس فانثورب وناوله خطاب لينيت ، وبعد قراءته سأله : «ماذا تعتقد؟» فقال : «لا أعتقد أن هذه مجرد صدفة» .

فقال : «لا أعتقد أننا ينبغى أن نفقد أى جزء من الوقت . يلزم أن نبادر إلى العمل . ولكن ليس من الضرورى أن أذهب بنفسى إلى مصر . ألا تريد أنت الذهاب للسياحة فى مصر أيضاً؟» .

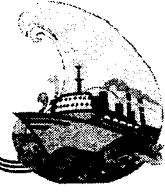
قال عمه : «استخدم عقلك ياچيم . إن لينيت لا تعرفك كما تعرفنى وكذلك الشأن بالنسبة إلى الوصى على تركتها السيد/ بننجتون ، ولو أنك سافرت بالطائرة فمن الجائز أن تصل إليهم فى مصر فى وقت مناسب» .

قال چيم : «أنا لا أرغب فى هذه الرحلة . ماذا أفعل هناك ، وما جدوى ذلك ؟ وعلى أى نحو يكون لى الحق فى أن أتدخل فى مسائل لست طرفا فيها؟» .

قال عمه : «ربما لا يكون لك الحق فى التدخل ، ولكن يلزم أن نتدخل» .

قال چيم : «هل هذا ضرورى يا عمى ؟» .

قال عمه : «إنه ضرورى وحيوى إلى أبعد حد يمكن لأحد أن يتصوره» .



الفصل الثامن

كانت السيدة / أُوتَّرْبُورْنْ كاتبة روايات ، وكانت مشغولة بتثبيت عمامة كبيرة فوق رأسها وهى تقول لابنتها الجميلة رُوزَالى أوتربورن :

«لماذا لا نذهب إلى مصر . لقد سئمت البقاء فى مدينة القدس» .

فقالت لها ابنتها : «كما تشائين يا أماه» .

كانت روزالى تقرأ أخبار المجتمع فى إحدى الصحف التى تصدر باللغة الإنجليزية ولفت نظرها خبر يقول : السيدة حرم السيد/ سيمون دويل التى كانت قبل الزواج فتاة جميلة مشهورة ومعروفة باسم الآنسة/ لينيت ريدچواى تقوم برفقة زوجها برحلة إلى مصر لقضاء شهر العسل فى مصر» .

قالت السيدة/ أوتربورن : «إن أصحاب الفندق هنا يعاملوننى معاملة غير لائقة بمكانتى وشهرتى . إن وجود مؤلفة وكاتبة مشهورة مثلى فى أحد الفنادق فيه دعاية لا تقدر بمال للفندق . ورغم ذلك يرفضون فى هذا الفندق أن يمنحونى أى تخفيض مع أننى قد ألحت لهم بضرورة عمل تخفيض لنا» .

قالت روزالى : «يستوى هذا البلد مع غيره من البلاد ، وأنا بالفعل أرغب فى أن أرحل عن هذا البلد إلى بلد آخر بأسرع ما يمكن» .

قالت السيدة أوتربورن : «فى هذا الصباح قال لى مدير الفندق إنه قد تم حجز كل الحجرات ولا يستطيع أن يترك لنا حجرتنا بعد يومين» .

فقالت روزالى : «وبناء على ذلك يتعين علينا أن نرحل عن القدس إلى مدينة أخرى» .

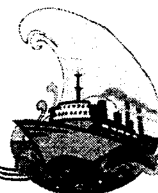
فقالت السيدة أوتربورن . «كلا . من حقنا البقاء بالفندق لو أردنا ذلك . أنا على

استعداد أن أقاتل دفاعا عن الحق» . فقالت روزالى : «أنا أعتقد أنه من الأفضل لنا أن نذهب إلى مصر . ما الفرق بين وجودنا هنا ووجودنا فى مصر . لقد مكثنا هنا مدة طويلة . ومن الملائم لنا أن نذهب إلى مصر» .

قالت السيدة أوتربورن : «إنها ليست مسألة موت أو حياة سواء بقينا هنا أو ذهبنا إلى مصر» .

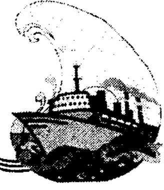
ولكن السيدة أوتربورن لم تكن تعرف أنها كانت مخطئة فى هذا الزعم خطأ كبيرا.

لقد كانت بالفعل مسألة حياة أو موت .



الفصل التاسع

كانت فان شويلر امرأة عانساً أمريكية ثرية لم تتزوج وبالطبع لم يكن عندها أولاد، وكانت تولى ابنة أختها الشابة كورنيليا روبسون شيئا من رعايتها وتصحبها معها فى كل رحلاتها السياحية فى كثير من أقطار العالم . ولقد قررت العانس فان شويلر أن تصطحب معها ابنة أختها كورنيليا روبسون والممرضة الخاصة الآنسة بويرز ليشتركن فى ذات الرحلة النيلية على أرض مصر التى كانت تشترك فيها أيضا لينيت ريدچواى وزوجها وآخرون سبقت الإشارة إليهم .



القسم الثانى .. مصر

الفصل الأول

كانت السيدة ألرتون تجلس على مقعد مصنوع من الخيزران الملون فى بهو فندق كتراكت بمدينة أسوان فى صحبة ابنها تيم ألرتون فقالت :

«ذلك هو السيد/ هركيول بوارو المخبر السرى المعروف» .

قال تيم ألرتون : «هل هو هذا الرجل القصير بشكله المضحك؟» .

قالت السيدة ألرتون : «هو بعينه . أنا أعرفه معرفة جيدة» .

قال تيم : «ماذا ترين أنه يعمل هنا ؟ هل جاء إلى مصر ليعمل فى قضية معينة؟» .

قالت السيدة ألرتون : «لا تنزعج . لا أظنه قد جاء إلى هنا ليعمل فى قضية معينة .

لقد اعتزل العمل فى مهنته بعد أن جمع ثروة كبيرة . أظن أنه قد جاء للاستمتاع بالسياحة فى مصر .

قال تيم : «أراه يبخل على نفسه وهو يصطحب معه مثل هذه الفتاة الجميلة التى تمشى برفقته» .

كانت الفتاة التى تمشى برفقة بوارو فتاة جميلة طويلة القامة يزيد طول قامتها على طول قامة هركيول بوارو بحوالى ثلاث بوصات ، وكانت فتاة جميلة ، مشيتها رشيقة ، وإن كان يبدو عليها أمارات القلق والتوتر ، وكانت هذه الفتاة هى روزالى أوتربورن ، ابنة كاتبة الروايات الثرية ، كانت قد جاءت مع أمها من مدينة القدس بفلسطين إلى مصر كما سبق أن أشرنا .

كانت روزالى تتحدث إلى بوارو عن الرحلة النيلية التى ستصل بهم إلى وادى حَلْفَا وهما يتجولان فى شوارع مدينة أسوان لتفقد المحلات التى تبيع الآثار والمنتجات المصرية الوثيقة الصلة بالتاريخ الفرعونى ... وفى طريق عودتهما إلى الفندق شاهدا زحاما على الشاطئ الذى أقيم عليه الفندق من جراء وصول فوج من السياح الجدد

سيحلون ضيوفا معهما بالفندق . وانضم إليهما تيم ألرتون ليحظى بالقرب من الفتاة التى كانت فى صحبة بوارو إذ أعجبه جمالها . ولكنه صاح فجأة وهو يقول: «أراهن أن هذه السيدة هى لينيت ريدچواى بشخصها وليست مجرد شبيهة لها!» .

وإذا كان بوارو لم يكترث لهذه المقولة إلا أن روزالى اهتزت لدى سماعها هذه المقولة وثار فضولها وهى تتأمل المليونيرة المشهورة التى شغلت أخبار زواجها من سيمون دويل الأوساط الاجتماعية فى بريطانيا فى الآونة الأخيرة.

واستطرد تيم ألرتون يقول : «إنها هى هذه السيدة التى ترتدى ثيابا بيضاء ، وهذا الرجل الطويل القامة بجوارها هو زوجها سيمون دويل الذى تزوجته حديثا» .

قالت روزالى : «حقا . لقد رأيت صورتهما معا فى جميع الصحف الإنجليزية . إنها أغنى امرأة فى إنجلترا» .

قال تيم ألرتون : «وهى بالإضافة إلى ثرائها العريض بارعة الجمال» .

فى ذلك الوقت كانت لينيت ريدچواى تنقل خطواتها على درجات سلم الباخرة، وكانت جميع الأنظار شاخصة نحوها . كانت خطواتها رشيقة وفيها ثقة كبيرة بالنفس . كانت أشبه ما تكون بالممثلة القديرة فوق خشبة المسرح ، تبدو غير مبالية بالأنظار الشاخصة نحوها ، وكأنما شخوص الأنظار نحوها شىء طبيعى لا غرابة فيه ولا يثير شيئا من الارتباك لديها . وكان زوجها يتحدث إليها هامسا بكلمات تفيض عذوبة وتفيض رقة ونعومة وعيناه ترنوان إليها بحب وهيام . وعندما مرت لينيت وزوجها بجوار بوارو ورفيقيه ، قطب بوارو حاجبيه ونظر مليا نحو لينيت وزوجها ، وأخذ تيم ألرتون يتمتم قائلا :

ياله من رجل محظوظ ! لقد ظفر بالمال والجمال .

فقالت روزالى : «إنهما يبدوان فى غاية السعادة . إن هذا لكثير !»

وانصرف تيم ليلحق بوالدته فقال بوارو موجها كلامه إلى روزالى : «ومن أخبرك أنهما فى غاية السعادة ؟ لماذا لا تكون لينيت ضحية لثرائها الفاحش ؟» .

قالت روزالى : «ألم تر كيف يبدو عليه أنه يحبها ؟» فقال بوارو : «رأيت كيف يبدو عليه أنه يحبها . ولكننى رأيت شيئاً آخر لم تقع أنظارك عليه . لقد رأيت خطوطا سوداء تحت عينى العروس . ورأيت أن يدها تقبض على مظلتها بعصبية شديدة لدرجة أن مفاصل أصابعها قد ابيضت . والشخص السعيد حقًا لا يكون بهذه الحالة . إن بعض الأسرار تكمن فى ثنايا حياتها دون ريب فى ذلك . وأنا أعرف شيئا آخر ربما كان أكثر أهمية . أعرف صوت زوجها ، صوت سيمون دويل . لقد سمعت صوته من قبل ، ولكننى لا أتذكر على وجه التحديد أين وفى أى ظروف سمعته من قبل» .

قالت روزالى : «ربما كان ما تقوله صحيحا ، ولكننى أشعر بشىء من الاشمئزاز من المنظر فى مجمله . إن ثقتها بنفسها ظاهرة . ويبدو عليها أنها تشعر كما لو كانت ملكة تستطيع بأموالها وجمالها أن تحصل على كل شىء تريده فى الحياة ، فى حين أننى .... عفواً ياسيد بوارو ينبغى أن ألحق الآن بوالدتى فهى متوعكة بعض الشىء» .

وتركته روزالى وهى تشعر بالخجل مما بدر منها من أقوال تنم عن الغيرة والحسد .

واتجه السيد بوارو إلى شرفة بالفندق تطل على النيل كانت موائد الشاى قد بُسِطَتْ فيها لاقتراب موعد تناول الشاى . ووقف السيد بوارو يتأمل نهر النيل والمياه تتدفق فيه دون كلل. ومشى نحو حديقة الفندق فوجد بعض النزلاء يلعبون التنس تحت أشعة الشمس الساطعة ، ووقف يراقب ضربات الكرة غادية ورائحة بين اللاعبين برهة قصيرة من الوقت ، ثم أخذ يتمشى فى ممرات الحديقة بين أشجارها الجميلة الحافلة باللون الأخضر .

وعلى مقعد من المقاعد الخشبية الموجودة بالحديقة شاهد بوارو تلك الفتاة التى كان قد رآها فى مطعم «عند عمتى» ، ولكن تعبيرات وجهها هذه المرة كانت تختلف تماماً عن تعبيرات وجهها عندما شاهدها أول مرة بالمطعم مع صديقها آنذاك.

إن قسمات وجهها الآن يبدو عليها الشحوب والوجوم وليست هى نفس القسمات التى كانت مسرورة متهللة عندما رآها أول مرة فى المطعم .

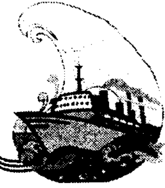
تراجع بوارو قليلاً إلى الوراء وهو يتأمل قسمات وجه الفتاة التى لم تكن قد شعرت بوجوده لشدة استغراقها فى التفكير . رآها بوارو وهى تدق الأرض بقدمها وهى جالسة على ذلك المقعد الخشبى مما يدل على نفاد صبرها وشديد ضجرها وتبرمها وغيظها من شأن ما كان يثير غيظها وسخطها دون ريب . وكان الشرر يكاد يتطاير من عينيها .

اكتملت الصورة فى ذهن بوارو . وتذكر على الفور أين كان قد سمع صوت ذلك الرجل الذى تزوج من لينيت ريدچواى وكان يهبط من سلم السفينة إلى الفندق . لقد كان زوج لينيت ريدچواى هو نفس الرجل الذى كان يجلس أمام هذه الفتاة فى مطعم «عند عمتى» عندما كانت متهللة الأسارير تكاد السعادة تتفجر من قسمات وجهها ، وكانت تبدو مدلهة فى حب ذلك الرجل .

وترامت أصوات أقدام مقبلة وهمسات وضحكات قادمة إلى ذات المكان ، ونهضت الفتاة من فوق مقعدها الخشبى فجأة إذ شاهدت كما شاهد بوارو فى نفس اللحظة لينيت ريدچواى وبصحبتها زوجها سيمون دويل يمشيان ويتسامران أثناء سيرهما فى حديقة الفندق . كانت همساتهما وضحكاتهما تدل على السعادة ، وتبدل الحال عندما شاهدت لينيت وشاهد زوجها الفتاة وهى تنهض من فوق مقعدها الخشبى وتهرع نحوهما ، مما جعل العروسين يتوقفان عن السير مشدوهين .

قالت چاكلين دى بلفورت : «هل أنت لينيت ريدچواى ؟!» سنلتقى كثيراً على غير اتفاق ، وبدون موعد سابق !» .

وأومأت برأسها إيماءة تدل على التوعد وابتعدت بين الأشجار كما ابتعد بوارو أيضًا بعد أن سمع لينيت وهى تقول فى غيظ وحيرة : «قل لى يا سيمون ماذا نستطيع أن نفعل بشأن چاكلين ؟!» .



الفصل الثانى

فرغ نزلاء فندق كتاراكت بأسوان من تناول طعام العشاء ، وبينما أخذ عمال الفندق فى رفع الأطباق وبقايا الطعام من فوق الموائد ، كان نزلاء الفندق يتسللون إلى شرفة الفندق الفسيحة المطلة على نهر النيل ، وقد أضيئت مصابيحها بضوء هادئ جميل . وشرع نزلاء الفندق يجلسون إلى المناضد الكثيرة المعدة لجلوسهم لكى يستمتعوا بأنسام المساء الدافئة . ودخلت إلى الشرفة ضمن الداخلين إليها لينيت ريدچواى وقد أصبح اسمها بعد الزواج لينيت دويل فى صحبة زوجها سيمون دويل ومعها رجل طويل القامة ، أبيض الشعر ، حليق الذقن ، وجيه المنظر ، يقول كل شىء فى مظهره : إنه رجل أعمال أمريكى . وقف الثلاثة فى مدخل الشرفة يتخيرون المكان الملائم لجلوسهم ، وانطلق نحوهم تيم ألرتون الذى وَجَّه كلامه إلى لينيت قائلا : «لعلك لا تذكريننى . أنا ابن خالة صديقتك چوانا ساوثوود» . فقالت لينيت : «نعم . نعم . أنت تيم ألرتون . هذا هو زوجى، سيمون دويل . وهذا هو الوصى الأمريكى على أموالى . إنه السيد بننجتون» . فقال تيم ألرتون : «تشرفنا . وأنا أعتقد أنه من الأفضل أن تتعرفى إلى والدتى . إنها موجودة هنا» .... وبعد قليل كان الجميع يجلسون إلى المائدة التى كانت تجلس إليها السيدة ألرتون .

وتحرك الباب الموجود فى مدخل الشرفة ليدلف إلى داخلها رجل قصير القامة لم تكد تشاهده السيدة ألرتون حتى قالت موجهة الكلام نحو لينيت : «إنك ياعزيزتى لينيت لست الشخصية الوحيدة المشهورة هنا . هذا الرجل القصير المضحك الشكل لا يقل شهرة عنك . إنه هركيول بوارو الشهير» . وتطلعت لينيت نحوه وقد بدا عليها الاهتمام وهى تقول : «هركيول بوارو . لقد سمعت عنه طبعا . إنه مشهور جداً» . وشردت الأفكار فى ذهن لينيت شرودا طويلا لدرجة أنه كان من الصعب أن يجذب تيم ألرتون أو السيد بننجتون انتباهها إلى أى حديث يوجهه أى منهما إليها .

وكان بوارو قد واصل سيره حتى بلغ آخر الشرفة وسمع صوتا نسائيا يقول له : «تفضل بالجلوس هنا يا سيد بوارو . طاب مساؤك» .

وجلس السيد بوارو على أقرب مقعد إليه وهو يقول : «أجل ياسيدتى ، طاب مساؤك» .

قالت السيدة أوتربورن ، مؤلفة الروايات الخيالية ، وهى ترتدى عمامتها الملفتة للأنظار : «أرى أن الفندق يمتلئ بالشخصيات المهمة الشهيرة ، ونتوقع أن نقرأ عنهم أخباراً فى الصحف قريبا . إن فيهم أجمل وأغنى نساء المجتمع ، وأشهر مخبر سرى ، ومؤلفة روايات شهيرة أيضاً» .

وبدا الخجل على ملامح ابنتها لدى سماعها هذا الكلام فقالت : هل نتوقع أن تكتبى رواية قريباً ياسيدتى ؟» .

فقالت السيدة أوتربورن : «الواقع أننى أصبحت أستمتع بالكسل فى الأيام الأخيرة مع أننى يجب أن أسارع إلى العمل . إن المعجبين بالروايات التى أكتبها قد نفد صبرهم ، والناشر المسكين يستعجلنى بخطابات بالبريد وبكتابة برقيات تصلنى منه أيضا» .

وشعر بوارو أن ابنتها تتململ من كلامها أيضاً ، أما أمها فقد استطردت تقول : «لست أخفى عليك ياسيد بوارو أننى قد جئت إلى هذه الرحلة هنا لكى أستوحى من هذا المكان أحداث رواية جديدة ربما سيكون عنوانها هو : «ثلج على وجه الصحراء» . إنه عنوان موح قوى مثير يا سيد بوارو ، أليس كذلك ؟ ثلج على وجه الصحراء يذوب عندما تهب عليه نسمات العواطف المتأججة!» .

ولم تتمالك ابنتها سماع كلام أمها الذى كان يبدو لها فى غاية السخف ، فأعلنت أنها ستذهب إلى الحديقة ، واستمرت أمها تقول : «القوة لابد منها .... هذه هى كتبى ورواياتى ... لحم تسرى فيه القوة ، وتتدفق منه الحيوية ... صحيح أن المكتبات العامة والمكتبات المدرسية تقاطع كتبى ولا تقبل على شرائها لأنها روايات تحفل بالمسائل الجنسية، ولكن لا بأس فى ذلك ... إننى أقول الحق ، وقد وضعت يدى على صميم الحياة ... الجنس ياسيد بوارو شيء فطرى . لماذا يتنكر الناس للجنس ويخشون مواجهته ؟ هل قرأت كتبى ياسيد بوارو ؟» فقال بوارو : «للأسف ياسيدتى ... إن عملى كما تعرفين لم يدع لى وقتا كافيا للقراءة بوجه عام» . فقالت : «لابد إذن أن أهدى إليك نسخة من آخر رواية كتبتها . إنها بعنوان : «تحت شجرة التين» ... وأنا واثقة أنك ستجدها رواية لها مغزى عظيم . إنها واقعية ...» فقال بوارو: «هذا تلطف عظيم منك ياسيدتى ... إننى سأقوم بقراءتها بكل شغف» .

فقالت السيدة أوتربورن : «يجب أن أذهب الآن وأحضر لك نسخة من هذه الرواية» . فقال بوارو : «لا تجشمى نفسك هذا العناء ياسيدتى ... يمكن أن تعطينى نسخة منها فى أى وقت» . فقالت : «لا عناء فى هذا .... إننى متلهفة أن أعطيك نسخة منها» .

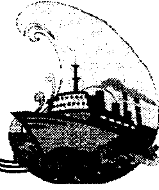
وكانت ابنتها قد عادت أدراجها فقالت : «أين ستذهبين يا أماه؟» . فقالت : «لا شيء ياعزيزتى . إننى ذاهبة لكى أحضر نسخة من الرواية للسيد بوارو» . فقالت ابنتها: «رواية شجرة التين ؟ سأذهب أنا وأحضرها» . فقالت الأم : «إنك لا تعرفين مكانها» . قالت ابنتها : «بل أعرف» . وانطلقت الفتاة إلى داخل الفندق .

قال بوارو للسيدة أوتربورن : «هل تتناولين من الشراب ياسيدتى ؟» فقالت بحدة : «لا . لا ... إننى من أشهر الدعاة إلى تحريم شرب الخمر . ولعلك قد لاحظت أننى أثناء العشاء لم أشرب إلا الماء أو عصير الليمون . إننى لا أطيق رائحة الخمر . ولا بأس فى كأس من عصير الليمون» .

وطلب بوارو لنفسه شراباً ، وطلب قدحا من الليمون للسيدة أوتربورن . وأقبلت ابنتها وفى يدها نسخة من رواية «شجرة التين» فكتبت عليها السيدة أوتربورن إهداء وأعطتها للسيد بوارو ، وإذا الغلاف مرسوم عليه صورة ملونة لسيدة معقوصة الشعر تجلس على جلد نمر ولا ترتدى أى ثياب سوى ورقة من التوت . وفوقها شجرة ضخمة وقد كتب على الغلاف : «تحت شجرة التين» بقلم : «سالومى أوتربورن» . وانحنى بوارو وهو يتسلم نسخة من الرواية قائلاً : «إنه لشرف عظيم لى يا سيدتى» .

والتقت عيناه بعينى ابنتها فقرأ فى عينيها كثيراً من الألم المكتوم . وران الصمت بين الأم وابنتها وبوارو بعد ذلك وهم يحدقون فى الصخور السوداء التى كانت رؤوسها بارزة فوق صفحة ماء النيل .

وعلى حين غرة قطعت السيدة أوتربورن حبل الصمت بقولها : «من تظن نفسها هذه الفتاة؟» ذلك أن فتاة كانت ترتدى ثوب سهرة أحمر اللون قد وقفت فى مدخل الشرفة ووقفت تتأمل الناس وتفتش بعينيها بينهم ، ثم مشت إلى مائدة لم يكن يجلس إليها أحد فجلست إليها . ويبدو أنها قد اختارت هذه المائدة بالذات لكى تستطيع أن تحملق فى وجه السيدة لينيت دويل التى كانت فى مواجهة المائدة التى اختارت الفتاة أن تجلس إليها . وهز بوارو رأسه وبعد أقل من ربع ساعة نهضت لينيت ومشت داخلة إلى الفندق يتبعها زوجها سيمون دويل . أما الفتاة التى كانت تجلس قبالتهما فقد كانت هى بعينها چاكلين دى بلفورت التى كانت تبتسم ، وهى تدير مقعدها لكى تنظر إلى النيل بعد أن فرت لينيت من وقع نظرات چاكلين إليها . وكانت مياه النيل تتدفق تحت نظرات چاكلين دى بلفورت .



الفصل الثالث

كان السيد بوارو يجلس بمفرده فى شرفة الفندق يفكر وهو ينظر إلى قمم الصخور السمراء المرتفعة فى سطح مياه النيل ، عندما سمع صوتا ذا لهجة آمرة ، يناديه قائلا : «ياسيد بوارو!» ونهض بوارو واقفاً يحدق فى وجه السيدة لينيت دويل . كانت ترتدى شالا أحمر اللون من القطيفة الغالية الثمن فوق ثوب من الحرير الطبيعى الناصع البياض ، فبدت له فى صورة أجمل كثيرا مما كان يتخيل وهى تقول له : «هل أنت السيد/ هركيول بوارو؟» فقال : «أنا فى خدمتك ياسيدتى» . فقالت لينيت : «لعلك لا تعرف من أنا» . فقال بوارو: «بل أعرف يا سيدتى» . فقالت لينيت : «هل تتفضل بالمجيء معى إلى قاعة ألعاب التسلية بداخل الفندق . إن عندى دوافع قوية للحديث معك» . فقال بوارو : «أنا فى خدمتك ياسيدتى» .

ودخلا إلى قاعة ألعاب التسلية ، وحرصت على إغلاق الباب كى لا يدخل عليهما أحد . وجلسا إلى إحدى الموائد ، وقالت لينيت : «لقد سمعت عنك الكثير ياسيد بوارو . إننى أعرف أنك رجل عظيم البراعة فائق القدرات فى حل المشكلات بل المعضلات . ويتصادف أننى الآن أشعر بالحاجة الماسة إلى شخص له مثل قدراتك ليمد لى يد العون . إننى أعتقد أنك أنت الشخص الذى يستطيع أن يساعدنى» . فقال بوارو : «هذه ثقة ورقة بالغة منك ياسيدتى .... ولكنى فى إجازة من العمل . وعندما أكون فى إجازة من العمل لا أستطيع أن أقبل القيام بأى عمل» . فقالت لينيت : «هذه مسألة يمكن التفاهم بشأنها. إننى فى الواقع يا سيد بوارو فريسة لمطاردة لا تفتر ، ولابد من وضع حد لهذه المطاردة بأى ثمن . لقد خطر لى أن ألجأ إلى الشرطة ، ولكن زوجى قد نبهنى أن الشرطة لا سلطان لها فى هذا الموضوع الذى أعانى منه الأمرين» . فقال بوارو : «ربما كان زوجك على صواب. لا تستطيع الشرطة أن تتدخل فى بعض الموضوعات» . قالت لينيت : «سأشرح لك الموضوع لتستطيع أن تحكم عما يلزم حياله على وجه التحديد . كان زوجى قد خطب الآنسة جاكلين دى بلفورت وهى إحدى صديقاتى قبل أن نتعارف ... ثم فسخ خطوبته لها وتزوجنى إذ أنهما اكتشفا أنهما غير متوافقين . ويبدو أن زواجى من نفس الشخص الذى كانت مخطوبة له قد حزَّ فى نفسها .. إننى أشعر بالأسف نحوها ، ولكن هذه

الأمور ليس لنا فيها حيلة . إنها قد عمدت إلى تهديدى بأنها سوف تنتقم منى ، ولكننى لم آبه لتهديداتها . ولكننى أجد فعلا أنها قد وضعت تهديداتها لى موضع التنفيذ الذى يتخذ طابعا فريدا فى نوعه . إنها تلاحقنى أنا وزوجى فى أى مكان نذهب إليه» . فقال بوارو وقد رفع حاجبيه فى دهشة : «إنه فى الحقيقة انتقام من نوع غير مألوف» . فقالت لينيت : «نعم . إنه انتقام غير مألوف ولكنه سخيف ومزعج» . فقال بوارو : «إنه مزعج فعلاً وخصوصًا عندما تكونان فى شهر العسل كما أخمن ذلك» .

فقالت لينيت : «نعم . إننا فى شهر العسل . وقد حدثت المطاردة الأولى من جانبها لى ولزوجى عندما كنا فى مدينة البندقية إذ وجدناها تواجهنا فى مطعم «دانيبلى» هناك . اعتقدت أن المسألة محض مصادفة وإن كانت مصادفة محرجة . وركبنا إحدى البواخر من ميناء برنديزى ، فوجدناها فى طريقنا . واعتقدنا أنها ستسافر إلى فلسطين . ولما نزلنا فى الإسكندرية ونحن نعتقد أنها قد واصلت الرحلة بحراً إلى فلسطين فوجئنا بوجودها أمامنا فى فندق مينا هاوس بالقاهرة إذ رأيناها جالسة فى شرفة الفندق فى انتظارنا . وعندما جئنا من القاهرة فى هذه الرحلة النيلية كنت أتوقع ظهورها بين ركاب الباخرة فلم تظهر بينهم على الإطلاق حتى ظننت أنها قد تخلفت عنّا بالقاهرة وأنها قد أقلعت عن هذه الأعمال الصبيانية ، ولكننا لم نكد ننزل فى هذا الفندق حتى وجدناها موجودة أمامنا فى انتظار وصولنا!» .

قال بوارو : «إنك تخافين أن تستمر فى تنفيذ هذه الخطة؟» فقالت لينيت : «نعم. إنه كلام فارغ ولكنه مزعج للغاية . وأنا مندهشة كيف تتخلى چاكلين عن احترام نفسها وعن الشعور بالكرامة إلى هذا الحد» . فقال بوارو : «إن هنالك أوقاتاً ياسيدتى تتوارى فيها مشاعر احترام الذات والوقار والكرامة ، لتفسح الطريق أمام اعتبارات أخرى أقوى وأشد». فقالت لينيت : «ربما كان ما تقوله صحيحًا ، ولكن ماذا عساها تستفيد وتكسب من وراء مسلكها على هذا النحو؟» فقال بوارو : «ليست المسألة مسألة كسب مالى أو خسارة مالية فى كل الأحوال ياسيدتى» . فقالت لينيت : «معك حق . وليست مناقشة دوافع سلوكها هى ما يهمنى . إن ما يهمنى هو ماذا أفعل ، وكيف أضع حداً لمضايقتها لنا على هذا النحو؟» فقال بوارو: «وكيف تتصورين أنك تستطيعين ذلك؟» فقالت لينيت : «الشيء الوحيد المؤكد هو أننى وزوجى لا نستطيع أن نظل فريستين لهذه المضايقة المستمرة . وأنا أعتقد أنه لابد من وجود طريقة مشروعة ضد هذا المسلك غير اللائق من جانبها» .

قال بوارو : «اسمحى لى أن أسألك : هل قامت بتهديدك علَنًا بكلمات صريحة؟ هل وجهت إليك أى سباب أو شتائم ؟ هل حاولت الاعتداء عليك باستخدام اليد؟» فقالت لينيت : «لا . لم يحدث شىء من ذلك» . فقال بوارو : «إذن لا أستطيع أن أجد لك مخرجًا من هذا المأزق ياسيدتى . وإذا كان يحق لك أن تسافرى إلى أى بلد وأن تزورى الأماكن التى ترغبين زيارتها ، فهذا الحق مشاع لجميع الناس وليس لك وحدك ، وليس عليها جناح أن تستنشق نفس الهواء الذى تستنشقينه مادامت لا تتطفل على خلوتك مع زوجك ، وكل التقاء لها معكما يتم فى الأماكن العامة» .

قالت لينيت : «هل تعنى أنه لا فائدة من محاولة منعها من المطاردة المستمرة لنا؟» فقال بوارو : «لا فائدة فى ذلك إطلاقا فيما أرى . إن الآنسة چاكلين دى بلفورت تتصرف فى حدود حقها المشروع فعلا حتى الآن» .

قالت لينيت : «ولكن هذا شىء لا يطاق» . فقال بوارو : «إن فى استطاعتك أن تغادرى المكان الذى لا تستريحين فيه» . قالت لينيت : «ولكنها ستتبعنا إلى المكان الجديد» . فقال بوارو : «هذا محتمل جدا . ليس هنالك ما يمنعها من ذلك» .

قالت لينيت : «ولكن لماذا يكون من الضرورى أن نهرب نحن منها ؟» فقال بوارو: «هذا هو السؤال المهم ياسيدتى ، وهو جوهر الموضوع . ماذا يضايقك بالضبط من وجودها فى أى مكان ؟» قالت لينيت : «لقد أخبرتك قصتها» .

تراجع بوارو فى مقعده ، وعقد ذراعيه فوق صدره ، وقال بصوت هادئ : «استمعى إلى جيداً ياسيدتى . إننى سأقص عليك قصة قصيرة . منذ شهر أو شهرين كنت أتناول الطعام فى مطعم بمدينة لندن . وكان يجلس إلى المائدة المجاورة لى رجل وفتاة وكانا سعيدين جداً ويبدو أنهما متحابان للغاية . كان يتحدثان بثقة تامة عن المستقبل . لم أر وجه الرجل لأن ظهره كان ناحيتى ، وكنت أسمع صوته فقط ، ولكننى كنت أتطلع إلى وجه الفتاة من حين إلى آخر ، وكان وجهها تنطق كل قسماته بأنها عاشقة لذلك الرجل بكل قلبها وروحها وجوارحها . كان يبدو أن حبها له ليس من ذلك النوع من الحب الذى يزول عندما تغسل البنت وجهها فى الصباح. كان واضحًا أن الحب عند هذه الفتاة هو الحياة أو الموت . وترامت إلى مسامعى بعض الكلمات فى حوارهما ، لقد كانا يتحدثان عن شهر العسل وكيف يتصوران أنهما سيقضيانه فى مصر . ولقد انقضت مدة من الزمن تبلغ حوالى

الشهرين ولم أر وجه تلك الفتاة الذى يستحيل أن أنساه كما يستحيل أن أنسى وجه الرجل . أين تظنين أننى رأيت وجه هذه الفتاة للمرة الثانية ؟ وأين سمعت صوت الرجل للمرة الثانية ؟ رأيت وجه الفتاة ، وسمعت صوت الرجل هنا فى مصر ! كان الرجل فعلاً يقضى شهر العسل . نعم . شهر العسل ، ولكنه مع امرأة أخرى...!» .

قالت لينيت : «وماذا فى ذلك ؟ لقد ذكرت لك هذه الحقيقة بنفسى» . فقال بوارو : «نعم . لقد تم لك ذكر ما حدث ، ولكنك لم تذكرى ما يترتب عليه» . وسألته لينيت : «وماذا بعد ذلك؟» فقال بوارو : «لقد كنت أسمع الفتاة تتحدث عن صديقة لها ، وعن أن صديقتها هذه لن تخذلها . وأنا أعتقد أنها كانت تتحدث عنك» . فقالت لينيت : «نعم . لقد ذكرت لك أننا كنا صديقتين» . فسألها بوارو : «هل كانت تثق فيك ثقة كبيرة؟» فقالت لينيت : «نعم» . وظهرت أمارات الارتباك على وجه لينيت فقالت : «لقد حالفها سوء الحظ فى هذا الموضوع . إن مثل هذه الأمور تحدث كثيرا فى الحياة ياسيد بوارو» .

قال بوارو : «نعم . إن مثل هذه الأمور تحدث كثيراً فى الحياة ياسيدتى . لقد سمعنا مراراً فى دور العبادة قصة الملك داود والرجل الغنى الذى كان يمتلك أغناما كثيرة لا تعد ولا تحصى والرجل الفقير الذى كان يمتلك نعجة واحدة ، وبالرغم من ذلك اشتهى الرجل الغنى أن يمتلك نعجة الرجل الفقير وحاول اغتصابها منه . إن هذه أشياء تقع كثيراً فى الحياة فى حقيقة الأمر ياسيدتى!» .

تململت لينيت فى جلستها وهى تقول : «إنك ياسيد بوارو تعتقد أننى قد سرقت خطيب صديقتى وتتعاطف معها ... لكن الحقيقة خلاف ذلك على خط مستقيم . كانت جاكلين تحب سيمون . ولكن سيمون عندما قابلنى أحبنى أنا . ماذا كان عليه أن يصنع حيال هذا التطور ؟ هل كان يتصنع البطولة ليتزوج من امرأة لا يحبها ليحطم ثلاثة قلوب : قلبه وقلبها وقلبى ؟ لو أنه كان متزوجا منها قبل أن يتعرف إلى وينشأ الحب بيننا لكنت قد وافقتك على أن واجبه فى هذه الحالة هو أن يتمسك بالبقاء مع زوجته وإن كانت هذه المسألة فيها نظر ، وهى مسألة حتمية إخلاص الرجل لزوجة لا يحبها ، فما بالنا والمسألة بينهما لم تصل إلى حد الزواج؟ إن الخطوبة ليست مثل الزواج . إن فى الخطوبة مجالا لأن يراجع كل من طرفى الخطوبة موقفه وحقيقة مشاعره وعواطفه حتى إذا تبين أحد الطرفين أنه لا يحب

الطرف الآخر كان هنالك مجال لتصويب الخطأ . أنا أعترف أن زواجي من سيمون كان له وقع أليم على چاكلين . وأنا آسفة من أجل ذلك كل الأسف. ولكن لا حيلة لى فى الأمر . لقد كان ما حدث أمراً مقضياً لا حيلة لى فيه ولا مناص منه» .

قال بوارو : «إن ما تقولينه معقول ومنطقى جدا ياسيدتى . ولكنه لا يفسر لى موقفك أنت من المسألة ياسيدتى . من المعقول أن تطاردك چاكلين من مكان إلى مكان آخر ، ولكن من غير المعقول أن يسبب لك وجودها فى نفس المكان كل هذا الضيق ، اللهم إلا إذا كنت تدركين ياسيدتى فى قرارة نفسك أنك قد عمدت إلى اختلاس خطيب صديقتك اختلاسا متعمداً مقصوداً . ربما شعرت نحوه بانجذاب عاطفى قوى منذ أول لحظة . ولابد أنك قد اعتراك شيء من الحيرة والتردد ، ولكنك قد تم لك اختيار طريقك بمحض إرادتك ، ولقد كان هذا الاختيار بيدك أنت بأكثر مما كان بيد السيد دويل . أنت جميلة ياسيدتى وغنية وذكية . لقد تم لك استخدام كل أنواع السحر الأنثوى ليتم لك أن تأسريه عمداً مع سبق الإصرار والترصد . لقد كانت الدنيا واسعة أمامك لتختارى أى واحد من مئات الشباب الذين يتمنى كل واحد منهم أن يظفر برضاك عنه كزوج لك . أما صديقتك چاكلين فلم يكن عندها إلا هذا الرجل . ولقد كنت أنت تعرفين هذه الحقيقة. وكان فى استطاعتك أن تحيدى عن طريق اختلاس خطيب صديقتك وتقبضى يدك عن هذا الاختلاس ، ولكنك مددت يدك إليه كما مد الرجل الغنى يده إلى نعجة جاره الفقير!» .

وساد الصمت بينهما برهة من الوقت إلى أن قالت لينيت : «كل هذا الكلام إنما هو خارج الموضوع الذى يهمنى الآن» .

قال بوارو : «كلا ياسيدتى . إن هذا الكلام هو صميم ولب الموضوع وجوهره . إن هذا الكلام هو الذى يفسر لكل قاصٍ ودانٍ السبب فى انزعاجك الشديد كلما ظهرت أمام ناظريك صديقتك چاكلين . إنك تعتقدين فى قرارة نفسك أنها على حق . أرجو ألا تؤاخذينى بسبب صراحتى فى تناول الموضوع . إن حقائق علم النفس تؤكد صحة كلامى، إن علم النفس لا يحابى هذا الشخص أو ذاك . إن علم النفس يهتم فى أن يقرر الحقائق فى ذاتها بصرف النظر عن هذا الشخص أو ذاك» .

قالت لينيت : «لو افترضنا أن ما تقوله سيادتك صحيح كله ، وإن كنت لا أعترف بذلك ، فما هو العمل الآن ياسيد بوارو؟» .

قال بوارو : «إن عقلك الراجح سيدلك بالتأكيد على أن ما فات قد مات ، ولابد من الاعتراف بالأمر الواقع ، ولا حيلة إزاء هذا الوضع إلا الالتزام بالتجلد والصبر» .

قـالت لينيت : «ألا تتكرم أنت وتتـفـضل بالتـحـدث إلى الآنسـة چاكلين دى بلفورت لعلك تستطيع أن تقنعها بالإقلاع عن هذه الخطة؟» .

قـال بوارو : «ربما فعلت ذلك . ولكن أرجو ألا تنتظرى ثمرة وراء هذه المحاولة ترضين عنها . إن الآنسة چاكلين دى بلفورت فريسة لفكرة ثابتة فى ذهنها يستحيل أن تتوقف أو تتراجع عنها بسهولة .

إن فى استطاعتك أن تعودى مع زوجك إلى قصرك المملوك لك ، قصر وود فى الريف البريطانى وسيكون من الصعب أن تقتحم عليك چاكلين هذا القصر» .

قالت لينيت : «أعتقد أنها ستتبعنا أيضاً إلى هناك ، وستقيم فى ذات القرية لأراها كلما خرجت من القصر . وأنا لا أعتقد أن زوجى سيمون سيوافق على الهروب والتراجع أمامها» .

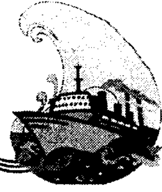
قال بوارو : «وما هو موقفه إزاء هذا الموضوع؟» .

قالت لينيت : «إنه غاضب جداً إلى حد الثورة . هل ستخاطب الآنسة چاكلين فى هذا الأمر؟» .

قال بوارو : «نعم سأخاطبها وإن كنت ضعيف الأمل فى النجاح . من الضرورى أن أعرف ما إذا كانت قد عمدت إلى تهديدك تهديداً صريحًا وماذا كانت عبارات تهديدها» .

قالت لينيت : «لقد قالت لى ذات مرة إنها ستقتلنا نحن الاثنين : سيمون وأنا» .

وهنا ظهر الاهتمام على وجه بوارو أكثر من ذى قبل واستغرق فى التفكير ، وأخذ يهز رأسه ، فقالت له لينيت : «هل ستعمل لحسابى ياسيد بوارو ؟» فقال لها بوارو بلهجة حاسمة : «كلا ، ياسيدتى . لن أعمل لحسابك وإن كنت سأعمل كل ما فى وسعى لاعتبارات إنسانية محضة . سأبذل كل جهدى لفض هذا النزاع الخطير ، ولكننى لست شديد التفاؤل ولا آمل كثيراً فى النجاح .



الفصل الرابع

وجد السيد بوارو الآنسة چاكلين دى بلفورت جالسة فوق الصخور المطلة على مجرى النيل . لقد كان يثق أنها لم تأو بعد إلى فراشها فى تلك الليلة . اقترب منها ووجدها تضع يدها تحت ذقنها وتحدق فى المياه الجارية ، ولم تهتم بأن ترفع رأسها لترى من القادم حتى وقف بوارو إلى جوارها وقال : «هل تسمح الآنسة دى بلفورت أن أتحدث إليها لحظة ؟» فرفعت نظرها إليه وهى تقول : «تفضل . إنك أنت السيد بوارو فيما أعتقد ، ولكن اسمح لى أن أبدى لك ملاحظة صغيرة قبل أن تبدأ الكلام معى» . فقال بوارو : «قولى ما تشائين» . فقالت چاكلين : «أنت تعمل لحساب حرم السيد دويل ، وهى قد وعدتك بمكافأة مالية ضخمة لو نجحت فى مهمتك التى كلفتك بها» .

جلس بوارو بجوارها وهو يبتسم ويقول : «تخمينك صحيح فى جزء واحد منه . إننى قادم توا بعد أن كانت لينيت قد انفردت بى ، ولكننى لم أقبل منها أى أتعاب لأننى رفضت العمل لحسابها ، هل سبق لك أن رأيتنى يا آنسة ؟» فقالت چاكلين: «كلا . لا أظن أننى قد رأيتك قبل وصول هذه الرحلة» . فقال بوارو : «أما أنا فقد سبق لى أن رأيتك. لقد كنت أجلس إلى المنضدة المجاورة لك فى مطعم «عند عمتى» ، ولقد كنت أنت فى صحبة سيمون دويل .

وتغير وجه چاكلين ، وهى تقول : «نعم . أذكر ليلة كنت مع سيمون دويل فى مطعم «عند عمتى» .

قال بوارو : لقد حدثت أمور كثيرة بعد تلك الليلة يا آنسة . وأنا أتحدث معك الآن حديث صديق لك وأنصحك أن تدفنى الماضى . إن ما فات قد مات وانتهى» .

قالت چاكلين : «هذا حل يوافق لينيت ويريحها» . فقال بوارو : «لست أفكر الآن فى لينيت . أنت التى تهميننى فى هذه النصيحة . أنت قد طال عذابك . إننى أدرك هذا وأقدره وأشفق عليك أنت من العذاب . وإننى أرى بوضوح أن خطتك الحاضرة تزيدك عذابا وآلاما وتجلب عليك متاعب خطيرة» .

قالت چاكلين : «أنت واهم ياسيد بوارو . إننى أستمتع بانتقامى» . فقال لها بوارو : «إن عقلك جدير أن يدلك على الخير . إنك لا تزالين فى مقتبل العمر ،

والحياة تمتد فسيحة أمامك ما لم تنحرف بك وتجرفك معها شهوة الانتقام» . فقالت چاكلين : «أنت لا تعرف الحقيقة . سيمون هو حياتى كلها . ولا سبيل إلى التخلى عنه لها . لقد كنت أحب لينيت كصديقة وكنت أثق بها ، ولكنها خانتنى خيانة طعنت صميم قلبى وجعلت حياتى بدون سيمون فارغة تماماً من كل معانى الحياة . لماذا أسمح لها أن تستولى على سيمون ؟ لا تصدق أنه تزوجها لأنه يحبها أو طمعًا فى مالها . ليست هذه هى الحقيقة . الحقيقة هى أن سيمون رجل يعشق حياة الترف ويحب الظهور بمظهر الأثرياء . والمال يعوزه ، والجو الذى يحيط بحياة لينيت يبهره لأنه يشبه الجو الذى يحيط بملكة متوجة لا يعوزها شيء . وربما أزاغ بصره لبعض الوقت أن يرى المرأة التى يخطب ودها كل رجال بريطانيا تخطب هى وده وتختاره هو من بين كل الرجال الطامعين فى الزواج منها . كنت أنا القمر وكانت هى الشمس ، فلما أشرقت الشمس أمام ناظريه غاب القمر» .

وبحركة سريعة ، دست يدها فى كيس صغير من الحرير وأخرجت مسدساً صغيراً مرصعا باللآلئ وهى تقول : «إن هذا المسدس يبدو صغيرا ولكنه جميل لطيف الشكل . ثق أن رصاصة واحدة منه تكفى لقتل رجل أو لقتل امرأة ، أنا بارعة فى إصابة الهدف . عندما كنت طفلة أعيش فى كنف أمى فى ولاية كارولينا الجنوبية ، كان جدى لوالدتى يعلمنى الرماية لأنه كان من رجال المدرسة القديمة التى يعتقد رجالها أن الرصاصات هى التى تغسل الإهانات . لقد كان والدى أيضا ينتمى إلى رجال هذه المدرسة ، ولقد اشترك فى مبارزات كثيرة بالمسدس وهو شاب ، وكان من أبرع المبارزين . ها أنت ذا ترى ياسيد بوارو أن الدم الحار يجرى فعلاً فى كل شرايينى . لقد قمت بشراء هذا المسدس عندما اكتشفت هذه الحقيقة . كنت أريد أن أقتل أحدهما . وكنت حائرة أيهما أقتل ، كنت أعتقد أن لينيت ستفزع من مجرد تهديدها ولكنها تتمتع بشجاعة كبيرة فقررت أن أطيل تعذيبها بملاحقتها والظهور أمامها حيثما ذهبت لتحطيم روحها المعنوية ، فضلا عن أن ظهورى أمامها فى كل مكان يختليان فيه كاف بحد ذاته لتعكير صفو سعادتهما . ويبدو لى أننى قد نجحت حتى الآن فى هذه الخطة ، وبدأت أشعر بكل لذة الانتقام الطويل المدى . إنها لا تستطيع أن تأخذ على شيئا بطريقة قانونية إذ أننى حريصة كل الحرص على أن أثيرها بالمبالغة فى الأدب والمجاملة . إنه السم الذى أضعه لها فى العسل!» .

أمسك بوارو بذراع چاكلين وقال لها بلهجة حاسمة : «أرجو منك يا آنسة چاكلين ألا تسترسلى وتتمادى فى هذه الخطة . لا تفتحى قلبك للشر يا بنيتى .

عندما تفتحين قلبك للشر ، سيلبى الشر دعوتك ويدخل قلبك . وعندما يدخل الشر قلبًا لا يفارقه بعد دخوله أبدا . أوقفى نفسك عن الشر بنفسك . لا أحد ، لا أنا ولا غيرى ، يستطيع أن يوقفك عن الشر ما لم تتوقفى أنت عنه بنفسك» .

قالت چاكلين : «لن يستطيع أحد أن يوقفنى عن قتلها» . فقال لها بوارو : «لن يوقفك أحد مادمت أنت مستعدة لدفع الثمن» . فقالت : «ها . ها ! إننى لا أخشى الموت ذاته ، ماذا بقى لى لكى أعيش من أجله ؟! هل أنت ممن يعتقدون بخطأ القتل انتقاما من شخص سلبك كل شئ ؟! كل شىء فى حياتك ؟!» فقال لها بوارو : «نعم يا آنسة . إننى بالفعل أعتقد أن جريمة القتل لا يبررها شىء فى الوجود . إنها جريمة لا تغتفر» .

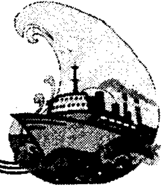
ضحكت چاكلين وهى تقول : «ينبغى إذن أن تقر وتوافق على طريقتى الحالية فى الانتقام . لن ألجأ إلى القتل مادامت الطريقة الحالية فى الانتقام تؤتى ثمارها ... ولكننى لا أكتمك أننى فى بعض الأحيان تثور الدماء الحارة فى شراييني وتطغى علىَّ رغبة جارفة فى أن أقتلها وأن أغرس هذا المسدس فى رأسها ثم أضغط الزناد لينتهى كل شىء!» .

وصاحت چاكلين فجأة وهى تقول : «أوه!» فقال بوارو : «ماذا جرى ؟» فقالت: «كان شخص يقف بين الأشجار يسمع كلامنا وقد انصرف يجرى مبتعدا» .

وتلفت بوارو حيث أشارت چاكلين ، ولم تقع عيناه على أحد . فقال لها : «يبدو أنه لا أحد هنا سوانا يا آنسة» . ونهض بوارو واقفًا وهو يقول : «على كل حال لقد قلت لك كل ما جئت لأقوله . طاب مساؤك» .

ونهضت چاكلين أيضًا واقفة وهى تقول : «أنت تدرك الآن فعلا أننى لا أستطيع أن أفعل ما طلبته منى» . هز بوارو رأسه وهو يقول : «لا . إنك تستطيعين فعلا أن تفعلى ما طلبته منك . توجد لحظة يستطيع الإنسان فيها أن يفعل ما يجب عليه فعله. وإذا انقضت هذه اللحظة ولم يفعل استحال عليه أن يفعل ما يجب . لقد كانت هذه اللحظة موجودة أمام صاحبتك لينيت ولم تستطع أن تفعل ما يجب عليها فعله. عندما تفلت اللحظة لا تكون هناك فرصة أخرى لكى يعمل الإنسان ما يجب عليه أن يفعله» .

قالت چاكلين : «نعم . ليس هنالك فرصة أخرى . طاب مساؤك ياسيد بوارو» . وهز بوارو رأسه ، وهو يمشى معها نحو الفندق .



الفصل الخامس

فى صباح اليوم التالى ، لحق سيمون دويل بالسيد هركيول بوارو بينما كان يغادر الفندق ليتجول فى أنحاء المدينة وناداه قائلا : «ياسيد بوارو» . فقال له بوارو : «صباح الخير ياسيد دويل» . فقال سيمون : «هل أنت ذاهب إلى المدينة؟ ... هل تسمح لى أن أمشى وأن أتحدث إليك؟» فقال بوارو : «بكل سرور» .

أخرج سيمون غليونه من فمه وهو يقول : «أنا أعرف ياسيد بوارو أن زوجتى كانت قد تحدثت معك بالأمس . ولقد سررت عندما أخبرتنى أنك قلت لها إنه لا حيلة لنا فى المشكلة ونحن لا نستطيع تغيير الوضع القائم . إن هذه هى وجهة نظرى بالضبط» . فقال له بوارو : «ليس للمشكلة أى مخرج قانونى» .

قال سيمون : «بالضبط . ويبدو أن لينيت لم تكن تدرك هذه الحقيقة أو كانت تتخيل أنها تستطيع أن تجعل القوانين تسير على هواها كما تشتهى ، وكانت تتخيل أن المشكلة ستنتهى بمجرد أن تقوم بإبلاغ الشرطة . ولكن الاعتبار الذى آلم لينيت ياسيد بوارو هو أن بعض الناس يظنون أن لينيت قد أذنبت فى مسألة زواجنا . الحقيقة هى أنه لو كان فى مسألة زواجنا ذنب فهو ذنبى أنا . ولو فى المسألة أى قدر من النذالة فالنذالة من نصيبى أنا وليست من نصيب لينيت .... هل تحدثت سيادتك مع الآنسة چاكلين دى بلفورت؟» فقال بوارو : «نعم» . فسأله : «هل وصلت معها إلى أى نتيجة ذات جدوى؟» فقال بوارو : «يؤسفنى أننى لم أستطع» . فقال سيمون : «ألم توضح لها أن مسلكها هذا يسيء إليها ويحط من قدرها لأنه يتنافى مع الآداب اللائقة والكرامة واحترام الذات؟» فقال بوارو : «ولكنها مصرة على الانتقام» . فقال سيمون : «فى الواقع لقد نجحت فى إتلاف أعصاب لينيت . كم أتمنى أن أدق عنقها» . فقال بوارو : «هل تبخر حبك لچاكلين دى بلفورت وتريد أن تدق عنقها؟» فقال سيمون دويل : «يا

عزيزى بوارو : لست أجد تشبيها يوضح لك حقيقة موقفى فى هذه المسألة سوى تشبيه الشمس والقمر . طلعت الشمس فلم أشعر بوجود القمر، وبمجرد أن التقيت مع لينيت تلاشت چاكلين من الوجود بالنسبة لى على الأقل» . فقال بوارو : «أنا مندهش من هذا التشبيه» . فقال سيمون: «أقول لك الحقيقة . كانت چاكلين تحبنى أكثر مما يجب . كانت تعتقد أنها تمتلكنى امتلاكًا تامًا . وأنا لا أحب أن أشعر أننى مملوك لأى شخص ، ولذلك أردت أن أتحرر» . وارتجفت أصابعه وهو يعاود إشعال غليونه . فسأله بوارو : «ألا تعتقد لينيت أنها تتملكك امتلاكًا تامًا ؟ هل تعرف أن چاكلين تحمل مسدسًا؟» فقال سيمون : «لا أعتقد أنها سوف تستخدمه ، لو كانت تنوى ذلك لاستخدمته بالفعل قبل أن يتم الزواج . إنها تريد إزعاجنا وتبديد سعادتنا» . قال بوارو : «ربما كنت على حق» . فقال سيمون : «إن كل خوفى يتصل بالخوف على أعصاب لينيت وليس الخوف على حياتها . لقد فكرت فى خطة لإنقاذ أعصاب زوجتى ، اسمح لى أن أعرضها عليك فربما تدخل عليها بعض التعديلات» .

قال بوارو : «وما هى؟» فقال سيمون دويل : «سأعلن على مسمع من چاكلين أننا سنبقى هنا فى أسوان فى هذا الفندق لمدة عشرة أيام ، بينما سأجعل شخصا ما يقوم بالحجز لنا فى رحلة إلى السودان باسم مستعار لى ولزوجتى وستبدأ هذه الرحلة غدًا . وسوف نتسلل إليها دون أن تشعر بنا چاكلين ، ولن تستطيع أن تعرف وجهتنا بعد سفرنا من مكتب السياحة حيث إننا سنستخدم اسمين مستعارين» .

قال بوارو : «إن الشيء العجيب الذى يدهشنى هو أن مقدرتها المالية محدودة وأنا أعجب كل العجب من قدرتها على تمويل رحلاتها لكى تتطابق مع الرحلات التى تقومان بها» .

وظهر الارتباك على وجه سيمون لدى سماعه هذا السؤال ، وتمهل قليلاً وهو يفكر ثم قال : «أنا أعرف أنها تمتلك مستحقات مالية سنوية تقترب من مائتى جنيه كل عام . ومن الضرورى أنها قد باعت استحقاقها لذلك الريع

فى مقابل الحصول على مبلغ كبير نسبيا لتجد ما تنفقه على رحلات المطاردة لنا» .

قال بوارو : «إن خطتك تبدو محكمة لو نجحت نجاحاً فعلياً ولكن چاكلين ذكية وهى ترقبكما بشدة ، إننى قد اشتركت فعلاً فى الرحلة إلى السودان . ويجوز أن يكون آخرون قد اشتركوا فيها . ولكن قل لى : من هو ذلك الشخص الأمريكى الطويل القامة ؟» فقال سيمون : «هل تقصد السيد بننجتون ؟ إنه الوصى الأمريكى على ممتلكات لينيت . إنها لمصادفة عجيبة أن يقابلنا فى رحلة شهر العسل . هل تعتقد أنها مجرد مصادفة؟» فقال بوارو : «هل بلغت زوجتك سِنّ الرشد؟» قال سيمون : «لا . إنها لم تبلغ سنّ الرشد بعد . ولكن زواجها ينهى وصايته على ممتلكاتها ، ولقد كان زواجها مفاجأة للسيد بننجتون . لقد أخبرنا أنه كان قد غادر نيويورك بالباخرة قبل يوم واحد من وصول خطاب لينيت الذى أخطرته فيه بزواجنا ، وهكذا لم تعد چاكلين وحدها هى موضوع حديثنا ، لقد أصبحت أحاديثى مع زوجتى تشمل السيد بننجتون أيضًا» . فقال بوارو : «هل تسمح لى بسؤال آخر؟ هل كانت رحلة شهر العسل بمصر من اقتراحك أنت أم أن زوجتك هى التى اقترحت عليك هذه الرحلة إلى مصر؟» .

احْمَرَّ وجه سيمون وهو يقول : «لقد كنت أفضل الذهاب إلى مكان آخر ، ولكن لينيت أصرت على أن تكون رحلة شهر العسل فى مصر . وإزاء ذلك...» .

لم يتم جملته الأخيرة وازداد وجهه احمراراً . كانت الحقيقة تعلن عن نفسها . إن زوجته هى صاحبة الكلمة العليا ، وهى تفعل كل ما تريد وتشتهى .

وقال بوارو لنفسه : «لقد سمعت ثلاث روايات : سيمون وچاكلين ولينيت . ترى أى الروايات أصدق ؟ وأى الروايات أقرب إلى الحقيقة ؟



الفصل السادس

فى الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالى ركب سيمون وزوجته لينيت أحد القوارب ، وقد أعلن سيمون أنهما ذاهبان للنزهة فى جزيرة فيلة ولزيارة معبد بطليموس الشهير . وكانت چاكلين دى بلفورت جالسة فى شرفة الفندق ترقبهما ، ولذلك لم يتيسر لها أن تشاهد قيام سيارة من الجانب الآخر للفندق وهى تحمل حقائب العروسين مع وصيفة لينيت الفرنسية التى تدعى لويز بورچيه . ومضت السيارة فى طريقها لكى تلحق بالرحلة المتجهة نحو الشلال ثم تمضى إلى السودان .

وكان هركيول بوارو قد اعتزم أن يقضى الساعتين الباقتين قبل الرحلة إلى السودان فى زيارة الجزيرة المواجهة للفندق . وأثناء ركوبه القارب الأبيض اللون المتجه إلى الجزيرة التقى برجلين أحدهما طويل القامة ، أسود الشعر بارز الذقن شاحب الوجه يرتدى بنطلونا رمادى اللون تعلوه القذارة وفوقه قميص قديم ممزق ، وكان الرجل الآخر كهلا حسن المظهر أخذ يتحدث إلى بوارو مستخدما لغة إنجليزية ركيكة بعد أن أبرز له بطاقة وقد كتب عليها : سنيور جويدو ريتشى – عالم فى الآثار . وقدم بوارو إليه بطاقته أيضا فتم التعارف بينهما . وبعد قليل تحول الكلام من استخدام اللغة الإنجليزية إلى اللغة الفرنسية عندما عرف السنيور جويدو ريتشى أن بوارو يجيد اللغة الفرنسية ، كان الرجل الإيطالى شديد الاهتمام بالتحف الأثرية .

وعندما وصل القارب إلى الجزيرة ، وجد بوارو السيدة ألرتون جالسة فوق صخرة وفى يدها كراسة للرسم ، فجلس بجوارها ليتحدث إليها . وعرف منها بوارو أنها ستشترك فى الرحلة إلى السودان مع ولدها تيم ألرتون ، وبعد مضى حوالى ساعتين عاد بهم القارب إلى الفندق واشتبك الشاب مع عالم الآثار فى مناقشة حول قيمة الآثار المصرية ، وظهر من النقاش أن الشاب الذى يرتدى البنطلون الرمادى والقميص الممزق يسارى متطرف لا يهتم بالآثار القديمة ويهتم فقط بتوفير الطعام لكل الناس حتى تمتلئ البطون دون الاهتمام بالفنون والآثار والتاريخ القديم . واحتدمت المناقشة حتى وصل القارب إلى الفندق . وقابلت چاكلين السيد بوارو فقالت له : «إننى ذاهبة لكى أركب حمارا . أليس هذا جميلا ياسيد بوارو؟» فقال لها : «ولم لا . إن ركوب حمار ومشاهدة مناظر الريف شيء جميل جدا» .

وتوجه بوارو إلى حجرته وحزم حقائبه ثم توجه إلى حجرة الطعام حيث تناول وجبة الغداء . ووصلت السيارة الكبيرة التى ستقل المشتركين فى رحلة السودان إلى محطة السكة الحديد لكى يلحقوا بالقطار المسافر إلى وادى حلفا حيث يأخذون منها الباخرة إلى السودان . وهى مسافة يقطعها القطار القادم من القاهرة فى عشر دقائق فقط .

أما السيدة أوتربورن وابنتها فقد كانتا مشتركتين فى الرحلة إلى السودان أيضا بعد زيارتهما لجزيرة فيلة .

وتأخر وصول القطار لمدة عشرين دقيقة ، وهو تأخير معتاد ، وجلس بوارو فى ديوان بالقطار مع السيدة ألرتون وابنها والعانس الأمريكية فان شويلر المتغضنة الوجه التى كانت تتحلى بكمية كبيرة من الجواهر الثمينة وترتدى ثيابا يرجع طرازها إلى القرن الماضى ذات ياقة عالية مدهونة بطبقة سميكة من النشا ، وكانت تنظر من فوق هذه الياقة العالية المنشاة إلى الناس جميعا باستعلاء وغطرسة وامتعاض ، وكانت تجلس أمامها فتاة لم تبلغ الثلاثين من عمرها ، ممتلئة الجسم ، عسلية العينين ، كانت العانس فان شويلر تجد متعة فى إلقاء الأوامر إليها بغطرسة من آن لآخر ، وهى تناديها باسم كورنيليا .

وبعد عشر دقائق من ركوبهم القطار ، وصل بهم إلى مرسى الباخرة النيلية واسمها الكرنك . وكانت السيدة أوتربورن وابنتها على متن الباخرة أيضا . واستقر الجميع فى أماكنهم فوق الباخرة التى كانت مقدمتها عبارة عن برج ضخم من الزجاج يستطيع الجالسون فيها أن يشاهدوا النهر العظيم تجرى مياهه حول الباخرة ، وتحتها حجرة للتدخين وقاعة صغيرة للاستقبال والجلوس وقاعة المائدة .

نزل بوارو إلى قمرته وقام بترتيب حقائبه ثم صعد إلى السطح العلوى للباخرة ليشاهد بداية تحرك الباخرة ، ووقف إلى جوار الآنسة روزالى أوتربورن ولاحظ أن أمارات الضيق كانت بادية على قسمات وجهها ، ولكن زالت أمارات الضيق فجأة وهى تقول لبوارو : «عجبا . هذه هى السيدة لينيت وزوجها . لم يخطر ببالى أنهما مشتركان فى الرحلة إلى السودان . كان زوجها قد أعلن أنهما سيبقيان بالفندق بأسوان!» .

كانت لينيت قد ظهرت فوق سطح السفينة يتبعها زوجها وقد بدا البشر والسرور على وجهها ، وكان سيمون يضحك كطفل نجح فى الهروب من المدرسة وهو يقول

لزوجته بالقرب من أذنها : «ها نحن أولاء قد نجحنا أخيرا فى الابتعاد عنها يالينيت!» .

وسمعا صوت ضحكة عالية رنانة خلفهما ، والتفتت لينيت خلفها لترى صاحبة الضحكة فوجدت نفسها وجها لوجه أمام چاكلين دى بلفورت التى بادرت بالقول : «هالو لينيت ! لم أكن أتوقع أن أراك هنا . سمعتك تقولين أنك ستمكثين بالفندق بأسوان عشرة أيام أخرى . يا لها من مفاجأة أن أجدك هنا» . فقالت لينيت : «أنا أيضا لم أكن أتوقع أن أراك» . فقالت چاكلين : «أحقا؟» وابتعدت عنها چاكلين وتعلقت لينيت بعصبية بذراع زوجها . أما زوجها سيمون فقد وقف زائغ النظرات يبذل جهدا كبيرا فى مغالبة غضبه .

وبعد بضع ساعات كان بوارو يتأمل مناظر بلاد النوبة عندما لحقت به لينيت لتبادره بالقول : «ياسيد بوارو . إننى خائفة . خائفة من كل شىء . لم أشعر بمثل هذا الشعور من قبل . إلى أين نحن مساقون ؟ إننى خائفة . كل الناس يكرهوننى ما عدا زوجى سيمون . ما أفظع هذا الشعور!» فقال بوارو : «ماذا حدث ياسيدتى؟» فقالت لينيت : «عفواً . ربما كان انهيار عصبى قد أصابنى . إننى أشعر أن كل ما حولى مخيف . ترى ما نهاية كل ذلك ؟ هل أنا هنا فى نطاق فخ محكم حولى لا مخرج منه ؟ أنا لم أعد أعرف أين أنا الآن ، وإلى أين أنا ذاهبة!» .

وارتمت فوق أحد المقاعد . وأخذ بوارو ينظر إليها فى رثاء وإشفاق ... ثم قالت لينيت : «كيف عرفت چاكلين أننا سنسافر فى هذه الرحلة؟» فقال بوارو : «إن لها عقلا ذكيا» فقالت لينيت : «عندى شعور أننى لن أفلت من يدها!» فقال لها بوارو : «إن عندى حل لم يخطر ببالك فيما يبدو ، خصوصا أن المال لا يعوزك» . فقالت لينيت : «ما هو ؟» فقال بوارو: «لماذا لا تستأجرين سفينة خاصة لاستعمالكما الشخصى؟» . فقالت لينيت : «أنت لا تعرف كل ظروفى ياسيد بوارو . إن سيمون مرهف الإحساس للغاية . وهو لا يريد أن يستهلك الكثير من أموالى ويحب الوجود بين الناس . ولقد تمسك أن يتحمل نفقات شهر العسل . ولقد اضطررت إلى الموافقة على رأيه ريثما يمكن لى تكييفه تدريجيا على قبول الصرف من أموالى» . وبدا عليها الشعور بالخجل لاضطرارها إلى قول أسرار علاقتها بزوجها من الناحية المالية فاستأذنت فى الانصراف لتبديل ثيابها .



الفصل السابع

جلس بوارو إلى مائدة العشاء التى كانت تجلس إليها السيدة ألرتون وابنها . وبمجرد أن تناول بوارو وجبة العشاء شعر بالرغبة فى النوم ، فانصرف إلى قمرته مبكرا، وقبل أن يستغرق فى النوم ترامى إلى مسامعه صوت سيمون دويل وهو يقول أثناء سيره فى الممر الموجود بين القمرات : «لابد من المضى فى الطريق إلى النهاية» . ثم استغرق بوارو فى النوم حتى الصباح .



الفصل الثامن

وصلت السفينة إلى نهاية مرحلة من مراحل الرحلة فى الصباح وألقت مراسيها ليتاح للركاب فرصة النزول إلى الشاطئ والتريض عليه لبعض الوقت . كانت كورنيليا روبسون هى أول من نزل إلى الشاطئ مبتهجة وقد وضعت فوق رأسها قبعة عريضة الحواف ، ولما أبصرت بوارو وهو يرتدى بدلة من الحرير الأبيض وقميصا أحمر اللون وربطة عنق سوداء اللون ويبدو كما لو كان من المشتغلين بفن من الفنون ، بادرت إلى تحيته ، ومشت معه قاصدين زيارة أحد المعابد القديمة . وبعد قليل من الوقت تقابلا مع روزالى أوتربورن وحيدة عابسة الوجه ، فانضمت إليهما ، ثم التقى ثلاثتهم بالدكتور بسنر النمسوى الجنسية وقد أمسك بيده نسخة ألمانية من دليل السياحة ليستدل على آثار المنطقة ، بينما كانت السيدة ألرتون تتحدث إلى جيمس فانثورب . وشاهد الجميع السيدة لينيت دويل وهى تتأبط ذراع الوصى الأمريكى ، السيد بننجتون ، وأخذوا جميعا يستمعون فى انتباه شديد إلى الشروح التى كان يقولها لهم المرشد السياحى عن تمثال ضخم لأحد الفراعنة .

وعادت الجماعة إلى السفينة التى لم تلبث أن تحركت وتبدل المنظر من الرمال والصخور إلى أرض تكسوها خضرة الزراعة وأشجار النخيل ، فساعد ذلك على اختفاء الوجوم من وجوه كانت واجمة لا سيما وجه روزالى ووجه لينيت مما شجع بننجتون على أن يقول للسيدة لينيت : «ربما كان مما ينافى الذوق أن يتحدث رجل إلى سيدة فى شهر العسل فى شئون العمل ولكن هناك بعض المسائل ...» فقاطعته لينيت مشجعة بقولها : «لا عليك يا عمى أندرو بننجتون . أنا مدركة تماما أن زواجى المفاجئ يترتب عليه بطبيعة الحال ظهور بعض المشكلات الملحة» . فقال بننجتون : هذا هو الحال فى حقيقة الأمر . ربما أحتاج فى الوقت الذى يروق لك إلى توقيعك على بعض الأوراق لأنه بعد زواجك لم تعد لى صلاحية التوقيع عليها من الناحية القانونية البحتة» . فقالت لينيت : «ولم لا أوقع عليها الآن لننتهى منها؟» .

تلفت بننجتون حوله فوجد الصالون خاليا لوجود المسافرين فوق سطح الباخرة فيما عدا ذلك اليسارى المتطرف فيرجسون الذى كان يجلس فى ركن بعيد يتناول مشروبا وقد مد ساقيه أمامه وهو يحدث صفيرا منغما بفمه . وكان هنالك أيضا بوارو ينظر إلى البحر من خلال الزجاج المحيط بالصالون فى هدوء وتأمل . وكانت العانس فان شويلر تجلس فى ركن آخر بعيد تقرأ كتابا عن مصر . وجد بننجتون أن الموجودين بالصالون الواسع عددهم قليل ، وكل منهم مشغول بشأن من شئونه ، فاستأذن من لينيت لكى يحضر بعض الأوراق من قمرته ، ولم يلبث أن عاد إليها وهو يحمل فى يده أحد الملفات المكتظ بأوراق كثيرة فصاحت لينيت عندما شاهدتها : «رباه ! هل سأقوم أنا بالتوقيع على كل هذه الأوراق . ظننتها ورقة أو ورقتين!» فقال لها بننجتون. «هذا مزعج طبعا . ولكننى أحب أن تكون جميع الأوراق الخاصة بك مستوفاة كاملة ، هذا عقد إيجار عمارة الشارع الخامس فى نيويورك . وهذه هى عقود الأراضى فى الجانب الغربى...» .

وكان زوجها سيمون آنذاك يتثاءب عندما دخل إلى الصالون السيد فانثورب وتفرس فى الموجودين بالصالون كأنه يحاول اختيار شخص يجلس بجواره . ويبدو أنه قرر أن يجلس بجوار بوارو فمشى نحوه وجعل يتأمل معه من خلال الزجاج المياه الباهتة اللون ورمال الشاطئ الصفراء ، وكان يختلس بعض النظرات صوب لينيت

وبننجتون ، فلمحه وهو يشير بإصبعه إلى موضع خال ثم يقول : «وقعى بإمضائك هنا» .

تناولت لينيت الورقة وقرأت بعض سطورها ، وقلبتها لتقرأ من أول سطورها ثم تناولت القلم وقامت بالتوقيع . وتناول منها بننجتون هذه الورقة وناولها ورقة أخرى . واتجه فانثورب نحوهما فسمع بننجتون وهو يقول : «وهذا عقد إيجار لا لزوم لقراءة كل تفاصيله» . لكن لينيت تناولت منه العقد وشرعت فى قراءة نصوصه فقال لها بننجتون : «هذا العقد محشو بكثير من المصطلحات القانونية . لا تتعبى نفسك يا ابنتى بقراءة تفاصيله وإلا استغرق منك توقيع كل هذه الأوراق اليوم كله» .

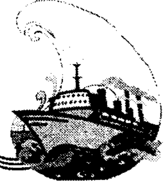
فقالت لينيت : «أنا دائما أحب أن أقرأ كل شىء بعناية . لقد علمنى أبى ذلك وأوصانى بالحرص عليه . كان أبى يقول لى إنه من الممكن أن تكون بالأوراق خدعة كتابية . أليس هذا جائزا؟» فقال زوجها سيمون : «أما أنا فلا صبر لى على قراءة أى شىء. أنا أثق فى جميع الناس . ومن عادتى أن أوقع دائما حيث يشيرون بالتوقيع» . وتأمله بننجتون بنظرات فاحصة وهو يقول : «وأنا أيضا أثق فى كل الناس ولم يحدث أبدا أن خدعنى أحد» .

فى هذه اللحظة حدث ما لم يتوقعه أحد إذ التفت نحوهم جيمس فانثورب ، ووجه كلامه إلى لينيت مع أنه لم يكن قد تعرف إليها من قبل فقال لها : «أرجو ألا أكون متطفلا ياسيدة لينيت ، ولكن اسمحى لى أن أطرى كفاءتك فى إدارة الأعمال . لقد صادفت فى عملى – وأنا محام – سيدات لا يقدرن مسئوليات الأعمال ويوقعون بإمضائهن على أوراق ما كان يصح أن يضعن توقيعهن عليها مما سبب لهن مشكلات قانونية ، من الأفضل لك ياسيدتى ألا توقعى على أى وثيقة إلا بعد قراءتها قراءة دقيقة متأنية» . وبادر بالانحناء لها فقالت لينيت : «شكرا لك ياسيد» .

وظهر الضيق على وجه بننجتون وابتسم سيمون وقالت لينيت : «هات وثيقة أخرى من فضلك» . فقال : «من الأفضل إرجاء التوقيع على بقية الأوراق إلى فرصة أخرى . إنك تستغرقين وقتا طويلا فى القراءة ، ولقد اقترب موعد الغداء ، وبقية الأوراق ليست عاجلة» . فقالت لينيت : «كما ترى . هيا بنا إلى سطح الباخرة ، الجو

حار هنا» . وخرجوا ثلاثتهم متجهين إلى سطح السفينة ، ولاحظ بوارو أن فانثورب لا تزال أذناه محتفظتين بلونهما الأحمر من جراء الخجل الناجم عن تدخله في حوار أناس لا يعرفهم بينما كانت العانس فان شويلر تكاد نظراتها تلتهم فيرجسون وهو جالس يشرب ويصفر بفمه كما يفعل السوقة. وعندما دخلت كورنيليا إلى الصالون أفرغت فيها فان شويلر جام غضبها ووجهت إليها توبيخا شديد اللهجة بحجة أنه ما كان ينبغى لها أن تغيب عن أنظارها وهى لا تستطيع أن تستغنى عن خدماتها فى أى وقت ، وراحت تذكر كورنيليا بأنها قد اصطحبتها معها فى هذه الرحلة على نفقتها الخاصة مما يكلفها ضعف النفقات لكى تقوم كورنيليا بخدمتها فكيف بها تغيب عن نظرها ولماذا لا تلزم جوارها ؟! وطلبت من كورنيليا أن تعد لها مقعدا مريحا على سطح الباخرة كى تستنشق الهواء . وقرر بوارو هو الآخر أن يصعد إلى سطح الباخرة واتخذ طريقه فعلا إلى السطح ، ولم يكد يمشى حتى كاد يصطدم بشابة سمراء ، لاتينية الملامح ، وكانت تتحدث إلى رجل يرتدى زى بحار ، فلما أبصراه ظهر عليهما الارتباك على نحو لفت انتباه بوارو الذى قال فى نفسه ماذا عساهما كانا يفعلان؟ وانصرف البحار والشابة السمراء ومشى بوارو مسافة قليلة ليفاجأ باندفاع السيدة أوتربورن من قمرتها نحوه وأخذت تشكو له جحود ابنتها التى فعلت من أجلها كل شيء . وبذل بوارو جهدا كبيرا فى إقناعها بالعدول عن الشكوى لكل الناس والدخول إلى قمرتها مرة أخرى ، ومشى بوارو فى طريقه حتى عثر على روزالى أوتربورن جالسة بين السيدة ألرتون وابنها تيم فقال لها : «أمك تريدك يا آنسة» . عبس وجه روزالى ونهضت مسرعة نحو قمرة أمها .

وتجاذب تيم وأمه أطراف الحديث عن روزالى أوتربورن وتقلب حالتها المزاجية لبعض الوقت حتى نادى أحد عمال الباخرة أن الغداء جاهز . فقالت السيدة أوتربورن: «الغداء . إننى جائعة» . ووقف ابنها تيم ألرتون وهو يقول : «هذه الدنيا لا تساوى شيئا» . فقالت روزالى : «ليس فى الدنيا عدل . بعض الناس لديهم كل شيء» . وتثاءب بوارو وهو يقول فى نفسه : «من حسن الحظ أننى قد تجاوزت عمر الشباب!» .



الفصل التاسع

كانت صيحات السرور والابتهاج تنتقل من الأفواه إلى المسامع فوق سطح الباخرة «الكرنك» صباح يوم الإثنين لدى دخولها بالقرب من الشاطئ أمام معبد منحوت فى الصخر الجبلى ويقف أمام المعبد فى صلابة وشموخ أربعة تماثيل بالغة الضخامة والارتفاع . كان ذلك المعبد هو معبد أبى سمبل الشهير .

نزل جميع ركاب «الكرنك» ليشاهدوا المعبد ، وقد أخذ بوارو يتجاذب أطراف الحديث مع بننجتون فعرف منه مبلغ صلته بجد لينيت وكيف صار هو الوصى على مجمل تركتها وممتلكاتها . وعند وصولهما إلى باب المعبد افترقا ، وأخذ الجميع يتابعان شروح المرشد السياحى وهو يشرح لهم تاريخ الآثار الموجودة فى معبد أبى سمبل .

وقال سيمون لزوجته لينيت : «لقد سئمت هذه التماثيل . هيا نخرج إلى ضوء النهار حيث الهواء الطلق» .

ضحكت لينيت وأذعنت لرغبة زوجها وخرجت معه من المعبد ليمشيا فوق الرمال الدافئة تحت أشعة الشمس الساطعة . وإذ أجهدهما المشى ، جلسا وقد أسند كل منهما ظهره إلى ما يشبه الجدار الصخرى الذى شادته الطبيعة فى بطن الجبل .

وقالت لينيت : «كم أشعر بالسعادة هنا وأشعر بالأمن والاطمئنان» . وأغمضت عينيها . بينما كان زوجها مفتوح العينين ورأى عددا من زملاء الرحلة يلوحون له أن يبتعد عن المكان دون أن يعرف السبب ، ولكنه نهض وجذب لينيت من يدها بقوة ، فتحركت معه بضع خطوات عن مكان جلوسهما ، وفى

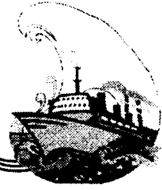
نفس اللحظة سقطت كتلة كبيرة من الصخر من فوق الجبل إلى المكان الذى كانا يجلسان فيه . ولو كانت لينيت قد ظلت جالسة فى مكانها لسحقتها الصخرة سحقا تاماً .

احتضن سيمون زوجته بشدة وقد ابيضّ وجه كل منهما من شدة الخوف والفزع من المصير الذى أفلتا منه بأعجوبة ، وأسرع نحوهما تيم ألرتون وبوارو وهما يهنئانهما على النجاة من موت كان يبدو محققا . ونظروا جميعا نحو قمة الجبل الذى انحدرت منها كتلة الصخر فلم يبصروا أحدا .

لم تنطق لينيت بكلمة واحدة . وكان وجه سيمون متجهما تبدو عليه أمارات الغضب الشديد، وقال : «عليها اللعنة» . فقال تيم : «هل سقطت الصخرة بفعل فاعل أم أنها سقطت مصادفة من تلقاء نفسها؟» وقال بوارو مخاطبا لينيت : «من الأفضل يا سيدتى أن نسرع بالعودة إلى الباخرة لتجدى شيئًا تتناولينه لتستردى قواك» .

أسرعوا عائدين إلى الباخرة ، وعندما وصلوا إليها وقف سيمون مبهوتا حائرا عندما شاهد چاكلين دى بلفورت تهبط على السلم داخل الباخرة لتنزل إلى الشاطئ وهى ترتدى ثوبا أزرق اللون وعلى وجهها آيات الهدوء والبراءة . ولم يتمالك سيمون نفسه من أن يقول بصوت مسموع : «يا إلهى ! لقد كان الحدث إذن قضاءً وقَدَراً !» وتلاشى الغضب من وجهه ، وبدا عليه الارتياح» .

وتطلع بوارو إلى الوراء فشاهد فان شويلر عائدة وهى تستند إلى ذراع ممرضتها ومن ورائها السيدة ألرتون والسيدة أوتربورن . وهز بوارو رأسه وصعد إلى سطح الباخرة .



الفصل العاشر

وصلت الباخرة إلى وادى حلفا أثناء الليل . وفى الصباح خرج ركاب الكرنك لمشاهدة الشلال وهم يركبون الجمال بينما آثر بوارو لاعتبارات صحية والسيدة ألرتون لاعتبارات الكرامة ألا يركبا الجمل مفضلين السير على الأقدام إلى موقع الشلال . وكان من الطبيعى أن يتجاذبا أطراف الحديث وأن يتطرق الحديث بينهما إلى حادثة الصخرة التى سقطت حيث كانت لينيت وزوجها يجلسان بالقرب من معبد أبى سمبل .

قالت السيدة ألرتون : «لقد هربت من الخطر بأعجوبة . هل تظن ياسيد بوارو أن بعض أولئك الأطفال السمر النوبيين قد دحرجوا الصخرة وهم لا يقصدون أى ضرر؟» فقال بوارو : «ربما كان ذلك صحيحا ياسيدتى» . وبادر بوارو إلى تغيير الحديث من هذا الموضوع الغامض إلى موضوع آخر فسألها عن جزر ماجور الإسبانية وأخبرها أنه يرغب فى أن يقضى فى ربوعها بعض الوقت .

وبينما كانت السيدة ألرتون تتحدث إلى السيد بوارو عن جزر ماجور الإسبانية كان تيم ألرتون منهمكا فى الحديث مع الآنسة روزالى أوتربورن .

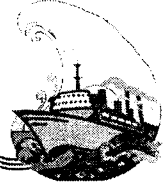
أما العانس فان شويلر فقد بقيت فى الباخرة لأن السير إلى مكان الشلال يفوق قدراتها الصحية ، وصممت على أن تبقى ممرضتها الفرنسية الآنسة بويرز معها لأن كورنيليا كانت قد خرجت دون إذن منها بصحبة الدكتور بوسنر المتقدم فى العمر . ولقد كانت فان شويلر لا توافق على قيام أى علاقة من أى نوع بينه وبين كورنيليا ، ولكنها عندما عرفت أنه يمتلك عيادة مشهورة وهو قد حقق شهرة عالمية تعم أقطار أوربا فى علاج الأمراض العصبية ، فلقد كفت عن الزمجرة كلما شاهدته يتقرب إلى كورنيليا ، بل إنها أصبحت ترحب به وتهش له .

وعاد المتفرجون على الشلال إلى الباخرة مرة أخرى ، ولم تكد لينيت تدخل الباخرة حتى صاحت قائلة : «توجد برقية لى!» . وأمسكت بالبرقية وفضت غلافها وهى تقول فى دهشة : «لست أفهم حرفا واحدا منها : بطاطس وبنجر ؟ ما معنى هذا ياسيمون؟» وتقدم سيمون نحوها ليقرأ كلمات البرقية بنفسه ، ولكن فوجئ الجميع بعالم الآثار الإيطالى ريشتى يجرى ويقفز على يد لينيت وينتزع البرقية منها وهو يقول : «هذه البرقية لى أنا» . فقالت لينيت فى محاولة للاعتذار عن قراءة برقية تخصه هو لا تخصها : «كان لقبى قبل الزواج هو ريدچواى ، وهو قريب الشبه عند

كتابته من ريتشى . ولذلك ظننت أن البرقية تخصنى» . ولكن ريتشى أجابها بفظاظة بقوله : «الأسماء على البرقيات يلزم أن تقرأ بعناية. الخطأ فى مثل هذه الحالات لا يغتفر!» ... وتأبط سيمون ذراعها ومضى بها إلى الشاطئ .

وكانت الباخرة الكرنك لا تزال راسية بجوار الشاطئ بالقرب من الشلال عندما ظهر على سطحها فجأة الكولونيل ريسى الذى وضع يده على كتف بوارو وهو منهمك فى تهدئة چاكلين دى بلفورت المصممة على مواصلة الانتقام ، وقال الكولونيل ريسى لبوارو : «إن صديقتك معتلة المزاج ياسيد بوارو !» فقال بوارو : «من؟ الكولونيل ريسى؟!» فابتسم الكولونيل الذى اكتسب وجهه لون البرونز من جراء كثرة تعرضه لأشعة الشمس : «هذه مفاجأة لك ياعزيزى بوارو ، أليس كذلك؟» فقال بوارو : «كيف أتيت إلى هذه الباخرة؟ لقد تركتك فى لندن العام الماضى» . فقال ريسى : «سأركب معكم هذه الباخرة لكى أعود إلى أسوان فى رحلة عودتها» . فقال بوارو : «ولماذا لا تركب باخرة من بواخر الحكومة ؟ بواخر الحكومة تتحرك ليلاً ونهاراً ، وهذه الباخرة تتحرك نهارا وتتوقف عن الحركة ليلاً» . قال ريسى : «لماذا تكثر من الأسئلة يابوارو ؟ بما أننا صديقان وربما أحتاج بعض خدماتك مجانا كالعادة دعنى أقل لك لتكتم عنى ، إننى قد صعدت إلى هذه الباخرة بالذات لمراقبة أحد الركاب المسافرين حاليا عليها» . فقال بوارو : «من هو ؟ لقد أصبحت أعرف جميع ركابها» . فقال ريسى : «أنا لا أعرفه على وجه التحديد ، ولو كنت أعرفه لكانت المسألة سهلة ... إنه متآمر دولى وهو متهم بكثير من جرائم القتل ، وهو واسع الحيلة وبارع فى التنكر . كل ما أعرفه أنه من ركاب هذه الباخرة ياعزيزى بوارو» . فقال بوارو : «يسرنى كثيرا أن تصحبنى فى هذه الرحلة ياعزيزى الكولونيل ريسى . وأرجو أن نصل معًا إلى اكتشاف ذلك القاتل الغامض الشخصية . وبهذه المناسبة دعنى أخبرك أن السفينة الكرنك هذه مشحونة بأجواء الجرائم والمغامرات» .

وشرع بوارو يقص على الكولونيل ريسى موجز مشكلة لينيت وزوجها وصديقتها چاكلين والوصى الأمريكى على ممتلكاتها ، وتوج هذه التشكيلة من الظروف والملابسات الغريبة بحادثة الصخرة واختتم كلامه بقوله : «أضرع إلى الله أن نصل إلى أسوان دون أن يحدث أمر جلل مكروه .. لقد نصحت اليوم السيدة لينيت دويل أن تمكث مع زوجها لبعض الوقت فى الخرطوم ، وألا تعود فى رحلة العودة على هذه الباخرة ، ولكنها رفضت الاقتراح» . فقال الكولونيل ريسى : «ألا تنظر إلى الأمور بتشاؤم ياعزيزى بوارو؟» فهز بوارو رأسه وهو يقول : «إننى خائف . أنا ، هركيول بوارو ، أقول إننى خائف...» .



الفصل الحادى عشر

فى طريق عودة الباخرة «الكرنك» ألقت الباخرة مراسيها مرة أخرى بالقرب من معبد أبى سمبل عند المساء ، وكان ذلك المساء حارا . وقررت إدارة الباخرة تنظيم زيارة للركاب إلى معبد أبى سمبل فى ضوء أنوار صناعية ليتسنى للمسافرين الاستمتاع برؤية محتويات المعبد ليلا فى جو أقل حرارة من جو النهار . ولذلك اختلفت هذه الزيارة للمعبد عن الزيارة الأولى .

كانت كورنيليا هذه المرة تتبادل الحديث مع الفوضوى اليسارى فيرجسون الذى كان بادى الإعجاب بكورنيليا التى كانت تبدى إعجابها وإطراءها للدكتور بوسنر وتتمنى أن يكون موجودا معها ليشرح لها بثقافته الواسعة المعانى الكامنة فى هذه الآثار القديمة الموجودة بالمعبد إلى حد أن تضايق فيرجسون وقال لها : «إننى أعجب كيف تقبلين صحبة هذا العجوز الممل!» فقالت كورنيليا : «إنه رجل طيب ، رقيق القلب ، واسع الثقافة» . فقال فيرجسون : «ثقافة ؟ إن هذه الكلمة تسبب لى كثيرا من النفور والتقزز . إنها من ترهات الأرستقراطية الزائفة التى تمتع شخصيات مثل شخصية خالتك فان شويلر . إننى أعرف أنها تكرهنى لأنها أراستقراطية متعجرفة ولا ترى أننى إنسان مثلها» . فقالت كورنيليا : «أريدك أن تتوقف عن السماح لهذه النوبات الثورية بحيث لا تدعها تسيطر عليك» . فقال فيرجسون : «كيف تريدننى ألا أثور على هذه الفروق الخرافية بين البشر من وجهة نظر أفراد الطبقة الأرستقراطية ؟!» فقالت له كورنيليا : «إننى أعتقد أنه توجد آفة فى معدتك تجعلك ثائر الأعصاب حاد الطبع مختل الكلام . عندما نعود إلى الباخرة سأعطيك قليلا من دواء البيسين الذى تتعاطاه خالتى فان شويلر . ربما يهدئ هذا الدواء من ثورة أعصابك» . فقال فيرجسون : «اسمعى ياكورنيليا . أنت أجمل وأحسن الناس بين ركاب هذه الباخرة. هذه هى الحقيقة أقولها لك . تذكرى هذه الحقيقة دائما ولا تسمحى لخالتك أو أى شخص آخر أن يذلك وينظر إليك باستعلاء وغطرسة» .

وعندما عادت كورنيليا إلى الباخرة وجدت خالتها تتحدث إلى الدكتور بوسنر وتسأله عن مرضاه من مشاهير الأمراء والأميرات والناس الأغنياء . ولما رأت العانس فان شويلر كورنيليا صاحت بها قائلة : «أين شالى القطيفة ؟ لقد بحثت عنه فلم أجده» .

وأسرعت كورنيليا تبحث عن الشال الثمين فلم تعثر له على أثر ، فأرغت فان شويلر وأزبدت قبل أن تذهب إلى مخدعها لتنام .

واستمرت لينيت وسيمون يلعبان البريدج مع بننجتون والكولونيل ريسى حول مائدة بأحد الأركان . وكان بوارو جالسا يتثاءب من آن لآخر إلى مائدة صغيرة بالقرب من المدخل بينما كان فانثورب جالسا بمفرده يطالع كتابا .

ونهض بوارو عن مقعده معتزما الخروج إلى سطح الباخرة ، ولم يكد يمشى بعض خطوات فى الممر حتى كاد يصطدم بالآنسة چاكلين دى بلفورت التى كانت مقبلة من الجهة الأخرى تمشى على عجل . بادلها بوارو التحية ثم استأنف سيره إلى قمرته لينام بينما دخلت چاكلين إلى الصالون .

وكانت كورنيليا قد فرغت من مصاحبة خالتها إلى مخدعها وعادت إلى الصالون إذ لم تكن ترغب فى النوم آنذاك فوجدت چاكلين دى بلفورت تقترب منها وتتحدث إليها: «هل اشتركت فى زيارة المعبد ياكورنيليا؟» فقالت كورنيليا : «نعم . الليلة مقمرة. وكانت الزيارة هذه المرة ممتعة ، وكانت المناظر رائعة» . فقالت چاكلين بصوت عال : «نعم . هذه ليلة جميلة حقا . ليلة من ليالى شهر العسل بمعنى الكلمة!» والتفتت چاكلين نحو لينيت وضغطت على أحد الأجراس بشدة ولمدة طويلة ، فحضر إليها واحد من الخدم فأمرته أن يحضر لها مشروبا . وكان سيمون دويل يراقب حركاتها مما جعله ينصرف عن اللعب ، وكانت زوجته لينيت تنبهه أكثر من مرة أن دوره فى اللعب قد حان وهو مشغول عن ذلك بمراقبة چاكلين بقلق وترقب شديد .

وأحضر الخادم لچاكلين المشروب الذى كانت قد طلبته فشربت چاكلين محتويات الكأس دفعة واحدة ورمت الكأس الفارغ على الأرض فأحدثت صوتا مسموعا وهى تقول بصوت مخمور : «فى صحة الجريمة» . وطلبت من الساقى أن يحضر لها كأسا أخرى ، ثم راحت تغنى بصوت مخمور أغنية مطلعها يقول : «لقد كان رجلها ، ولكنه خان عهدها!» ...

وعندئذ نهضت لينيت واقفة وهى تقول : «أشعر بالرغبة فى النوم . أستأذنكم فى أن أذهب إلى فراشى » . وكذلك أعلن كل من الكولونيل ريسى والسيد بننجتون عن رغبة كل منهم فى النوم ، أما سيمون فقد أعلن أنه سيبقى بالصالون قليلا ريثما يتناول كأسا من الشراب .

وهكذا انصرفت لينيت وحدها هذه المرة إلى مخدعها ومشى وراءها كل من ريسى وبننجتون . أما كورنيليا وقد أزعجها السكر الواضح فى تصرفات چاكلين فقد

عمدت إلى لملمة أدوات التريكو لكى تنصرف . ولكن چاكلين جعلت تتوسل إليها أن تبقى معها حتى لا تتركها وحيدة واضطرت كورنيليا إلى الاستجابة لرجائها بعض الوقت . وكان الساقى قد أحضر الكأس الثانية فشربتها چاكلين دفعة واحدة أيضا ثم أخذت تكرر غناء أغنيتها مرة أخرى . وأرادت كورنيليا أن تنصرف متعللة بأن الوقت قد تأخر فتشبثت بها چاكلين وهى تقول : «من المستحيل أن أتركك تذهبين . اجلسى معى وحدثينى عن نفسك» . فقالت كورنيليا : «ليس فى حياتى ما يستحق الذكر . إننى لم أفارق منزلنا إلا عندما جئت فى هذه الرحلة فى صحبة عمتى ، ولذلك أجد أننى أستمتع بهذه الرحلة متعة كبيرة فى كل لحظة» . فقالت چاكلين: «لا . لا تحدثينى عن الرحلة . حدثينى عن نفسك بالتفصيل» . وحاولت كورنيليا أن تؤلف موجزا لتاريخ حياتها تستطيع أن تقوله أمام الآخرين بصوت عال وكلما همت أن تكف عن الكلام وتنصرف كانت چاكلين تستحثها على المزيد من الكلام وهى تكرر طلب كأس من الشراب بعد الآخر مما أقلق كورنيليا وجعلها تخاف حدوث شىء غير عادى . وحدث بالفعل ما كانت تخشاه كورنيليا إذ التفتت چاكلين نحو سيمون دويل الذى كان لا يزال جالسا يقرأ إحدى المجلات ، وقالت له بلهجة آمرة : «اضغط الجرس يا سيمون . أنا أريد كأسا أخرى» . فقال لها سيمون : «لقد شربت كئوسا كثيرة ياچاكلين» . فصاحت چاكلين : «وما شأنك أنت؟» فهز سيمون كتفيه وهو يقول: «لا شىء» . وظلت چاكلين تحملق فيه ثم قالت له : «ماذا دهاك ياسيمون ؟ هل أنت خائف» . ولم يجب سيمون بكلمة واحدة ، وراح يقلب صفحات المجلة بسرعة وعصبية . وأعلنت كورنيليا عن رغبتها فى الانصراف فقالت لها چاكلين بلهجة آمرة : «لا تنصرفى يا كورنيليا . أنا بحاجة إلى وجود امرأة أخرى معى هنا لكى تشجعنى وتشد من أزرى» . وأخذت تضحك وهى تقول : «هل تعرفين مم يخاف سيمون ؟ إنه يخاف أن أحكى لك أنا أيضا قصة حياتى بعد أن سمعت قصة حياتك . ولماذا يخاف أن أروى أنا قصة حياتى ؟ إنه يخاف لأننى كنت مخطوبة له ثم خاننى مع صديقتى !» فقالت كورنيليا : «هل ما تقولينه صحيح ؟» فقالت چاكلين : «صحيح ! لقد عاملنى أسوأ معاملة ... أليس كذلك يا سيمون؟ أليس هذا صحيح ؟» فقال لها سيمون: «اذهبى إلى فراشك يا چاكلين . أنت سكرانة» [1] . فقالت له : «لو كنت تشعر بالحرج ياعزيزى سيمون من سماع ماضيك تستطيع أنت أن تذهب إلى فراشك لتنام» . فقال سيمون : «سأبقى هنا» .

(١) إن السكر يذهب العقل ، وحينئذ تقع الجريمة ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال «اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث» والجرائم من الخبائث .

وأغلق فانثورب الكتاب الذى كان يتظاهر بقراءته ونظر فى ساعته وغادر الصالون وهو يتثاءب . أما چاكلين فقد حملقت فى وجه سيمون ثم صاحت بصوت عال : «هل تظن أيها الرجل الأحمق أنك تستطيع أن تصنع معى كل ما صنعت وتظل ناجيا فى أمان ؟ لقد سبق أن قلت لك إننى سأقتلك ولا أتركك لامرأة أخرى وأنت تحسبنى لا أعنى ما أقول ولا أستطيع التنفيذ ، والحقيقة أننى كنت أختار فقط موعد التنفيذ . أنت رجلى ! هل تسمعنى ؟ أنت ملك يدى . أنا أمتلكك!» .

ظل سيمون جالسا فى مكانه لا ينطق بكلمة واحدة . وعبثت يد چاكلين حول خصرها ثم بسطت يدها ممسكة بمسدس صغير وضغط الزناد وانطلق الرصاص ، وصرخ سيمون صرخة مكتومة وهو يتلوى ويسقط عن مقعده . وصرخت كورنيليا ثم أسرعت نحو الباب وهى تنادى على فانثورب ، ووقفت چاكلين مفتوحة الفم ترتعد رعدة عنيفة من قمة رأسها حتى اخمص قدمها وقد تركزت نظراتها على الدم الذى ظهر فوق بنطلون سيمون عند ركبته ، وكذلك الدم الذى خضب المنديل الذى حاول سيمون أن يضغط به على موضع الإصابة ... وسقط المسدس من يدها على الأرض ، فركلته بقدمها فاندفع المسدس حتى استقر تحت واحد من المقاعد . وكان فانثورب قد وصل تلبية لاستغاثة كورنيليا فبادره سيمون بقوله : «أرجوك يافانثورب أن تكتم هذا الخبر ... قل إنه كان مزاحا أو أى شىء من هذا القبيل . من الأفضل أن نتكتم هذه الفضيحة !» وطمأنه فانثورب من هذه الناحية راجيا ألا يقلق بهذا الشأن ، وجاء خادم نوبى يفرك عينيه من أثر النوم يسأل عما حدث فقال له فانثورب : «لا شىء ! إنه مزاح بين سكارى . وافتر ثغر الخادم النوبى عن أسنانه البيضاء وانصرف دون كلمة أخرى ، فقال فانثورب : «لا أظن أن أحدا غيرنا قد سمع ما حدث . كان الصوت ضعيفا أشبه ما يكون بفرقعة زجاجة عند نزع السدادة عنها . وعلينا الآن أن نهتم ...» .

وقاطع كلام فانثورب صوت چاكلين وهى تبكى بكاء هستيريا وتقول : «رباه ! ليتنى مت قبل هذا . سأقتل نفسى ، خير لى أن أموت ! ماذا فعلت ؟!» .

وأسرعت كورنيليا نحوها تحتضنها وترجوها ألا تحدث أصواتا تلفت الأنظار تجنبا للفضيحة لأن تجنب الفضيحة فى مصلحتها .

وقال سيمون وهو يتلوى من الألم : «أخرجاها من هنا . من فضلكما أخرجاها فورا الآن. اذهبا بها إلى مخدعها . أرجو منك يا كورنيليا أن تهتمى بمرافقتها حتى تهدأ . اطلبى من ممرضة خالتك أن تعطيها دواء مهدئا لكى تنام . وناد ياسيد فانثورب

الدكتور بوسنر ليحاول تضميد الجرح ، ولنتفق الآن على قصة واحدة أخبر بها زوجتى تبريرا لما حدث . يلزم ألا تعرف زوجتى حقيقة ما حدث وبأى ثمن» .

وافق فانثورب وكورنيليا على أن حجب الحقيقة واجب لمصلحة الجميع بما فى ذلك لينيت وجاكلين على وجه الخصوص . وتعاون فانثورب وكورنيليا فى السيطرة على چاكلين وإخراجها من الصالون والسير بها نحو مخدعها ، ولكنها كانت تقاوم وتبكى وتريد أن ترتمى على الأرض كلما أوقفاها وتريد أن تجرى وتقول إنها تريد أن تلقى نفسها فى مياه النيل ، وكانت تقول بصوت مختنق : «آه ياحبيبى سيمون ! أنا لا أريد أن أعيش الآن ... لا أريد أن أعيش!» .

قال فانثورب لكورنيليا : «اذهبى وأيقظى الآنسة بويرز لتحضر معها حقنة مورفين أو ما أشبه ذلك وسأقوم أنا بتوصيل الآنسة دى بلفورت إلى مخدعها» .

وانصرفت كورنيليا لتنفيذ ما أوصاها به فانثورب وتركته يصارع چاكلين التى كانت تحاول الإفلات منه لتلقى نفسها فى النيل ولا تريد الانقياد له ليقودها إلى مخدعها وأجهدته كثيرا حتى بدأ يشعر بالإجهاد إلى حد الإعياء ، ولكنه تمكن أخيرا من الوصول بها إلى مخدعها حيث وصلت الآنسة بويرز والآنسة كورنيليا وتم حقن چاكلين بالمورفين .

وتوجه فانثورب إلى مخدع الدكتور بسنر ، وطرق الباب ثم دخل دون انتظار إذنه بالدخول ، وأضاء النور وأفضى إلى الدكتور بما حدث ، وأبلغه أن سيمون دويل بحاجة ماسة إلى الإسعاف فارتدى الطبيب الروب على عجل وتناول حقيبة الإسعافات وانطلق مع فانثورب إلى الصالون .

كان سيمون قد فتح النافذة المجاورة لمقعده لكى يملأ صدره بالهواء حتى لا يغمى عليه. كان وجهه شاحبا كوجوه الموتى ، وقد تلطخ البساط تحت قدمه وظهرت بقعة كبيرة من الدم فوق البساط ، كما تلطخ بالدم المنديل الذى كان يضغط به فوق مكان الإصابة ، وشرع الطبيب فى فحص الجرح بعناية ثم قال : «النزف غزير ومستمر . ساعدنى يا فانثورب فى حمله إلى قمرتى لأنه لن يستطيع السير» .

وجاءت كورنيليا فقال لها الطبيب : «تعالى معنا ياكورنيليا إذ أننى بحاجة إلى من يساعدنى ، وأنت أصلح من صاحبنا فانثورب الذى بدأت أعصابه تهتز حتى الآن» . فقال فانثورب : «هل أدعو الآنسة بويرز؟» فقال الدكتور بسنر : «لا داعى . كورنيليا تستطيع أن تساعدنى هل تستطيعين مساعدتى ياكورنيليا دون أن يغمى عليك ؟» فقالت كورنيليا: «أستطيع أن أعمل كل ما تطلبه منى» .

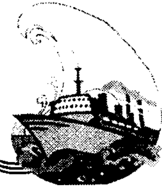
ولما وصلوا إلى القمرة الخاصة بالطبيب بذل الطبيب لمدة عشر دقائق جهوده لوقف النزف . وأظهر سيمون تجلدا أثار إعجاب الطبيب وشجعه عليه ، ثم حقنه بالمورفين ليستطيع أن ينام دون أن يشعر بالآلام التى تبدد النوم من عينه . وحصل سيمون قبل أن يتعرض لتأثير مفعول المورفين على وعد من الدكتور بسنر بكتمان السر والتكتم على إصابة سيمون بالرصاصة وعزو الإصابة إلى سبب آخر حتى لا تنزعج زوجته . وقال سيمون للدكتور بسنر : «لى رجاء آخر يادكتور ... أرجو أن تعنى كل العناية بالحالة الصحية للآنسة چاكلين . إن لها عذرها ، أنا الذى أخطأت فى حقها خطأ كبيرا ، ولقد كانت المسكينة فى غير وعيها» . فقال له الدكتور بسنر: «لا تقلق ونم . الآنسة بويرز قد قامت باللازم نحوها كما علمت ، وهى ستلازمها طول الليل» .

ونادى سيمون فانثورب فقال له : «نعم ياسيمون؟» فقال سيمون : «المسدس من فضلك يا فانثورب ... يلزم ألا تتركه هناك حتى لا يعثر عليه الخدم فى الصباح وهم يقومون بأعمال النظافة» . فقال فانثورب : «اطمئن . سأذهب الآن لأقوم بإخفائه فى مكان أمين» .

انطلق فانثورب فى طريقه إلى الصالون ومر بباب مخدع چاكلين الذى كان مفتوحا فشاهد الآنسة بويرز التى قالت له : «لقد هدأت الآن ولكننى سأبقى معها حتى الصباح لأن المورفين يسبب بعض المشكلات لبعض الناس خصوصا لو كانوا سكارى» .

وواصل فانثورب طريقه نحو الصالون ، وحاول عبثا الحصول على المسدس ، وبحث عنه تحت كل الكراسى . وعندما باءت محاولته العثور على المسدس بالفشل عاد إلى حجرة الطبيب وهمس فى أذنه : «لم أعثر على المسدس!» فقال له الطبيب : «ماذا تقول؟» فقال فانثورب: «المسدس ! لقد سقط المسدس من يد چاكلين فركلته بقدمها بشدة وهى فى ثورة غضبها ليستقر تحت أحد المقاعد ، ولم نهتم به آنذاك ، وعندما عدت لألتقطه لم أعثر عليه» . وتبادل الرجلان نظرات الحيرة . وقال بسنر : «من عساه أن يكون قد أخذه؟» فقال فانثورب : «لا أدرى ، وهذا شىء عجيب» .

وافترق الرجلان وكل منهما يشعر بالقلق والحيرة .



الفصل الثانى عشر

لم يكد بوارو يمسح بمنشفة بقايا معجون الحلاقة عن وجهه بعد انتهائه من حلاقة ذقنه حتى سمع طرقات على الباب ثم انفتح الباب ودخل الكولونيل ريسى دون انتظار للإذن له بالدخول ، وأغلق الباب وراءه وقال لبوراو : «حدث ما تنبأت به وكنت تخشاه!» فقال بوارو : «ماذا حدث؟» فقال ريسى : «ماتت لينيت دويل - أطلق الرصاص على رأسها الليلة الماضية!» .

ظل بوارو صامتا برهة من الوقت ... استعادت ذاكرته أن چاكلين دى بلفورت كانت قد قالت له فى تلك الحديقة بمدينة أسوان : «أتمنى أن أغرس هذا المسدس الصغير فى رأسها وأضغط الزناد لينتهى كل شىء» . وتذكر أيضا قولها له : «إن الإنسان لا يستطيع أن يتوقف عن شىء متى بدأ» . وتذكر ذلك الوميض الغريب فى عينيها . أدرك بوارو أنه كان أعمى وأصم وغبيا عندما لم يتصرف كما ينبغى إزاء تلك الإرهاصات المتتالية .

قال الكولونيل ريسى : «لقد عهدوا إلىّ بالتحقيق فى حادثة القتل هذه . ولقد تجمعت لدىّ بعض المعلومات الأولية . كان من المفروض أن تتحرك الباخرة بعد نصف ساعة ، ولكننى أمرت بعدم تحركها حتى أعطى أنا الأوامر بهذا الخصوص إذ أن هنالك احتمالا أن يكون القاتل قد جاء من فوق الشاطئ» .

هز بوارو رأسه ، فقال ريسى : «أوافق . نستطيع أن نستبعد هذا الاحتمال . حسنا أيها الرجل . أنا أفوض لك التصرف فى الموضوع برمته . إنه موضوعك دون منازع» . فقال بوارو ، وقد استعاد توازن ذهنه : «أنا تحت أمرك» . فقال ريسى : «هيا بنا . إن الدكتور بسنر هناك الآن . كنت قد أرسلت فى طلبه ومن الضرورى أنه موجود هناك ليقوم بفحص الجثة» .

كان يوجد بالباخرة أربع قمرات فاخرة كل واحدة منها قد ألحق بها حمام ، كان الدكتور بسنر والسيد بننجتون يحتلان أول قمرتين . وكانت العانس فان شويلر تحتل واحدة ، وكانت الرابعة هى قمرة لينيت دويل تليها مباشرة قمرة زوجها سيمون دويل .

وعندما وصلا إلى قمرة القتيلة قال لهما الدكتور بسنر : «لقد أطلق الرصاص

على القتيلة من مسافة قريبة جدا فوق الأذن مباشرة . والرصاصة صغيرة الحجم من عيار ٢٢ مم . احترق الجلد حول مدخل الرصاصة لأن فوهة المسدس كانت ملاصقة للجلد . كانت القتيلة نائمة ولم تبد أى مقاومة» .

وشرع بوارو يفحص الجثة وكل مسرح الجريمة بنفسه . لاحظ بوارو وجود حرف «ج» مكتوبا باللون الأحمر فوق الجدار المجاور للسرير . ورفع بوارو يد القتيلة فوجد أحد أصابعها مخضبا بالدم . ولقد كان من المفروض أن أصبع القتيلة قد كتب الحرف الأول من اسم القاتل .

وعندما أبدى بوارو هذه الملاحظة ثار الدكتور بسنر قائلا : «هذا مستحيل ، هذا تضليل. إن القتيلة المسكينة قد ماتت فى الحال ويستحيل أن تكون قد تمكنت من أن تضع إصبعها فى الدم وتكتب أى حرف من الحروف . يستحيل أن تكون القتيلة قد فعلت ذلك» . فقال بوارو : «معك حق يادكتور بسنر . طبعا ، هذه حيلة والمقصود منها هو الإيهام بأن القتيلة قد تعرفت على القاتل وكتبت الحرف الأول من اسمه بعد أن غمست إصبعها فى الدم النازف من رأسها!» .

قال الكولونيل ريسى : «ومن ذا الذى يبدأ اسمه بحرف الجيم ؟» فقال بوارو : «چاكلين دى بلفورت خطيبة سيمون دويل السابقة . كانت قد أطلعتنى فى أسوان على مسدس صغير وقالت : إنها تتمنى أن تغرسه تحت أذن لينيت دويل ثم تضغط الزناد!» فقال ريسى : «أليس هذا هو ما حدث فعلا؟» فقال بوارو : «قد يكون هذا هو ما حدث فعلا وقد لا يكون . خبرنى يادكتور بسنر : متى تقدر أن تكون الوفاة قد حدثت؟» فقال الدكتور بسنر : «الساعة الآن هى الثامنة صباحا . حدثت الجريمة منذ ثمانى أو ست ساعات» . فقال بوارو : «نستطيع القول إذن أن الجريمة قد حدثت فيما بين منتصف الليل والساعة الثانية بعد منتصف اليل؟» فقال بسنر : «أجل» . فقال بوارو : «وأين زوجها ؟ أظن أنه ينام فى الحجرة المجاورة لحجرتها» . فقال الدكتور بسنر : «زوجها فى هذه اللحظة ينام فى قمرتى أنا» .

ولما رأى بسنر الدهشة مرتسمة على وجه كل من بوارو والكولونيل ريشى اضطر أن يقص عليهما ما حدث بالأمس بكل تفاصيله وكيف أطلقت الآنسة چاكلين دى بلفورت الرصاص على سيمون دويل الذى أصيب بكسر فى ساقه يحتاج إلى كشف بالأشعة بمجرد الوصول إلى أسوان ، وكيف أن چاكلين دى بلفورت ظلت طوال الليل تحت مراقبة وملاحظة الممرضة بويرز . وقلبت هذه المعلومات كل ما تبادر إلى الأذهان من تصورات لكيفية حدوث الجريمة .

سأل بوارو عن الشخص الذى كان أول من اكتشف الجريمة ، فعرف أنها الخادمة الفرنسية الخاصة التى تعمل كوصيفة للسيدة المقتولة لينيت واسمها هو لويز بورجيه التى دخلت لتوقظها كالعادة كل صباح فوجدتها مقتولة ، فأسرعت وأخطرت ربان الباخرة .

كانوا قد انتقلوا إلى القاعة المخصصة للجلوس والتدخين وقرر بوارو أن يبدأ بتحقيق حادثة إصلاق الرصاص على سيمون دويل وقام باستجواب كل من كورنيليا وفانشورب وشهدا بكل ما شاهداه وسمعاه من تفاصيل هذه الحادثة إذ زالت كل أسباب التحفظ والكتمان بمقتل لينيت ، وكانت الحيرة الكبرى فى التحقيق هو أن ظروف حادث إطلاق چاكلين الرصاص على سيمون دويل كانت تبعد كل شبهة عن چاكلين وسيمون أن يكون أحدهما متورطا فى حادث مقتل لينيت .

تم استدعاء كورنيليا أولا للإدلاء بشهادتها ، فذكرت الحوادث بترتيبها منذ بدايتها . وكان بوارو يهتم اهتماما خاصا بمعرفة وقت كل كلمة وكل حدث من الأحداث على حدة ، اتضح له بما لا يدع مجالا للشك أن لينيت دخلت قمرتها فى الساعة الحادية عشرة والثلث ، وانصرف بننجتون إلى مخدعه بعدها بثلاث أو أربع دقائق . أما وقت إطلاق الرصاص على سيمون دويل فقد استطاع فانشورب أن يحدد وقت حدوثه بأنه قد حدث بعد منتصف الليل بربع ساعة إذ تذكر أنه كان قد نظر فى ساعته قبل نهوضه ليتوجه للنوم فحدث إطلاق الرصاص مباشرة فى هذه اللحظة مما اضطره إلى التدخل فى الأحداث .

لقد كان من الواضح للجميع أن الأشخاص الأربعة الذين كانوا موجودين فى الصالون عند وقوع حادث إطلاق الرصاص على سيمون دويل - وهم سيمون دويل وچاكلين دى بلفورت وكورنيليا وفانشورب - لم يغادروا الصالون بعد أن أوت لينيت إلى مخدعها . وبعد حادث إطلاق الرصاص أيضا كان من الواضح أن چاكلين دى بلفورت وسيمون دويل لم يبق أى منهما بمفرده منذ حادث إطلاق الرصاص حتى الصباح ولو لمدة دقيقة واحدة . كانت چاكلين تحت ملاحظة الممرضة بويرز وكان سيمون تحت ملاحظة الدكتور بسنر ، كانت هذه الحقائق تخرج كلا منهما من دائرة الاشتباه تماما .

ووجه بوارو اهتمامه بعد ذلك إلى المسدس وكيفية إطلاق چاكلين النارعلى سيمون وأين بالضبط سقط المسدس من يدها ، والاتجاه الذى سار فيه المسدس بعد أن رفسته چاكلين بقدمها فى ثورة غضبها وهياجها .

وحاول بوارو أيضا أن يعرف بالضبط الوقت الذى استغرقته عملية توصيل چاكلين إلى قمرتها ووقت استدعاء الدكتور بسنر ووقت انتقال سيمون دويل إلى قمرة الدكتور بسنر . اتضح له أن عملية توصيل چاكلين إلى قمرتها استغرقت عشر دقائق. واستغرقت عملية نقل سيمون إلى قمرة الطبيب حتى خروج فانثورب للبحث عن المسدس خمس دقائق . فى هذه الدقائق الخمس من المفروض أن شخصا ما قد أخذ مسدس چاكلين . وأصبح السؤال هو : من هذا الشخص المجهول الذى أخذ المسدس؟ من المحتمل أن يكون هذا الشخص هو الذى ارتكب جريمة قتل لينيت ! لابد أنه قد شاهد كل ما حدث بالصالون ولم يعثر على المسدس مصادفة لأن المسدس كان تحت المقعد ولم يكن ظاهرا ليصادفه أى شخص . وأكد فانثورب أنه لم ير أى شخص آخر بالصالون ، كما أكد أن أبواب الصالون كانت مغلقة .

وسأل بوارو فانثورب عما فعله بعد عجزه عن العثور على المسدس ، فقال : إنه توجه إلى قمرته فى الساعة الثانية عشرة والنصف ، وهى القمرة رقم ٢٢ وهى أقرب القمرات إلى الصالون ، ولم يسمع أى شيء غير عادى سوى صوت يشبه صوت وقوع شيء فى الماء بجوار الباخرة ، ولكنه لا يستطيع الجزم بذلك إذ كان النعاس قد بدأ فى التسلل إلى جفونه، ربما يكون قد سمع صوت وقوع جسم فى الماء وربما لا يكون ذلك قد حدث فى واقع الأمر . إنه لم يستطع أن يقطع برأى بهذا الخصوص ، ربما كان ذلك فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .

أما كورنيليا فقد ذكرت أنها قد ساعدت فى تضميد جرح سيمون دويل لوقف النزف، وبعد أن تم وضع الأربطة عليه بمعرفة الدكتور بسنر توجهت إلى قمرتها رقم ٤٣ وهى القمرة المجاورة لقمرة چاكلين دى بلفورت . وقررت أنها لم تسمع ولم تر بعد ذلك أى شيء غير عادى واستغرقت فى النوم .

وتطابقت أقوال الممرضة بويرز مع أقوال كورنيليا وفانثورب وذكرت أن چاكلين لم تهذ بأى تهديد بقتل لينيت وأكدت أنها لم تفارق حجرة چاكلين طوال الليل لحظة واحدة .

ولدى انصراف الممرضة بويرز تبادل بوارو والكولونيل ريسى نظرات الحيرة : إذا كانت چاكلين دى بلفورت ، عدوة القتيلة اللدود لم تقتلها فمن الذى قتل لينيت دويل ؟



الفصل الثالث عشر

قال الكولونيل ريسى : «لقد ضغط أحدهم زناد المسدس . ولم يكن الشخص الذى ضغط زناد المسدس هو چاكلين دى بلفورت . إنه شخص مجهول كان يعرف تماما أن الجريمة سوف تلصق بها . ولكن هذا الشخص لم يكن يعرف أن الممرضة ستعطيها المورفين وتجلس بجوار فراشها طول الليل ، أضف إلى ذلك اعتباراً آخر ، لقد حاول شخص مجهول أن يقتل السيدة لينيت دويل بحجر تدحرج إليها من فوق قمة الجبل . وهذا الشخص المجهول فى تلك المحاولة أيضا لم يكن هو چاكلين دى بلفورت . من هو الشخص المجهول على وجه التحديد؟» .

فقال بوارو : «من الأسهل أن تسأل : من الذى يستحيل أن يكون هو ذلك الشخص المجهول ؟ يستحيل أن يكون ذلك الشخص المجهول هو سيمون دويل كما يستحيل أن يكون هو السيدة ألرتون أو تيم ألرتون أو العانس فان شويلر أو الممرضة بويرز . من الثابت أن أولئك الأشخاص جميعا يستحيل أن يكون أحدهم هو ذلك الشخص المجهول . كانوا جميعا تحت بصرى» .

قال الكولونيل ريسى : «هذه الوضعية للقضية تفتح مجالا واسعا للبحث ولا تحد من نطاقه . ماذا عن الدافع لارتكاب الجريمة؟» فقال بوارو : «فيما يتعلق بالدافع لارتكاب الجرمية أعتقد أن السيد سيمون دويل ، زوج القتيلة يمكن أن يمدنا بمعلومات فى هذا الصدد . توجد حقائق كثيرة بشأن الدافع لارتكاب الجريمة» ...

وانفتح الباب ، واندفعت منه چاكلين دى بلفورت داخلة تترنح وقد شحب لون وجهها وقالت وصوتها يرتجف كطفل مرعوب : «لم أفعلها . لم أفعلها . أرجوكم صدقونى . سيعتقد كل الناس أننى قد فعلتها ... ولكننى لم أفعلها ... لم أفعلها ... إنها جريمة فظيعة . يا ليت هذه الجريمة لم تحدث . ربما كنت قد قتلت سيمون فى الليلة الماضية .... كنت فى حالة جنون فيما أعتقد . ولكننى لم أقترف الجريمة الأخرى ...» وجلست وهى تنشج بالبكاء . وربت بوارو على كتفها قائلاً : «وهو

كذلك . وهو كذلك» . نحن نعرف أنك لم تقتلى السيدة دويل . لقد تمت البرهنة على صحة هذه الحقيقة . لم تكونى أنت التى قتلتها» . فوقفت چاكلين فجأة وهى تقول : «ولكن ، من الذى قتلها؟» فقال بوارو : «هذا بالضبط هو السؤال الذى كنا نبحث له عن إجابة . وأنت لا تستطيعين أن تساعدينا فى إجابته يا بنيتى . أليس كذلك ؟» فهزت چاكلين رأسها وقالت : «لا أعرف ... لا أستطيع أن أتخيل ... لا . ليس عندى أى فكرة!» ثم قطبت جبينها وقالت : «لا . لا أعتقد أن أى إنسان كان يريد لها أن تموت سواى» .

قال الكولونيل ريسى : «أرجو المعذرة فى أن أتغيب لمدة دقيقة واحدة – لقد خطرت لى فكرة» . واندفع خارجا من القاعة .

وجلست چاكلين منكسة الرأس تفرك أصابع يديها ثم قالت : «الموت فظيع ... فظيع ... أنا ... أنا أكره التفكير فى الموت» . فقال بوارو : «نعم . ليس من المبهج للنفس أن يعتقد شخص ما أنه – أو أنها – فى هذه اللحظة قد تم تنفيذ خطته أو خطتها سواء كان هذا الشخص الذى تحققت خطته ذكرا أو أنثى . نحن لا نعرفه ولا نعرفها الآن على وجه التحديد!» فقالت چاكلين : «لا تظن ذلك . يستحيل أن يبتهج أحد لمثل هذه المصيبة . إن وضعك للمسألة على هذا النحو شىء فظيع» . فهز بوارو كتفيه وهو يقول : «شىء فظيع ، ولكنه الحقيقة» .

قالت چاكلين : «كنت أريدها أن تموت . وها هى ذى مقتولة . والأسوأ والأنكى والأدهى من ذلك أنها مقتولة بنفس الطريقة التى قلت إننى أتمنى أن أقتلها بها» . فقال بوارو : «نعم يا آنسة . لقد تم إطلاق الرصاص على رأسها» . فقالت چاكلين : «إذن ، فلقد كنت على صواب عندما قلت إنه كان يوجد شخص ما فى الظلام يسمع كلامى إليك فى تلك الليلة بفندق كتاراكت فى أسوان» . فقال بوارو: «من الغريب أنك لازلت تتذكرين ذلك . نعم . إنه من الغريب أن السيدة دويل قد قتلت بنفس الطريقة التى كنت تصرحين أنك ترغبين أن تُقتَلَ بها» . وارتجف جسم چاكلين وهى تقول : «من هو الرجل الذى كان يتسمع حديثنا فى تلك الليلة ؟» وسكت بوارو لمدة دقيقة أو أكثر ثم قال : «هل أنت متأكدة أنه كان رجلا ولم يكن امرأة يا آنسة چاكلين؟» وقطبت چاكلين جبينها وهى تقول : «نعم.

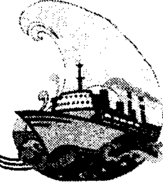
كنت أعتقد أنه رجل» . فقال بوارو : «ولكنك الآن غير متأكدة يا آنسة چاكلين» . فقالت : «لا . لست متأكدة كنت أفترض أنه من الضرورى أن يكون رجلا ، ولكنه كان فى الحقيقة غير واضح المعالم ... غير واضح المعالم» . ثم قالت : «هل تعتقد أنه كان امرأة ؟ لا توجد امرأة فى هذه الباخرة لديها الدافع الذى يدفعها إلى قتل لينيت» .

وانفتح الباب ودخل الدكتور بسنر ليبلغ بوارو أن سيمون قد تحسنت حالته وصحا من النوم من تأثير المخدر ويستطيع استقباله واستجوابه .

وتوجه بوارو فى طريقه إلى سيمون دويل الذى كان ضعيف القوى من جراء الصدمتين اللتين تعرض لهما ، ولكنه كان مهتما بإبعاد الشبهات عن چاكلين ، فأكد له بوارو أن الشبهة بعيدة عنها كل البعد . وسأله بوارو ما إذا كان يشك فى أن يكون شخص معين قد قتل زوجته ، فلم يستطع سيمون أن يتهم شخصا معينا كما قرر أنه لم يعرف تفاصيل ظروف زوجته المالية ولم يناقشها أبدا فى شئون ثروتها وهو بالتالى لا يعلم بوجود أية ضغائن بينها وبين أحد من الناس لأسباب تتعلق بثروتها .

وقرر بوارو بعد ذلك استدعاء لويز وصيفة لينيت ، فقررت أنها كانت قد التحقت بخدمة سيدتها لينيت منذ شهرين فقط . وتذكر بوارو أنها هى نفس الفتاة التى كان قد شاهدها تقف مع مهندس الباخرة بمفردهما فى أحد ممرات الباخرة . وسألها بوارو: «متى رأيت السيدة لينيت على قيد الحياة آخر مرة» . فقالت الوصيفة لويز : «كان ذلك أمس مساء ياسيدى . لقد ألبستها بنفسى ثياب النوم ، وكان ذلك بعد الساعة الحادية عشرة مساء» . وسألها بوارو : «كم استغرقت عملية إلباسها ثياب النوم؟ وهل ظللت موجودة معها بعد إلباسها ثياب النوم أم أنك انصرفت مباشرة بعد تبديل ثيابها؟» فقالت لويز : «لم أمكث معها إلا عشر دقائق فقط . كانت سيدتى مرهقة وأمرتنى بإطفاء النور قبل خروجى» . وسألها بوارو : «ماذا فعلت بعد مغادرة قمرة سيدتك؟» فقالت : «توجهت إلى قمرتى فى الطابق الأسفل لأنام» . وسألها : «هل سمعت أو رأيت أى شيء غير عادى يمكن أن يساعدنا فى التحقيق؟» فقالت: «لا . وكيف أسمع أو أرى وأنا كنت نائمة؟ ... إننى لم أصعد من قمرتى . ولو

كنت قد أرقت وصعدت لأمكن لى أن أرى القاتل الوحش الذى قتل سيدتى... ولكننى ..» ثم التفتت نحو سيمون وهى تقول : «قل لى ياسيدى ماذا يمكن لى أن أقول؟» فقال لها سيمون : «لا تكونى حمقاء يا لويز . لا أحد يظن أنك سمعت أو رأيت شيئا ، ولا يتهمك أحد بشيء . اطمئنى . أنا سأعتنى بكل شئونك» . وشكرته لويز، فقال لها بوارو : «أنت لم ترى ولم تسمعى شيئا؟» فقالت : «بالضبط ياسيدى» . فقال لها : «وأنت لا تعرفين أن أى شخص من الناس يحقد على سيدتك؟» فقالت لويز : «بل أعرف». فقال بوارو : «هل تقصدين الآنسة چاكلين دى بلفورت؟» فقالت : «نعم . بكل تأكيد . هى طبعا كانت تحقد عليها . ولكننى لا أقصدها ، يوجد على هذه الباخرة شخص يكره سيدتى لأنها كانت قد أصابته بضرر جسيم» . فصاح سيمون قائلا : «يا إلهى . من هو هذا الشخص؟» فقالت لويز: «اسمه فليتوود . كان يطمع فى أن يتزوج الوصيفة السابقة التى كانت فى خدمة سيدتى واكتشفت سيدتى أنه متزوج فى مصر وله ثلاثة أطفال وأطلعت مارى على ذلك السر فقطعت علاقتها به . ولما علم فليتوود أن سيدتى بين ركاب هذه الباخرة قتلها كما كان قد هدد بذلك من قبل لأنها تسببت فى تحطيم قلبه» . وسألها بوارو: «هل تعرفين شيئا عن لآلئ ومجوهرات سيدتك؟» فقالت لويز : «لآلئ ومجوهرات سيدتى؟ آه . كانت سيدتى ترتديها الليلة الماضية» . فقال بوارو : «وهل رأيت اللآلئ والمجوهرات عند تبديل ثياب سيدتك؟» فقالت : «نعم . وهى قد وضعتها على المائدة التى بجوار الفراش كالمعتاد» . فسألها بوارو : «وعندما كنت تحاولين أن توقظى سيدتك هذا الصباح ، هل رأيت اللآلئ والمجوهرات فى مكاانها المعتاد ؟» بدت الدهشة من السؤال على وجه لويز ، ولكنها تمالكت نفسها بعد قليل وقالت : «لم أنظر إليها ولم أفكر فيها لأن منظر سيدتى قد ألهانى عن كل شيء فصرخت واندفعت خارجة». فقال بوارو : «ولكننى لم يلهنى شيء عن أن أنظر فوق المائدة ولقد تحققت أنه لم تكن أى لآلئ أو مجوهرات موجودة عليها فى الصباح . من الذى أخذ اللآلئ والمجوهرات الخاصة بالقتيلة لينيت؟» .



الفصل الرابع عشر

لم تكن ملاحظة هركيول بوارو عن اللآلئ والمجوهرات الخاصة بالقتيلة لينيت دويل خاطئة بأى حال . لم تكن هنالك لآلئ ولا مجوهرات على المائدة بجوار فراش القتيلة على الإطلاق عندما انتقلوا هناك للمعاينة ولتمحيص هذه الجزئية من التحقيق. وأمروا الوصيفة لويز بورجيه أن تبحث فى حضورهم عن المجوهرات فى الأماكن التى اعتادت القتيلة أن تضع فيها مجوهراتها ، كان كل شيء من متعلقات القتيلة فى مكانه باستثناء المجوهرات ، فخرجوا ليقابلهم أحد خدم الباخرة ويعلن إليهم أن طعام الإفطار جاهز .

وعلى مائدة الإفطار قال الكولونيل ريسى : «عندما قال فانثورب أمس : إنه سمع صوت سقوط شيء فى الماء تبادر إلى ذهنى أن القاتل قد ألقى المسدس فى الماء» . فقال بوارو : «أعتقد أن هذا الافتراض بعيد الاحتمال . ومن الأفضل للتحقيق الآن أن نستدعى الشخص المدعو فليتوود الذى ذكرت الوصيفة أنه كان يحقد على القتيلة» .

وتم إحضار فليتوود وهو رجل ضخم الجثة ، شرس المنظر ، تذكر بوارو حالما رآه أنه الرجل الذى كانت لويز تتحدث إليه على انفراد فى أحد ممرات الباخرة . وواجهه بوارو بالمعلومات التى ذكرتها الفتاة فى التحقيق وأقر بصحة بعضها وأنكر أنه أقدم على اقتراف الجريمة ، وكان العرق يتصبب من وجهه بغزارة .

سأله بوارو : «أين كنت بالضبط فى الليلة الماضية فيما بين منتصف الليل والساعة الثانية صباحا ؟» فقال : «كنت نائما فى فراشى ، ويشهد شريكى فى القمرة بذلك» . وأعلن بوارو أن التحقيق معه قد انتهى ، أمره الكولونيل ريسى بالانصراف ، وتبادل النظرات المتسائلة مع بوارو ، فقال بوارو : «إنه بالفعل رجل عصبى المزاج وشرس ، وقد يكون جاف الطباع عنيفا فى تعامله مع الآخرين ، ولكنه لا يذهب أبدا إلى حد القتل . وعلى كل حال سأتحقق من صحة أقواله وإن كانت شهادة شريكه بوجوده معه فى القمرة أثناء الليل لا تقطع بشيء إذ أنه من المحتمل أن يتسلل خارجا من القمرة وشريكه نائم» . فقال ريسى : «يلزم التحقق من كل شيء» . فقال بوارو : «المسألة المهمة الآن التى يلزم أن نكشف عليها تحرياتنا هى أن نعرف هل سمع أحد الركاب شيئا غير عادى فيما بين منتصف الليل والساعة الثانية

صباحا . أليس من المحتمل أن يكون شخص قد سمع صوت الطلقة التى أفضت إلى موت القتيلة ولو كصوت ضعيف لم يخطر بالبال أنه صوت رصاصة أفضت إلى جريمة قتل؟» قال ريسى : «مادمت لم أسمع أنا ولا أنت صوت الطلقة النارية فمن الضرورى أن نسمع أقوال آل ألرتون . إن قمرتهما قريبة جدا من قمرة القتيلة» .

وحضرت السيدة ألرتون وهى ترتدى ثوبا من الحرير ، وكان الحزن والأسف يبدوان على وجهها ، وقالت قبل توجيه أى سؤال إليها : «لقد سرنى كثيرا أن تكون الآنسة جاكلين دى بلفورت بعيدة عن الشبهات فى هذه الجريمة الفظيعة» .

فقال لها بوارو : «أنا أفهم عواطفك نحو الآنسة دى بلفورت جيدا ياسيدتى . والآن هل يمكن لك أن تذكرى لنا بالضبط فى أى وقت أويت إلى مخدعك ليلة الأمس؟» فقالت : «أويت إلى مخدعى فى الساعة العاشرة والنصف تماما» . وسألها بوارو : «هل تسنى لك أن تستغرقى فى النوم فى الحال؟» فقالت : «نعم . لقد كنت أشعر فعلا بالنعاس» . وسألها بوارو : «ألم تسمعى أى شىء غير عادى أثناء الليل ؟» فقطبت جبينها وقالت : «أظن أننى سمعت صوت سقوط شىء فى الماء ثم صوت وقع خطوات لشخص يجرى . كان صوت خطوات الشخص الذى يجرى يسبق صوت وقوع شىء فى الماء . كنت مستغرقة فى النوم وخُيِّلَ إلىَّ أن شخصا قد سقط فى الماء ، وصحوت من النوم ، وحسبت أننى كنت أحلم . وأرهفت السمع ، ولكننى لم أسمع أى شىء عندما استيقظت ، وكان السكون بعد ذلك شاملا فظننت أننى كنت أحلم» .

سألها بوارو : «هل تستطيعين أن تحددى لنا بالضبط الوقت الذى صحوت فيه من النوم؟» قالت : «لا . إننى لا أستطيع أن أحدد هذا الوقت بالضبط لأننى لم أكن أعرف بالضبط كم من الوقت كنت نائمة . يجوز أن يكون ذلك بعد الساعة الواحدة صباحا» . فقال لها بوارو : «حاولى أن تحددى الوقت» . فقالت : «يؤسفنى أننى لا أستطيع التحديد» .

وسألها بوارو : «هل سبق لك التعرف على السيدة لينيت دويل قبل هذه الرحلة؟» فقالت : «لا . ابنى تيم هو الذى التقى بها قبل هذه الرحلة وإن كنت قد سمعت عنها من قريبتى جوانا ساوثوود» .

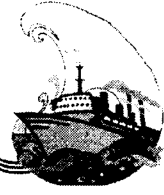
فقال لها بوارو : «يوجد سؤال أخير ياسيدتى : هل نزلت بأفراد من عائلتك أى متاعب مالية بسبب مضاربات والد لينيت؟» فقالت السيدة ألرتون : «أنا مدركة لأهمية هذا السؤال. لقد كان والد لينيت وجدها سببا فى إفلاس كثير من العائلات بسبب المضاربات المالية . هذه حقيقة معروفة للجميع ، ولكن لم يحدث لأحد من

أسرتى شىء من ذلك» . فقال لها بوارو : «شكرا لك ياسيدتى . أرجو أن تبلغى ولدك تيم أننا بحاجة إليه لعله يفيدنا بأى معلومات تحل ألغاز هذه القضية» .

وانصرفت السيدة ألرتون ، فوجدت ابنها تيم فى انتظارها وهو قلق متلهف على معرفة الأسئلة التى وجهت إليها بالتفصيل والإجابات التى ردت بها على هذه الأسئلة، ولما اطمأن عليها اندفع خارجا إلى غرفة التحقيق وأجاب عن أسئلة بوارو بما يفيد أنه قد أوى إلى فراشه مبكرا فى الساعة العاشرة والنصف مساء ، ولم ينم على الفور بل قضى بعض الوقت فى القراءة حتى شعر بالرغبة القوية فى النوم فاستسلم للنعاس بعد أن أطفأ النور فى قمرته فى الساعة الحادية عشرة تماما» . وسأله بوارو : «وهل سمعت أى شىء قبل أن تستغرق فى النوم؟» فقال تيم : «سمعت صوتا من بعيد لرجل يلقى على آخرين تحية المساء» . فقال ريسى : «كان هذا هو صوتى أنا وأنا ألقى تحية المساء على السيدة لينيت عند انصرافنا إلى مخادعنا» . فقال تيم : «استغرقت فى النوم بعد ذلك مباشرة ، وإن كنت قد شعرت بضجة وسمعت صوت امرأة تنادى على السيد فانشورب» . فقال بوارو : «كان ذلك هو صوت كورنيليا روبسون وهى تنادى على فانشورب بعد إصابة سيمون دويل بطلق نارى فى ساقه». فقال تيم : «سمعت بعد ذلك صوت أصوات متداخلة .. وهدأت فجأة ... وبعد ذلك سمعت صوت أقدام شخص يجرى فى طرقة الباخرة ثم صوت جسم يسقط فى الماء ... وسمعت صوتا يشبه صوت الدكتور بسنر وهو يقول : احذر ... لا تسرع...» .

قال بوارو : «هل أنت متأكد أن ما سمعته كان صوت سقوط شىء فى الماء ولم يكن صوت طلقة مسدس؟» فقال تيم : «سمعت صوتا يشبه صوت خروج سدادة بشدة من فوهة زجاجة ... كان يخيل إلى أن الصوت صوت خروج السدادة من فوهة زجاجة وأن صوت سقوط جسم فى الماء هو صوت صب الشراب فى الأكواب . هكذا قدرت الأصوات وأنا نائم ولم أحفل بها . تصورت أن بعض ركاب الباخرة قد اشتركوا فى وليمة صاخبة وعمدوا إلى تناول المشروبات بكميات كبيرة وسخطت عليهم وتمنيت أن يذهبوا إلى مخادعهم ليناموا ، ونمت أنا» .

وسأله بوارو : «ألم تسمع أى شىء آخر؟» فقال تيم : «لا . لم أسمع أى شىء آخر سوى صوت تقلب فانشورب فى فراشه من حين إلى آخر حتى حسبت أنه لم ينم طول الليل» . فقال بوارو : «وبعد ذلك ألم تسمع أى شىء؟» فقال تيم : «لا . استغرقت فى النوم تماما ولم أسمع أى شىء!» فقال له بوارو : «شكرا لك ياسيد ألرتون» . ونهض تيم وغادر حجرة التحقيق .



الفصل الخامس عشر

عكف الكولونيل ريسى على تأمل رسم كروكى لقمرات الباخرة الكرنك ثم قال: «فانثورب . تيم ألرتون . السيدة ألرتون . كابينة القتيلة . كابينة سيمون دويل . من الذى يشغل الكابينة المقابلة لكابينة السيدة لينيت دويل؟ إنها الأمريكية العجوز فان شويلر ! ولو كان هنالك شخص يمكن أى يسمع صوت الطلق النارى أو أى شىء غير عادى لو كان مستيقظا فهذا الشخص هو الآنسة فان شويلر . لو كانت مستيقظة يجب أن نسمع أقوالها» . وتم استدعاء الآنسة فان شويلر الأمريكية العجوز لسماع أقوالها .

دخلت فان شويلر متجهمة الوجه يطل السخط والغضب والاشمئزاز والتأفف من عينيها. واهتم بوارو اهتماما كبيرا بتهدئتها وعرف منها أنها كانت قد أوت إلى فراشها فى الساعة العاشرة كعادتها ولكنها لم تستغرق فى النوم على الفور ، وظلت مستيقظة فى انتظار وصول كورنيليا إليها إلا أن كورنيليا تأخرت كثيرا على غير عادتها فظلت ساهرة فى انتظارها ، وسمعت صوت لويز وصيفة لينيت تلقى على سيدتها تحية المساء . وأغفت فان شويلر قليلا ، وسمعت صوتا حسبته فى قمرتها فصحت ولم تجد أحدا فى قمرتها فظنت أنه فى قمرة لينيت . ثم سمعت صوتا أمام الباب ثم صوت سقوط جسم فى الماء ، وقدرت أن الوقت عندئذ كان هو الساعة الواحدة وعشر دقائق بالضبط ، لكنها قررت أنها لم تسمع صوت الطلق النارى وإن كانت لم تقطع بأن الصوت الذى أيقظها فعلا من النوم هو صوت طلق نارى أم صوت شىء آخر . منعها النوم من القدرة على التحديد . المهم أنها استيقظت فى الساعة الواحدة وعشر دقائق بالضبط» .

وسألها الكولونيل ريسى : «تقولين إنك سمعت بعد أن صحوت من النوم صوت جسم يسقط فى الماء . من تظنين أنه الشخص الذى أسقط الجسم فى الماء؟» .

قالت فان شويلر : «لست أظن بل أنا متأكدة أننى أعرفها . لقد ارتبت فى هذا الصوت. قمت من فراشي . فتحت باب قمرتى ، وخرجت إلى الممر فشاهدت الآنسة روزالى أوتربورن منحنية فوق السياج مباشرة بعد سماعى صوت وقوع جسم فى الماء . كانت لا تزال منحنية فوق السياج بعد أن أسقطت من يدها شيئا فى الماء» .

قال لها الكولونيل ريسى : «هل أنت واثقة ومتأكدة أنها هى الآنسة روزالى

أوتربورن بالتحديد؟» فقالت : «لقد رأيت وجهها بوضوح» . فسألها ريسى : «هل تعتقدين أن روزالى قد رأتك هى الأخرى ؟ هل تلفتت نحوك ؟» فقالت : «لا . لأنها لم تلتفت نحوى» .

وعندئذ نهض بوارو من مقعده واستأذن من الكولونيل ريسى أن يتولى بنفسه توجيه بعض الأسئلة إلى الآنسة فان شويلر . فقال لها : «تقولين إنك نظرت إلى وجه الآنسة روزالى أوتربورن . كيف كان يبدو وجهها عندئذ؟» فقالت فان شويلر : «كان يبدو عليها الانفعال الشديد والتوتر . أدارت ظهرها واتجهت إلى مؤخرة الباخرة وعدت أنا إلى فراشى» .

وفى هذه اللحظة دخل ربان الباخرة ، وسلم إلى الكولونيل ريسى لفافة مبللة بالماء قماشها حرير أحمر اللون . وأخذ الكولونيل ريسى يفك طيات اللفافة المبللة بالماء ، فوجد بداخلها لفافة أخرى عبارة عن منديل من النوع الرخيص به آثار طلاء أحمر باهت ، وقد انطوى المنديل على مسدس صغير قبضته مرصعة باللآلئ . وظهر الفرح على وجه الكولونيل ريسى ، وتناول بوارو المسدس من يده بعناية ثم قال وهو يتأمل المسدس الصغير : «نعم . إنه هو هو نفس المسدس الذى كنت قد رأيته فى حديقة فندق كتاراكت فى أسوان. وعليه حرفان هما ج . ب . وهو من عيار ٢٢ مم . ولقد أطلقت منه رصاصتان .

وعندئذ صاحت فان شويلر قائلة : «شالى ؟ إن هذا القماش الموجود فى يدك وكان المسدس ملفوفا فيه هو شالى المفقود . لقد بحثت عنه كثيرا أمس ولم أعثر عليه . ولقد سألت كل الناس عنه دون جدوى» . فقال بوارو : «شالك؟ متى كان موجودا معك آخر مرة؟ ومتى اكتشفت فقدانه؟» فقالت : «أمس مساء فى الصالون كان معى . وعندما دخلت مخدعى فى الليلة الماضية لم أعثر عليه . أنا لا أعرف كيف تم استخدامه هذا الاستخدام الفظيع!» .

وفحص الكولونيل ريسى الشال ، فوجد فيه ثقبا هو الذى خرجت منه الرصاصة القاتلة، ومن ثم عرف الجميع أن شال العانس فان شويلر قد تم استخدامه لكتم صوت الرصاصة القاتلة!

وصاحت الآنسة فان شويلر وهى تقول : «هذا مستحيل» . وازداد احمرار خَدَّيْها . فقال لها الكونيل ريسى : «يسرنا يا آنسة شويلر لو أطلعتنا على سابق معرفتك بالسيدة دويل» . فقالت فان شويلر : «لم يكن لى سابق معرفة بها» . فقال ريسى : «لقد كنت تعرفينها» . فقالت : «بالطبع عرفت من هى» . فقال ريسى : «ألم تكن أسرتك تعرف أسرتها؟» فقالت الآنسة فان شويلر : «أفراد أسرتى يشعرون دائما بالتمايز والتفوق على الآخرين يا كولونيل ريسى . ولم يدر بذهن أمى أبدا أن تتعرف

على أحد من أفراد تلك العائلة الوضيعة التى لم يكن لأفرادها أى ميزة سوى التكالب على جمع المال وتكديسه!» فقال لها ريسى : «هل هذا هو كل ما لديك لكى تقوليه لنا؟ أليس لديك أى أقوال أخرى؟» فقالت : «ليس عندى ما أضيفه إلى ما سبق لى قوله . لقد نشأت وترعرعت لينيت ريدچواى وتربت فى إنجلترا ولم أرها أبدا حتى جاءت فى هذه الرحلة على متن هذه الباخرة» .

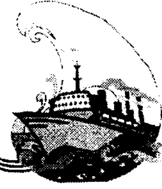
ونهضت الآنسة فان شويلر واقفة ، وأسرع الكولونيل ريسى ليفتح لها باب الحجرة لتخرج .

والتقت عينا الكولونيل ريسى بعينى بوارو فقال الكولونيل ريسى : «هذه هى حكاية الآنسة فان شويلر . إنها سوف تتمسك بأقوالها . ويجوز أن تكون صادقة فى كل أقوالها ولا علاقة لها بالجريمة . ولكن ماذا بشأن روزالى أوتربورن ؟ لم أتوقع أبدا أن أسمع ما سمعته بشأنها ضمن أقوال الآنسة فان شويلر!» .

هز بوارو رأسه فى حيرة ، وخبط المنضدة بيده وهو يقول : «كل هذا لا معنى له . كل هذا لا معنى له . ليس أمامنا اسم لشخص واحد . ليس لدينا اسم لشخص واحد. كـل هذا غير معقول» . فنظر إليه الكولونيل ريسى نظرة طويلة وقال : «ماذا تعنى؟» .

قال بوارو : «أعنى أنه حتى هذه اللحظة ليس لدينا شيء أو احتمال معقول محدد. كل الاحتمالات مائعة عائمة غير مستقرة . إن شخصا ما كان قد قرر أن يقتل السيدة لينيت دويل. شخص ما شاهد وسمع مشهد إطلاق النار على ساق سيمون دويل . شخص ما تسلل إلى مكان الحدث واقتنص المسدس ، مسدس چاكلين دى بلفورت . تذكر أنه مسدس چاكلين دى بلفورت . شخص ما أطلق الرصاص بالفعل على لينيت دويل بنفس المسدس وكتب حرف «ج» على الجدار ... كل هذا واضح أليس كذلك ؟ كل شيء يشير إلى اتهام چاكلين دى بلفورت كقاتلة ، وبعد ذلك، ماذا فعل القاتل ؟ هل ترك المسدس الملعون، مسدس چاكلين دى بلفورت لكى يعثر عليه أى شخص بسهولة ؟ لا . لم يفعل القاتل ذلك، بل عمد القاتل أو القاتلة إلى أن يرمى المسدس ، وهو دليل الاتهام المادى الدامغ من فوق ظهر الباخرة . لماذا فعل القاتل أو لماذا فعلت القاتلة ذلك ياصديقى؟ لماذا؟» .

هز الكولونيل ريسى رأسه وهو يقول : «هذا غريب ومحير!» فقال بوارو : «إنه أكثر من غريب . إنه مستحيل» . فقال ريسى : «ليس مستحيلا حيث إنه قد حدث فعلا» . فقال بوارو : «لست أعنى استحالة حدوثه ، ولكن ما أعنيه هو عدم تسلسل الأحداث تسلسلا منطقيا حتى الآن!» .



الفصل السادس عشر

نظر الكولونيل ريسى مليا إلى زميله ، كان يحترمه ، وكانت لديه أسباب كثيرة قوية لاحترامه ، أسباب تتصل بذكاء بوارو وقدراته العقلية التى تفوق القدرات العقلية لأى شخص آخر ، إنها قدرات هركيول بوارو العقلية ، ولكن ريسى لم يستطع مشاطرته الرأى فى نظراته إلى هذا الموضوع ، ولم تتضح له حتى ذلك الحين القدرات العقلية المتميزة لهركيول بوارو ، وتساءل فى قرارة نفسه : أين هى قدراتك العقلية المتميزة يا بوارو ؟ ولكنه لم يوجه هذا السؤال صراحة إلى بوارو على كل حال . ركز ريسى حواره مع بوارو حول موضوع التحقيق فحسب فسأله قائلا : «وما هو الشىء الذى يتعين أن نعمله الآن ؟ هل يحسن أن نستجوب الفتاة أوتربورن الآن؟» فقال بوارو : «نعم . ربما يمكننا ذلك أن نتقدم قليلا إلى الأمام» .

ودخلت روزالى أوتربورن إلى الحجرة مترددة الخطوات . لم تكن عصبية ولم تكن خائفة بأى حال . كانت غير راغبة فى الكلام فقط ، وكانت متجهمة الوجه محزونة، وبادرت إلى القول : «حسنا ؟ ما الموضوع؟» فقال ريسى بصفته المتحدث الرسمى : «إننا نحقق فى مقتل السيدة دويل» . وأومأت روزالى برأسها إيماءة تدل على أنه لا بأس فى ذلك فقال لها ريسى : «هل تتفضلين بأن تقولى لنا كل شىء قمت بعمله فى الليلة الماضية» . .. وفكرت روزالى لمدة دقيقة فقط ثم قالت : «ذهبت أنا وأمى للنوم مبكرا – قبل الساعة الحادية عشرة . لم يصل إلى مسامعنا أى شىء غير عادى باستثناء ضجة صغيرة خارج كابينة الدكتور بسنر حسبناها من لزوميات عمله كطبيب يواجه حالة مرضية بالباخرة . ولقد كنت أسمع صوت الرجل الألمانى يزمجر فى الخارج ، ولم أعرف فيم كان يتكلم حتى هذا الصباح» . قال ريسى : «ألم تسمعا صوت إطلاق الرصاص ؟» فقالت : «لا» . فسألها : «هل أنت متأكدة من ذلك؟» .

وحملقت فيه روزالى وهى تقول له : «ماذا تقصد ، بالطبع أنا متأكدة من ذلك» . فسألها : «ألم تخرجى إلى حاجز الباخرة ؟ ألم تلقى شيئا من الباخرة؟» وازداد وجه

روزالى احمرارا وهى تقول : «وهل توجد أى غضاضة لو ألقيت شيئا من الباخرة؟» ، فقال : «لا. لاغضاضة فى ذلك . ولكن ، هل ألقيت شيئا من الباخرة؟» فقالت : «لا . لم ألق شيئا من الباخرة . وأقول لك أنا لم أغادر قمرتى على الإطلاق» . فسألها : «لو شهد أى شخص على أنه قد شاهدك ...؟» فقاطعته قائلة : «من هو الذى شاهدنى ؟» فقال لها : «الآنسة فان شويلر» . قالت روزالى : «الآنسة فان شويلر؟» قال ريسى : «نعم . قالت إنها خرجت من قمرتها وشاهدتك تلقين شيئا من جانب الباخرة» . قالت روزالى : «هذه أكذوبة شريرة ... ولكن فى أى وقت بالضبط كان ذلك؟» فرد عليها بوارو فى هذه المرة بقوله : «كان ذلك فى الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل يا آنسة» . وهزت روزالى رأسها وهى تقول : «وهل شاهدت شيئا آخر؟» ونظر إليها بوارو بدهشة وقال : «انظرى ... لا . ولكنها سمعت شيئا» . فسألت روزالى : «ماذا سمعت؟» فقال : «سمعت شخصا يتحرك حول قمرة السيدة دويل» . فقالت روزالى : «لقد فهمت» . وشحب لون وجهها . فسألها بوارو: «هل لا تزالين مصرة على أنك لم تلقى أى شيء من فوق ظهر الباخرة يا آنسة؟» فقالت : «ولأى سبب يمكن تخيله أجازف بأن أرمى أى شيء من الباخرة بعد منتصف الليل؟» فقال لها بوارو : «من الجائز أن يكون هنالك سبب .. سبب برىء» . فتساءلت روزالى : «سبب برىء؟» فقال بوارو : «هذا هو ما أقوله أنا . أنت تدركين يا آنسة أن شيئا من الأشياء قد تم إلقاؤه من الباخرة فى الليلة الماضية . وهذا الشيء لا يتصف بالبراءة» .

وفى هذه اللحظة أمسك الكولونيل ريسى بلفافة القماش المبتل وفتحها وهو صامت لتكشف عن محتوياتها . وارتعدت روزالى مبتعدة قليلا إلى الوراء وهى تقول: «هل كان هذا المسدس هو ما قتلت به السيد لينيت؟» فقال لها : «نعم يا آنسة» . فسألت روزالى : «وأنتم تعتقدون أننى .. أننى ... أنا التى قتلتها ؟ يا له من هراء بالغ السخافة ! لماذا بحق السماء أعمد إلى قتل لينيت دويل ؟ إننى لم تكن لى أى معرفة بها» .

وضحكت ووقفت بغير اكتراث وهى تقول : «المسألة كلها سخيفة ومضحكة» . فقال الكولونيل ريسى : «تذكرى يا آنسة أوتربورن أن الآنسة فان شويلر مستعدة أن

تؤدى القسم بأنها قد شاهدت وجهك بوضوح فى ضوء القمر» . فضحكت روزالى للمرة الثانية وهى تقول : «هذه القطة العجوز . إنها على كل حال نصف عمياء . لم أكن أنا الشخص الذى رأته» . وتوقفت عن الكلام ثم سألت : «هل أستطيع أن أنصرف الآن؟» وأومأ لها ريسى بالموافقة على انصرافها ، فانصرفت .

والتقت نظرات الرجلين مرة ثانية وأشعل ريسى سيجارة ، وقال : «حسنا . هذا هو ما وصلنا إليه . وصلنا إلى تناقض مراوغ .. أى المرأتين نصدق؟» . فهز بوارو رأسه وهو يقول : «عندى ارتياب ضئيل مؤداه أن كلتيهما لم تقل الحقيقة الكاملة» . فقال ريسى : «هذا هو مكمن الصعوبة فى عملنا . كثير من الناس يفضلون عدم ذكر الحقائق الكاملة كلها . يقولون شيئا ويحتفظون لأنفسهم بشىء فلا تكتمل المعقولية . ما هى خطوتنا التالية ؟ هل نستمر فى استجواب بقية المسافرين؟» فقال بوارو : «أعتقد ضرورة ذلك . يلزم دائما أن نستكمل تحرياتنا دون ترك أى ثغرة» .

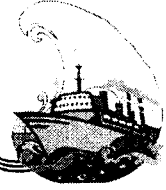
جاء دور السيدة أوتربورن بعد ابنتها روزالى مباشرة ، ولم تدل بأى معلومات مفيدة على الإطلاق بل انطلقت تعلل الجريمة بأسباب جنسية كما يحدث فى الروايات التى تكتبها ، وكأنما كان مقتل لينيت يثبت تماما صحة نظريتها التى مؤداها هو أن الاضطراب الجنسى هو السبب الرئيسى لكل الجرائم ، وكانت تريد الاستمرار فى شرح نظريتها لولا أن تمكن بوارو من صرفها بسلام وبكل لطف ولباقة ، فقال ريسى بعد أن أوصلها إلى الباب ورجع إلى بوارو : «يالها من امرأة متسممة الآراء . إنها مهووسة بالعلاقات الجنسية بين الرجال والنساء . لماذا لم يقتلها أحد حتى الآن؟» فقال بوارو : «لا تقلق من هذه الناحية . ربما يحدث ذلك مستقبلا» . ... فقال ريسى : «لو قتلها أحد ربما كان له عذر فى ذلك . من الذى نستجوبه بعدها ؟ فلنستبق بننجتون للنهاية . لدينا السنيور ريشتى عالم الآثار الإيطالى، ولدينا الثائر اليسارى فيرجسون . فلنبدأ بالسنيور ريشتى» .

ودخل السنيور ريشتى مهتاجا وهو يقول : «ياللهول ! ياللهول ... يالها من فاجعة! ... امرأة فى مقتبل العمر وجميلة ! ... إنها حقا لجريمة نكراء ووصمة عار فى جبين الإنسانية!» وكان السنيور ريشتى يستخدم كلتا يديه للتعبير عن معانى كلماته . وكانت إجاباته محددة . أوى إلى فراشه مبكرا بعد العشاء مباشرة . وقضى

بعض الوقت فى قراءة أحدث الكتب عن الآثار الخزفية فى الأناضول . أطفأ النور قبل الساعة الحادية عشرة مساء. ونام . ولم يسمع أى شيء سوى صوت سقوط جسم فى الماء بعد ساعتين أو ثلاث ساعة من النوم أى فى حوالى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .

وجاء دور فيرجسون فكان بالغ الوقاحة والتطرف فى أقواله .. وحين أخبره ريسى بمقتل لينيت قال : «فى داهية ... العالم يشكو من التخمة لكثرة عدد النساء التافهات الطفيليات من مثيلاتها . كانت رأسمالية متعجرفة . لقد كنت أنا فى صحبة الآنسة كورنيليا روبسون عندما زرنا المعبد ، وأوصلتها إلى الباخرة ، ورجعت أنا إلى الشاطئ وظللت أتجول حتى منتصف الليل ثم عدت إلى الباخرة ودخلت قمرتى، وهى فى الجزء السفلى من الباخرة ، فأنا لست من النبلاء المتعفنين الذين يحتلون بأموالهم الطابق العلوى من كبائن الباخرة» . وسأله الكولونيل ريسى : «ألم تسمع صوت طلق نارى أو صوت زجاجة تنتزع منها السدادة بشدة؟» فقال : «سمعت صوتا مثل الصوت الذى تصفه ، ولكننى لا أذكر الوقت بالضبط. كنت قد تركت بعض الركاب وهم مستيقظون ، وسمعت جلبة وصوت خطوات كثيرة تجرى فى الطابق العلوى من الباخرة ، ولم أهتم بذلك . أنا فى الطابق السفلى ، وهم فى الطابق العلوى يفعلون كل ما يحلو لهم» . فقال له ريسى : «ألم تسمع صوت سقوط شيء فى الماء؟» فقال : «صوت سقوط شيء فى الماء ؟ آه ، أظن أننى سمعت صوتا من هذا القبيل ولكن كانت تصدر من الطابق العلوى أصوات متتالية ، لم ألتفت لها ولم أعرها أى اهتمام» . فقال له ريسى : «وهل غادرت قمرتك أثناء الليل لأى سبب؟» فقال : «كلا . ولذلك لم أشترك ولم أحظ بشرف إنجاز هذه العملية الموفقة!» .

وانصرف فيرجسون فقال بوارو : «أليس هذا هو الرجل الذى تبحث عنه؟» فقال ريسى: «أستبعد هذا الاحتمال . الرجل الذى أبحث عنه رجل من أخطر المتآمرين والمتآمر الخطر لا يكون ثرثارا مثل فيرجسون فى الغالب الأعم . هل وصلنا أخيرا إلى دور بننجتون؟»



الفصل السابع عشر

دخل أندرو بننجتون وقد تكلف على قسمات وجهه كل أمارات الحزن والألم التى يمكن تصورها بالنسبة لشخص كانت تربطه أوثق العلاقات بالقتيلة ، إذ كان صديقا لجدها وصديقا لأبيها ، وكان هو الوصى على ممتلكاتها ، أى أنه كان بمثابة أب لها بعد وفاة والدها ، وحمل وجهه الطويل الحليق ورباط العنق الأسود كل مظاهر الحزن والأسى.

واستهل أندرو بننجتون كلامه بقوله : «حضرات السادة ! إن هذه المسألة قد حطمت مشاعرى لفرط الحزن والأسى . إننى أتذكرها ويستحيل أن أنساها كطفلة صغيرة حلوة كما تستطيعون أن تتخيلوا كيف تكون الطفلة الصغيرة الحلوة . ويستحيل أن أنسى كيف كان أبوها ملهويش ريدچواى فخورا بها . ولا مجال هنا بطبيعة الحال للاستمرار فى هذه الذكريات . كل ما أرجوه منكم الآن هو أن تخبرونى بكل ما أستطيع أن أعمله» . فقال ريسى : «بادئ ذى بدء يا سيد بننجتون: هل سمعت أى شيء فى الليلة الماضية؟» فقال: «لا . ياسيدى . لا أستطيع القول بأننى سمعت أى شيء . إن قمرتى مجاورة لقمرة الدكتور بسنر الذى يشغل القمرة رقم ٣٨ وأشغل أنا القمرة رقم ٣٩ . ولقد سمعت شيئا من الجدل فى منتصف الليل تقريبا ، ولم أكن أعرف سببه آنذاك» . فسأله ريسى : «ألم تسمع أى شيء آخر؟ ألم تسمع صوت طلقات رصاص مثلا ؟» فقال وهو يهز رأسه نفيا: «لا شيء من هذا القبيل» . فسأله ريسى : «ومتى استغرقت فى النوم؟» فقال : «من الضرورى أن ذلك كان بعد الساعة الحادية عشرة مساء» . واتكأ بننجتون بمرفقه مقتربا من ريسى وقال : «لا أظن أنه يغيب عن إدراككم أنه يوجد على ظهر هذه الباخرة إشاعات كثيرة عن فتاة نصف فرنسية اسمها چاكلين دى بلفورت . يوجد فى هذه الإشاعات شيء مثير للارتياب. إن لينيت لم تخبرنى بشيء من ذلك ، ولكننى لست أصم ولست أعمى ، لقد كان بين تلك الفتاة وبين سيمون شيء ما أم أنه لم يكن بينهما شيء ؟ فتش عن المرأة . هذا مثل فرنسى صائب ، وأظن أنه لن يطول بكم البحث عن المرأة كثيرا» .

وهنا تدخل بوارو فى الاستجواب قائلا : «هل تقصد أن چاكلين دى بلفورت قد أطلقت الرصاص على السيدة دويل ؟» فقال بننجتون : «هذا ما يبدو لى . طبعا ، أنا لا أعرف كل شيء» . فقال بوارو : «ولسوء الحظ نحن نعرف شيئا» . فقال بننجتون: «ما هو ؟» فقال بوارو: «نحن نعرف يقينا أنه كان من المستحيل أن تطلق الآنسة دى بلفورت الرصاص على السيدة دويل» . وشرح بوارو أسباب ذلك وبدا بنتجتون مترددا فى قبول ذلك وقال : «أنا أوافق على أن اعتقادك سليم لو كانت الأمور قد جرت بالضبط كما رويت لى . ولكن يجوز أن تلك الممرضة التى قلت إنها كانت تراقب الآنسة دى بلفورت قد أغفت قليلا وتمكنت الأخرى من مغادرة القمرة ثم عادت إليها والممرضة لا تزال فى غفوتها» . فقال له بوارو : «من الصعب أن نتصور ذلك . تذكر أن الآنسة دى بلفورت أيضا كانت راقدة تحت تأثير مخدر قوى من الثابت أن الممرضة كانت قد حقنتها به وهو يكفى وحده أن تجعلها تنام حتى الصباح . ومن المعتاد أنه ربما تغفو الممرضة قليلا ، ولكنها تصحو من غفوتها لو استيقظ المريض الذى ترعاه» . فقال بننجتون : «يبدو لى أن هذه الحكاية برمتها لا تخلو مما يريب» .

عندئذ تدخل ريسى بطريقة جادة فى الحوار وقال : «أعتقد أنه من الضرورى أن تسمع ما يلزم أن تسمعه منى يا سيد بنتجتون . لقد درسنا كل الاحتمالات بعناية تامة . والنتيجة التى توصلنا إليها فى هذا الصدد محددة تماما . الآنسة چاكلين دى بلفورت لم تطلق الرصاص على السيدة لينيت دويل . ونحن مضطرون لذلك أن نتوجه بالبحث إلى الاحتمالات الأخرى . وهذه الاحتمالات الأخرى هى ما نرجو أن نجد لديك ما يساعدنا بشأنها» . وثارت أعصاب بنتجتون وهو يقول : «أنا ؟» فقال ريسى : «نعم أنت . لقد كنت على علاقة وثيقة بالقتيلة . وأنت تعرف ظروف حياتها بأكثر مما يعرفها زوجها الذى تزوجت منه منذ وقت قصير . أنت تعرف مثلا احتمالية وجود أى شخص لديه ضغينة ضدها . وربما كنت تعرف شخصا يرغب فى موتها» . وبلل بننجتون شفتيه بطرف لسانه وقال : «أؤكد لكم أننى لا أعرف شيئا فى هذا الموضوع ... أنتم تدركون أن لينيت قد تمت تربيتها فى إنجلترا. وأنا أعرف أقل القليل مما كان يحيط بها فى إنجلترا» .

وعندئذ قال بوارو : «وبالرغم من ذلك كان هنالك شخص ما على ظهر هذه الباخرة يرغب فى موت السيدة لينيت دويل . لقد كانت محظوظة فى النجاة بمعجزة من محاولة قتل بالصخرة التى تدحرجت نحوها من فوق الجبل كما تتذكر هذه

الحادثة ، أم أنك لم تكن موجودا ولم تشهد هذه الحادثة؟» فقال بننجتون : «لا . كنت موجودا داخل المعبد فى ذلك الوقت ، ولقد سمعت عنها بعد ذلك طبعا ، كانت فرصة النجاة بالنسبة لها ضعيفة جدا . وربما كانت تلك الحادثة وليدة الصدفة البحتة ، أليس كذلك ؟» . فهز بوارو كتفيه وقال : «إن الإنسان ليعتقد ذلك آنذاك ، ولكن الآن ، إن الإنسان ليعجب ويرتاب» . فقال بننجتون : «نعم . طبعا . طبعا» وأخذ يجفف وجهه بمنديل من الحرير الفاخر .

قال الكولونيل ريسى : «لقد ذكرت السيدة دويل ذات مرة أنه يوجد شخص بالباخرة يضمر لها ضغينة وكراهية . هل تعرف من هو هذا الشخص؟» فقال بننجتون : «لا . ليست عندى أى فكرة عنه» . فسأله : «ألم تذكر لك شيئا من ذلك؟» فقال : «لا» . فسأله : «لقد كنت صديقا حميما لأبيها . ألا تعرف شخصا تسبب أبوها فى تحطيمه ماليا من جراء المضاربات؟» وهز بننجتون رأسه بيأس وهو يقول : «ليست هذه حالة فريدة . مثل هذه الحالات تحدث كثيرا بطبيعة الحال ، ولكننى لا أستطيع أن أتذكر حادثة بعينها صرح فيها شخص معين بتهديد علنى صريح» . فقال ريسى : «باختصار : ألا تستطيع أن تساعدنا بأى معلومات يا سيد بننجتون؟» فقال : «يبدو أن الأمر كذلك . أنا أشعر بالخجل لعدم قدرتى على مساعدتكم يا سادة» . وتبادل ريسى نظرة مع بوارو وقال : «أنا أيضا آسف. كان لدينا أمل فى أن تساعدنا» . ونهض ريسى واقفا بطريقة توحى أن المقابلة قد انتهت ، فقال بننجتون : «حيث إن السيدة دويل قد ماتت . ينتظر منى أن أقوم بعمل بعض الترتيبات اللازمة لها . عفوا يا كولونيل . كيف ستجرى الأمور بخصوصها من جانبكم؟» فقال ريسى : «عندما نتحرك من هنا سنتوقف عند الشلال الذى سنصل إليه صباح الغد» .

فقال بننجتون : «والجثة؟» فقال ريسى : «سيتم نقلها إلى الثلاجة» . وأومأ بننجتون برأسه وهو ينصرف .

وتبادل ريسى وبوارو النظرات مرة أخرى وقال ريسى وهو يشعل سيجارة : «لم يكن السيد بننجتون مريحا ولا مستريحا» . فأومأ بوارو برأسه موافقا وقال : «ولقد استدرجت السيد بننجتون إلى أن يقول أكذوبة ضخمة بالغة الغباء . إنه لم يكن داخل معبد أبى سمبل عندما سقطت الصخرة نحو لينيت . أنا أقول ذلك . لقد كنت أنا داخل المعبد ، ولم يكن هو بداخله» . فقال ريسى : «إنها أكذوبة بالغة الغباء» .

واهتزت الباخرة عندما دارت محركاتها فى رحلة العودة إلى الشلال . قال ريسى : «المجوهرات هى الموضوع التالى الذى علينا أن نحقق بشأنه» فسأله بوارو : «هل لديك خطة للتحقيق ؟» فقال ريسى : «نعم . العشاء بعد نصف ساعة ، وبعد تناول وجبة العشاء مباشرة سأعلن أن مجوهرات القتيلة لينيت قد سرقت . وسأرجو كل الموجودين أن يظلوا فى أماكنهم لتفتيش أمتعتهم فى القمرات حتى يتم التفتيش» . وأومأ بوارو برأسه موافقا على صلاحية الخطة وهو يقول : «من المحتمل أن أى شخص يكون قد قتل لينيت وأخذ مجوهراتها لا يزال يحتفظ بالمجوهرات فى حوزته ، وبالمفاجأة ، ودون سابق إنذار لن تكون لدى ذلك الشخص أى فرصة للتخلص منها بأن يلقيها فى الماء مثلا فى حالة اليأس من القدرة على الاحتفاظ بها» .

وشرع ريسى يكتب فى مجموعة من الأوراق وهو يقول : «أريد أن أكتب ملخصا للحقائق التى صادفناها . إن مثل هذا الملخص يساعدنى فى ترتيب أفكارى» . فقال بوارو : «بذلك تحسن صنعا . تحديد المنهج الصحيح ، والحرص على النظام هما دعامتا النجاح» .

وشرع ريسى يكتب فى الأوراق الأنيقة الموضوعة أمامه . وعندما فرغ من الكتابة دفع بها إلى بوارو وهو يقول له : اكتب عن أى شىء لا توافق عليه فيها» . وتناول بوارو الأوراق وقرأ فيها ما يلى كما كتبه ريسى :

** جريمة قتل السيد لينيت دويل

* لقد شاهدتها الوصيفة لويز بورجيه حية لآخر مرة فى حوالى الساعة الحادية عشرة والنصف مساء .

* فيما بين الساعة الحادية عشرة والنصف والساعة الثانية عشرة والنصف كان كل من كورنيليا روبسون ، وجيمس فانثورب ، وسيمون دويل ، وچاكلين دى بلفورت مجتمعين معا. وهؤلاء الأشخاص دون غيرهم لديهم أدلة الإثبات التى تبعد عنهم الشبهات فى ذلك الوقت .

* لكن الأرجح هو أن الجريمة قد حدثت بعد ذلك الوقت (١١,٣٠ - ١٢,٣٠ ليلا) لأنه من الثابت أن المسدس المستخدم فى الجريمة هو مسدس چاكلين دى بلفورت بعد تمام محاولة إطلاق الرصاص على سيمون وإدخال چاكلين وسيمون إلى المكان الذى استقر فيه كل منهما حتى الصباح .

* من المرجح أن القاتل قد شاهد بعينيه المشادة التى انتهت بإطلاق النار على سيمون. وعندما انصرف الجميع من الصالون أخذ ذلك القاتل المسدس الذى رمته چاكلين ورفسته ليستقر تحت أحد المقاعد . وبنى ذلك القاتل خطته على أن الشبهات ستحيط بالآنسة چاكلين حيث إنها غريمة لينيت وسبق أن هددتها بالقتل .

* الشبهة بعيدة تماما عن كورنيليا روبسون لأنها لم تُتَحْ لها إطلاقا فرصة الحصول على المسدس قبل عودة فانثورب للبحث عنه إذ أنه تركها وراءه مشغولة بمساعدة الطبيب فى تضميد الجرح وربطه وإيقاف النزف .

* نفس الظروف تنطبق كذلك على الآنسة بويرز الممرضة .

* الشبهات بعيدة كذلك عن الدكتور بسنر لنفس الأسباب .

* ليس فانثورب بعيدا عن الشبهات بشكل قاطع إذ يحتمل أن يكون قد عثر على المسدس وأخذه من تحت الكرسى وزعم أنه لم يعثر عليه .

* من الاحتمالات القوية احتمال أن يكون شخص آخر من خارج هذه المجموعة قد شاهد كل شىء من مكمن له وأخذ المسدس من تحت الكرسى فى مدة الدقائق العشرة التى كان الصالون خاليا فيها من كل الأفراد .

** الدوافع على اقتراف الجريمة

١- أندرو بننجتون : يجوز أن يكون قد تلاعب وعبث وخان الأمانة بشأن تركة لينيت. ويؤيد هذا الاحتمال محاولته الحصول على توقيعها مع وجود شبهات أخرى ولكنها غير كافية كأدلة قاطعة ، ولو ثبت أنه هو مرتكب حادثة الصخرة التى نجت منها لينيت لكان من الثابت أن لديه الدافع على قتلها ولثبت شروعه فى محاولة قتلها، وإذ فشلت محاولته الأولى اغتنم فرصة وجود ظروف مواتية بغير تدبير من جانبه ليقوم بمحاولة أخرى ، بعد أن حصل على مسدس چاكلين فى الظروف الطارئة المعروفة ، ويضعف من هذه الشبهة حقيقة إلقاء المسدس فى النيل . ولو كانت خطة بننجتون تقوم على أساس أن يقتل لينيت ويلقى شبهات قتلها على چاكلين لما كان هناك مسوغ لإلقائه المسدس فى النيل ، بل كان الأولى أن يترك المسدس بجوار القتيلة وعليه الحروف الأولى من اسمها ولقبها لكى نعثر عليه ونتهم چاكلين بالقتل.

٢- فليتوود ، مهندس بالباخرة : الدافع هو الانتقام . كان فليتوود يعتبر نفسه مضارا من جراء اكتشاف لينيت لسابق زواجه مما حال دون زواجه من وصيفة لينيت السابقة ، فحنق عليها . وربما كان قد شاهد المشاجرة ورصد مكان المسدس من مكمنه فأصبح فى متناول يده عندما سنحت له فرصة خلو الصالون من رواده ، والمسدس يتيح له فرصة إلقاء الشبهات حول صاحبة المسدس چاكلين دى بلفورت . ولكن لماذا كتب حرف ج بالدم على الجدار؟ وهل يصل حنقه على لينيت إلى محاولة قتلها ؟ ليس الدافع للقتل مؤكدا فى مثل حالته ، وما أسهل على هذا النوع من الرجال أن يجد البديل من النساء ، وإن هنالك ثمة شبهة تتمثل فى أن المنديل الذى كان المسدس ملفوفا فى طياته كان من النوع الرخيص الذى يتناسب مع رجل مثل فليتوود ولا يتناسب مع شخص من الطبقة الراقية .

٣- روزالي أوتربورن : هل نقبل فى اعتبارنا أن شهادة الآنسة فان شويلر بشأن روزالى صحيحة أم أن إنكار روزالى لشهادة فان شويلر هو الصحيح؟ لقد ألقى شيء بالفعل من فوق سطح الباخرة بعد ارتكاب الجريمة ، شيء من المحتمل أنه هو المسدس المستخدم فى الجريمة ملفوفا فى شال ومنديل .

وهنا يبرز سؤال : هل كان لدى روزالى دافع يدفعها إلى ارتكاب جريمة القتل؟ يبدو بوضوح أنه لا يوجد لديها دافع كاف ، يتمثل الدليل ضدها فى ضرورة اكتشاف دافع كاف ، ومجرد الحقد على شخص لما أنعم به الله عليه ليس دليلا كافيا . وفى حدود المعلومات المتاحة ليس لدينا معرفة بوجود صلات سابقة تربط بين روزالى والقتيلة لينيت دويل .

٤- الآنسة فان شويلر : إن الشال الأحمر الذى كان المسدس ملفوفا فيه مملوك للآنسة فان شويلر . وحسب أقوالها فهى كانت قد افتقدته ولم تجده بعد أن بحثت عنه وأحدثت ضجة من جراء افتقاده قبل وقوع جريمة القتل ؟ كيف وصل الشال إلى الشخص المجهول الذى ارتكب جريمة القتل ؟ هل حصل عليه فى وقت سابق لوقوع الجريمة واحتفظ به ؟ ولكن لماذا سرق الشال واحتفظ به ولم يكن أحد يعرف أن حادثة إطلاق النار على ساق سيمون دويل ستحدث ، وسترمى چاكلين بالمسدس تحت أحد المقاعد ؟ هل خرج الشال فعلا من حوزة الآنسة فان شويلر أم أنها كانت قد خبأته وأعلنت أنها تفتقده ولا تجده ؟ ولو كان الاحتمال الثانى صحيحا فهل

قتلت الآنسة فان شويلر السيدة لينيت دويل ؟ هل ادعاؤها بأنها قد شاهدت روزالى أوتربون تقذف شيئا فى النيل ادعاء كاذب . ولو كانت فان شويلر هى التى قتلت لينيت دويل فما هو الدافع ؟

٥- احتمالات أخرى : السرقة كدافع للقتل : هذا ممكن محتمل الحدوث حيث إن المجوهرات المملوكة للقتيلة قد اختفت ، وقد كانت لينيت بالتأكيد تتحلى بها فى الليلة السابقة لمقتلها .

٦- شخص يحمل فى نفسه ضغينة ضد عائلة ريدچواى : هذا ممكن ، ولكن لا دليل عليه يقطع بصحة احتماله . نعرف أنه يوجد رجل خطير فوق ظهر الباخرة ... شخص يحترف جرائم القتل . عندنا إذن قاتل وقتيلة . ألا يحتمل وجود رابطة تربط بين القاتل والقتيلة ؟ ومن الضرورى أن نضع فى اعتبارنا أن لينيت دويل كان لديها معرفة أكيدة بوجود مثل هذا الرجل الخطر .

** النتائج

نستطيع أن نضع ركاب الباخرة فى مجموعتين : مجموعة من الأفراد لديهم دافع محتمل وليس ضد أى واحد منهم دليل قاطع ومجموعة ثانية من الأفراد لا يتطرق إلى أى واحد منهم أى شك فى حدود المعلومات المتاحة لنا حتى الآن .

أ- مجموعة الأفراد المشتبه فى أمرهم وتشمل : أندرو بننجتون – فليتوود – روزالى أوتربورن – الآنسة فان شويلر – لويز بورجيه (بقصد السرقة) – فيرجسون (بدافع الحقد السياسى) .

ب- مجموعة الأفراد غير المشتبه فيهم : السيدة ألرتون – تيم ألرتون – كورنيليا روبسون – الآنسة بويرز – الدكتور بسنر – السنيور ريشتى – السيدة أوتربورن – جيمس فانثورب .

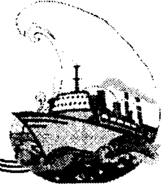
قرأ بوارو المخلص الذى كتبه ريسى وأعاد إليه الأوراق وهو يقول له : «هذا صحيح . هذا صواب تماما» . فقال ريسى : «هل توافق عليه ؟» فقال بوارو : «نعم» فسأله ريسى : «وماذا تستطيع أن تضيفه إلى ما ذكرته أنا ؟» اعتدل بوارو فى جلسته وقد بدا عليه الاهتمام والتفكير العميق وقال : «بالنسبة لى ، يبرز أمامى سؤال واحد هو : لماذا

تم إلقاء المسدس من فوق ظهر الباخرة؟» فقال ريسى : «هل هذا هو كل ما هنالك؟» فقال بوارو : «حتى هذه اللحظة : نعم . حتى أصل إلى إجابة هذا السؤال لا معقولية تامة لأى احتمال . هذه هى نقطة البداية . يجب أن تكون هذه هى نقطة الارتكاز . وستلاحظ ياصديقى أنك فى الملاحظات التى قمت بكتابتها لم تتعرض إطلاقا لهذه المسألة . ثم تناول بوارو الشال الحريرى الأحمر وسأل ريسى : «أنت ياعزيزى أعلم منى فيما يتعلق بشأن الأسلحة النارية . هل تعتقد أن مجرد وضع المسدس الصغير فى طيات هذا الشال وإطلاق النار من داخل الشال يكتم صوت الطلقة النارية كل الكتمان؟» فقال ريسى : «لا» . فقال بوارو : «وهل تعتقد أن الشخص الذى تعود على جرائم القتل باستخدام الأسلحة النارية يجهل مثل هذه الحقيقة؟» قال ريسى : «مثل هذا الشخص يستحيل أن يجهل هذه الحقيقة» . فقال بوارو : «أما المرأة التى لم تتعود استخدام الأسلحة النارية فى جرائم القتل فهى تجهل طبعا هذه الحقيقة وتظن أن الشال سيكتم صوت الطلقة النارية . وهذا المسدس صغير الحجم صغير العيار ، وهو لا يحدث عند إطلاق الرصاص منه صوتا ضخما مدويا ، ولو تم إطلاق الرصاصة منه فى الوقت الذى تكون فيه أصوات أخرى لا يكاد أن ينتبه إلى إطلاق هذا المسدس أحد» . فقال ريسى : «هذه احتمالات ممكنة ومعقولة» .

وتناول بوارو المنديل الذى به الطلاء الأحمر الباهت وراح يقلبه بين يديه ثم قال : «ليس هذا منديل امرأة ، ولكنه منديل رجل ، وهو ليس رجلا من علية القوم . إنه شبيه بالمناديل التى يستخدمها الخدم والعمال . يستخدمها رجال من طراز فليتوود ولا يستخدمها رجال من طراز بننجتون الذى يستخدم مناديل من الحرير ، ولقد رأيناه وهو يخرج من جيبه واحدا منها ليجفف بها عرقه عند استجوابنا له» .

وسأله ريسى : «هو فيرجسون إذن ؟» فقال بوارو : «ربما ... وربما كان القاتل قد استخدم هذه اللفافة كمجرد قفاز حتى لا يترك أى بصمات لأصابعه على المسدس» .

وأمسك بوارو باللفافة بين يديه ، وعاود التقليب فيها ثم قال بحزن : هذه السيدة الراقدة هناك فى هدوء تام ... السيدة لينيت دويل وفى رأسها ثقب أحدثته الرصاصة القاتلة . هل تتذكر كيف كانت ترقد آخر مرة رقدت فيها؟» فقال ريسى : «أعرف أن لديك فكرة تريد أن تقولها لى ولكننى لا أستطيع أن أخمن ما هى» .



الفصل الثامن عشر

دخل أحد الخدم بالباخرة ليخبر بوارو أن السيد سيمون دويل يرغب فى رؤيته ، ونهض بوارو من مجلسه ومشى إلى كابينة الدكتور بسنر ، وهناك كان يجلس سيمون وهو محموم الوجه وقد أحيط بعدد كبير من الوسائد ، وبدا عليه الارتباك قبل أن يتكلم ليقول : «كان كرما منك ياسيد بوارو أن تتفضل بالمجىء عندى هنا . أريد أن أطلب منك شيئا» . فقال بوارو : «نعم؟» وازداد وجه سيمون احمرارا وهو يقول : «المسألة تتعلق بالآنسة چاكى . أريد ترتيب مقابلة لى معها . هل تعتقد أنها توافق أن تحضر عندى هنا . أنت تعرف أننى راقد هنا أفكر ... أفكر فى هذه الإنسانة البائسة... إنها طفلة صغيرة رغم كل شىء ... ولقد عاملتها بقسوة فظيعة ... و ...» فقال له بوارو : «أنت تريد أن تحضر الآنسة چاكلين لمقابلتك . سوف أذهب وأبحث عنها» .

فقال سيمون : «هذا كرم كبير منك» .

وخرج بوارو ليبحث عن چاكلين دى بلفورت فوجدها جالسة بمفردها فى أحد أركان الصالون وقد وضعت كتابا مفتوحا فوق ركبتيها ولم تكن تنظر فى الكتاب المفتوح فقال لها بوارو : «السيد سيمون دويل يريد أن يراك ، وهو غير قادر على الحركة . هل تتفضلين بالمجىء معى عنده؟» .

كان بوارو يتحدث إليها بأدب جم وبصوت خفيض حان ، فالتمعت عيناها وازداد وجهها احمرارا ثم غاض اللون الأحمر بسرعة ، وظهرت الحيرة على وجهها ثم قالت : «هل سيمون يريد حقا أن يرانى أنا؟» فقال لها بوارو : «نعم . هل تأتين معى؟» فقالت : «طبعا . طبعا بكل تأكيد...» .

ومشت إلى جانب بوارو كطفلة صغيرة ولكنها كانت تمشى مضطربة مرتبكة ، ولما وصلا إلى القمرة التى كان يرقد فيها سيمون ، دخل بوارو أولا وأعلن قدومها ، ثم دخلت ووقفت فى مكانها كالمترنحة وقد استقرت عيناها على وجه سيمون ، وكان سيمون لا يقل عنها ارتباكا ولكنه تمالك نفسه قبلها فتكلم قائلا : «مرحبا بك ياچاكلين . إنه لكرم منك أن تحضرى عندى هنا . أريد أن أقول لك شيئا ... أقصد أن أقول...» وعندئذ زال ارتباكها فجأة واندفعت الكلمات السريعة من فمها وقالت : «سيمون ! أنا لم أقتل لينيت . أنت تعرف أننى لم أقتلها . كنت كالمجنونة معك أنت

بالأمس . آه . هل تغفر لى ؟» فقال سيمون : «طبعا . طبعا . أنت معذورة . كل ما هنالك أنك قد أفرطت فى الشراب» . فقالت چاكلين : «أحقا ؟ ماذا تقول ؟ لقد كان من الممكن أن تقتلك الرصاصة» . فقال لها : «كفى عن هذا الكلام الفارغ» . فقالت : «ولكن ربما زادت مضاعفات جرحك فى المستقبل؟» فقال لها : «كفاك هراء يا چاكلين ! عند وصولنا إلى أسوان سيجرون كشفا على ساقى بالأشعة ويخرجون الرصاصة ، وهى عملية مضمونة ويلتئم الجرح بسرعة» .

وارتجفت چاكلين وهى واقفة ثم اندفعت نحوه وركعت إلى جوار فراشه ودفنت وجهها فى صدره وأخذت تنتحب . وأخذ سيمون يربت عليها بحنان . والتقت عيناه بعينى بوارو الذى تسلل خارجا وهو يسمع الهمسات المتقطعة .

قالت چاكلين : «آه ياسيمون .. ياحبيبى ... كيف أمكن أن أفعل بك هذا الذى فعلته؟» وابتعد بوارو فلم يسمع أكثر من هذه المقولة .

وصادف بوارو فى طريقه الآنسة كورنيليا منحنية فوق السياج ، فالتفتت نحوه قائلة : «ما أعجب المفارقات ! ما أبدع الجو اليوم ! انظر إلى السماء . انظر إلى نور الشمس» . ونظر بوارو نحو السماء وقال : «عندما تبزغ الشمس لا يستطيع الإنسان أن يرى القمر ، وعندما تغيب الشمس نرى القمر» . فقالت كورنيليا : «ماذا تقول ؟ ليس ما تقوله جديدا على كل حال . إنه معنى بديهى» . فقال لها بوارو : «معذرة ياعزيزتى . أنا رجل عجوز أحمق ... أنا أتمسك بقول البديهيات وترديدها» .

واستأنف بوارو سيره حتى أصبح أمام قمرة السيدة أوتربورن وابنتها فطرق مسامعه صوت يقول : «يالك من ناكرة للجميل ! أهذا بعد كل ما فعلت من أجلك ؟ ألا تدركين مبلغ عذابى ؟ ألا تحترمين رغبة أمك؟» .

زم بوارو شفتيه وقرر أن يطرق عليها الباب ، فسمع صوت السيدة أوتربورن تقول : «من بالباب؟» فقال بوارو : «هل الآنسة روزالى موجودة؟» .

برزت له روزالى ، ولاحظ بوارو تحت جفنيها لونا داكنا وبعض التقرحات وبادرته فى جفوة تقول : «ماذا تريد؟» فقال لها : «أريد أن تتكرمى بالمجىء مع لبضع دقائق لنتحدث على انفراد» .

ظهر الارتباك والتردد على روزالى ، ولكنها تجلدت ومشت مع بوارو إلى سطح السفينة، وكان السطح خاليا . ووقف بوارو وهو يستند إلى سياج الباخرة . وكانت روزالى تقف أمامه متحفزة منتصبة القامة كما لو كانت جنديا يقف وقفة الانتباه . وشرع بوارو يتكلم بهدوء وهو يحاول انتقاء الكلمات حتى لا تزداد روزالى نفورا من الكلام معه فقال

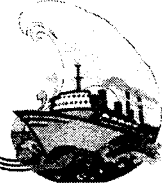
لها : «أنت تتحملين عبء همومك وحدك يا روزالى ... ولقد طال بك تحمل هذا العبء ولقد أصابك التعب والإرهاق» . فقالت روزالى : «أنا لست أعرف عم تتكلم؟» فقال بوارو : «أنا أتكلم بلسان الحقيقة والواقع يا آنسة . إن الحقيقة مرة والواقع كريه فى بعض الأحيان ولا نحب أن نعترف به أو نواجهه صراحة. ولكننى رجل واقعى وأحب أن أسمى الأشياء بأسمائها . لقد عرفت بخبرتى الطويلة أن أمك تدمن شرب الخمر» .

سكتت روزالى ولم تحر جوابا ، ثم فتحت فمها وحاولت أن تتكلم ثم عدلت عن الكلام ولم تقل كلمة واحدة . فاستطرد بوارو قائلا : «لا حاجة بك أن تتكلمى يا آنسة روزالى . سأقوم أنا بالكلام بدلا منك . لقد كنت فى حقيقة الأمر مهتما بدراسة العلاقة بينك وبين والدتك ، وأدركت أنك تحبين أمك حبا جما . وتصادف أن قابلت أمك ذات صباح باكر ولاحظت أنها كانت فى حالة سكر شديد على الرغم من أنها قالت لى على مائدة الغداء إنها لا تذوق الخمر أبدا فأدركت أنك تحاولين منعها من شرب الخمر أمام الناس على الأقل ، ولكن عندما تكون فى مخدعها بعيدا عن الناس لا تمنعين الخمر عنها، وأنا أستطيع أن أؤكد لك أنك قد اكتشفت فى الليلة الماضية أثناء استغراق أمك فى النوم مخبأ لزجاجات خمر كانت أمك تخفيها لتشرب منها عندما تصحو من النوم وتكونين أنت نائمة ، ولما تم لك اكتشاف مخبأ زجاجات الخمر حملتيها فى صندوقها وألقيت بها فى النيل . أليس ذلك هو ما حدث يا آنسة روزالى؟» .

فقالت روزالى : «نعم . هذا بالضبط هو ما حدث ... لقد كان خطأ منى ألا أصارحكما بالحقيقة بعد أن شهدت الآنسة فان شويلر أنها قد شاهدتنى ألقى شيئا فى النيل. كنت أريد ألا أبوح بسر أمى لأننى ياسيد بوارو شديدة الخجل من سلوكها عندما تكون مخمورة مع أننى أحبها وأشفق عليها» . فقال لها بوارو : «لا تخافى يابنيتى . السر عندى مصون» . فقالت روزالى : «لا شك عندى فى هذا . وأرجو أن تغفر لى جفوتى وخشونتى فى بداية الحديث معك» . فقال : «لا حرج فى ذلك . ولكن خبرينى بالضبط : هل كان إلقاؤك صندوق زجاجات الخمر فى الساعة الواحدة وعشر دقائق بعد منتصف الليل؟» . فقالت روزالى : «نعم . كان فى ذلك الوقت» . وسألها بوارو : «هل شاهدت أنت الآنسة فان شويلر كما شاهدتك هى ؟» فقالت : «لا» . فسألها : «ألم تشاهدى أى شخص آخر غيرها آنذاك؟» .

سكتت روزالى لحظة وقطبت حاجبيها كمن يفكر تفكيرا عميقا ثم هزت رأسها ونفت ذلك بلهجة قاطعة بقولها «لا . لم أر أى شخص آنذاك» .

وهز بوارو رأسه بكل بطء ، ولكن كانت عيناه تلمعان .



الفصل التاسع عشر

أقبل ركاب الباخرة إلى قاعة الطعام بخطوات متثاقلة متراخية كأنهم يشعرون أن إقبالهم على الطعام بعد مقتل لينيت دويل سلوك غير لائق من جانبهم ، وكأنما كان يعوز كل واحد منهم اعتذار ما لكى يتناول الطعام .

ووصل تيم ألرتون إلى قاعة الطعام بعد وصول أمه إليها ببضع دقائق ، وكانت حالته المزاجية بالغة السوء . وبمجرد أن جلس بجوار أمه قال : «وددت لو لم أكن قد اشتركت فى هذه الرحلة!» فقالت أمه : «آه ياعزيزى ! لقد وددت أن لم أشترك أنا أيضا فى هذه الرحلة! هذه الإنسانة الجميلة يطلق عليها القاتل الرصاص بأعصاب هادئة . من المرعب أن أتصور أن أى إنسان يمكنه أن يقدم على هذه الفعلة . وياللحسرة على تلك الإنسانة البائسة الأخرى!» فقال تيم : «هل تقصدين جاكلين؟» فقالت : «نعم . إن قلبى يكاد ينفطر من أجلها . إنها تبدو تعيسة كل التعاسة» . فقال تيم : «قولى لها أن تحاول البحث عن ألعاب التسلية» . فقالت : «أعتقد أنها لم تحظ بتربية جيدة» . فقال لها : «أضرع إليك يا أمى لا تدخلينا فى نظريات السلوك وأصول التربية» . فقالت أمه : «أنت معتل المزاج لا تحسن الكلام ياتيم» . فقال تيم : «نعم . أنا بالفعل معتل المزاج . ومن ذا الذى لم يعتل مزاجه؟» فقالت : «لست أعرف بالضبط ما يفسد مزاجك . المسألة كلها مجرد شيء مؤسف» . فقال تيم : «إنك تنظرين إلى الأمور ببساطة كما لو كان ما يحدث فى واقع الحياة مجرد فصول فى رواية خيالية . إن ما لا تستطيعين أن تفهميه يا أمى هو أن المسألة ليست مجرد نكتة سخيفة . إنها ممتزجة بجريمة قتل» . فقالت : «ولكن...» فقاطعها بقوله : «لا مجال لاستخدام كلمة «لكن» . كل إنسان فوق هذه الباخرة عرضة لشبهات الاتهام ... أنت وأنا وكل إنسان فوق هذه الباخرة الملعونة» . فقالت : «من الناحية العملية ما تقوله صحيح . ومن حيث الحقيقة فالمسألة بهذا الوضع مضحكة» . فقال : «لاشيء يثير الضحك عند مناقشة جريمة قتل وعند التحقيق فيها . ربما تجلسين فوق كرسى ياعزيزتى تتحدثين عن الفضائل ودوافع السلوك النظرية ، بينما رجال التحقيق فى الشلال أو أسوان لا يأخذون أقوالك بظاهر معانيها» . فقالت : «ربما تظهر الحقيقة قبل أن نصل هناك» . فقال: «ولماذا

يتحتم أن تظهر الحقيقة هكذا؟» فقالت : «بوارو سيكتشف الحقيقة» . فقال تيم : «بوارو ؟ إنه قطعة من الأثاث القديم . مجرد شارب ضخم فوق شفتين تلوكان أى كلام!» فقالت: «مهما يكن كلامك صحيحا يا تيم ، نستطيع نحن أن ننجو من التعرض لأى رذاذ متطاير من هذه الجريمة . ولا يوجد مانع من أن نكون مسرورين لا يكدر صفونا شيء» . فقال تيم : «ولقد جد فى الموضوع جديد . لقد أعلنوا عن فقدان اللآلئ أيضا» فقالت أمه: «لآلئ لينيت؟» فقال تيم : «نعم . يبدو أن شخصا ما قد استولى عليها» . فقالت : «ربما كان هذا هو الدافع لارتكاب الجريمة» . فقال تيم : «من يدرى ؟ لا لزوم للخلط بين المسألتين» . فقالت : «من أخبرك أن اللآلئ أيضا قد سرقت ؟» فقال : «فيرجسون . وقد علم بهذه الحقيقة من صديقه المهندس فليتوود الذى عرفها من الوصيفة التى يصادقها المهندس» . فقالت : «كانت اللآلئ فاخرة» .

ودخل بوارو إلى قاعة الطعام وجلس إلى جوار السيدة ألرتون كالعادة ، وكالعادة أيضا أخذت تحدثه عن الخمر وأضرار إدمانها مؤكدة أنها لا تشرب إلا المياه المعدنية ، وهز بوارو كتفيه وقد لمع فى ذهنه خاطر من الخواطر المهمة ولكنه حول الحديث إلى موضوع آخر فسأل تيم ألرتون قائلا له : «خبرنى ياتيم . هل تشبه الآنسة چوانا ساوثوود ابنة خالتها لينيت دويل؟» فقال تيم : «لا . لا يوجد أى وجه للشبه بينهما مطلقا . چوانا ساوثوود كانت صديقة لينيت وهى ابنة خالتى أنا وليست ابنة خالة لينيت» . فقال بوارو : «لقد اختلط الأمر فى ذهنى . إن خالتك شخصية مرموقة يردد الناس فى المجتمعات الراقية اسمها . وأنا شخصيا مهتم بأخبارها» . فسأله تيم : «ولماذا تهتم بأخبار خالتى ياسيد بوارو؟» .

ونهض بوارو فجأة واقفا على قدميه لينحنى باحترام تحية للآنسة چاكلين دى بلفورت التى وصلت إلى قاعة الطعام متأخرة ، ولما عاود الجلوس بدا كما لو كان قد نسى سؤال تيم وبادر هو إلى توجيه سؤال آخر لتيم قائلا : «هل كان عند خالتكم جواهر ثمينة تهمل شأنها كما فعلت لينيت دويل؟» وعندئذ تدخلت السيدة ألرتون فى الحوار وقالت : «هل صحيح إذن أن جواهر لينيت دويل قد سرقت؟» فقال لها بوارو : «ومن الذى أخبرك أنها قد سرقت ياسيدتى؟» ... ولم تجب السيدة ألرتون عن سؤال بوارو ، فتولى ابنها تيم الإجابة بالنيابة عن أمه فقال : «فيرجسون هو الذى أذاع هذا النبأ» . وأعلن بوارو صحة الخبر ، فقالت السيدة ألرتون : «أعتقد أنه

سيترتب على ذلك نتائج سيئة تعمنا جميعا كما تنبأ بذلك ولدى تيم!» فقال بوارو : «هل سبق لك يا تيم أن تعرضت لمثل هذه التجربة ؟ أقصد هل سبق أن كنت مدعوا فى بيت من بيوت العائلات الغنية عندما حدثت فى هذا البيت سرقة مجوهرات؟» فقال تيم : «لا . لم يحدث لى هذا الشرف من قبل» ، فقالت أمه على الفور «بل كنت يا تيم مدعوا فى قصر عائلة ليننجتون عندما سرقت مجوهرات صاحبة القصر» . فقال تيم : «أنت يا أمى تخلطين دائما بين الأمور . أنا كنت موجودا فى ذلك القصر عندما اكتشفوا أن المجوهرات التى كانت تتحلى بها صاحبة القصر مزيفة وكانت المجوهرات الحقيقية قد سرقت فى وقت سابق وقت إقامة الحفل الذى كنت مدعوا إليه . ويجوز أن تكون هذه المجوهرات قد سرقت قبل شهور . وبعض المدعوين ذكروا أن صاحبة القصر ربما تكون باعتها واستبدلتها بالمجوهرات المزيفة لتبتز أموال زوجها» . فقالت أمه : «لعل چوانا هى صاحبة هذا الرأى يا تيم؟» فقال تيم : «چوانا لم تكن موجودة بذلك الحفل يا أمى» . فقالت : «ولكنها تعرف أولئك الناس . وأنا أعرفهم . وأعرف أن چوانا تظن دائما مثل هذه الظنون الماكرة الخبيثة» . فقال تيم : «أنا لا أعرف يا أمى سبب تحاملك دائما على ابنة خالتى چوانا» .

وبادر بوارو إلى تغيير موضوع الحديث فسأل السيدة ألرتون عن أثواب الحرير ذات الرسوم الفرعونية التى شاهدتها فى أسوان قبل ركوب الباخرة لأنه يريد أن يشترى مجموعة منها عند عودة الباخرة إلى أسوان بحيث يكلف صاحب المحل أن يرسلها له باسمه إلى لندن ، وهل يمكن ذلك لأنه لا يحب أن يحمل ثيابا كثيرة معه أثناء السفر ، فقالت السيدة ألرتون إنها سمعت أن أناسا كثيرين سبق أن وصل إليهم فى لندن مثل هذه الملابس التى شحنت إليهم من مصر ، وقد وصلت إليهم كاملة وسليمة خالية من أى عيب . فقال بوارو : «عظيم . أنا سألجأ إلى هذه الطريقة يا سيدة ألرتون . ولكن السؤال المهم هو إذا كانت الطرود يمكن أن تصل من مصر إلى إنجلترا فهل من الممكن أن تصل طرود من إنجلترا إلى مصر ؟ ألم تصل إليكم أى طرود من إنجلترا منذ غادرتموها فى بداية هذه الرحلة؟» فقالت السيدة ألرتون : «لا أظن ذلك . هل وصلنا أى طرود من إنجلترا يا تيم ؟ أنت تصلك بعض الكتب بالبريد أحيانا يا تيم ! ولكن للكتب نظام خاص غير البضائع الأخرى» .

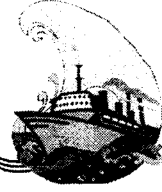
فقال بوارو : «طبعا ياسيدتى . الكتب لها نظام تصدير واستيراد خاص بها . يكون

الطرد مفتوحا من أعلى ومن أسفل . ولا تكون بالتالى هنالك حاجة إلى فتح وتفتيش كما هو الشأن فى طرود البضائع الأخرى ، يمكن سحب الكتاب من مظروفه وفحص محتواه وإعادته إلى مظروفه بكل سهولة ، وليس هذا هو الشأن فى صناديق البضائع بطبيعة الحال».

وجاء دور تقديم الحلوى والفاكهة بعد تناول الطعام ورفع الأطباق التى كانت تحوى بقايا الطعام وعندما شرع الناس حول المائدة فى تناول الحلوى وقف الكولونيل ريسى فأشار إلى وقوع جريمة القتل مع وقوع حادث سرقة المجوهرات ولذلك فمن الضرورى إجراء تفتيش يشمل كل القمرات والأماكن التى يمكن أن يتم إخفاء المجوهرات فيها ، ورجا من كل الموجودين ألا يغادروا أماكنهم على مائدة الطعام إلا بعد إعلان آخر منه بعد انتهاء عملية التفتيش . ونهض بوارو ووقف إلى جانب ريسى. وتبادل الناس حول المائدة الهمهمة.

واستدعى ريسى أحد الخدم وأشعل سيجارة ، وأسر بوارو فى أذن ريسى بضع كلمات فقال ريسى : «فكرة جيدة» . وبعد قليل جاء خادم وقال للكولونيل ريسى : «تمام يا أفندم . توجد سيدة تريد أن تتحدث إليك فورا ودون تأخير» . فقال ريسى : «من هى؟» فقال الخادم : «إنها الآنسة بويرز الممرضة ياسيدى» . وظهرت أمارات الدهشة على وجه ريسى وقال للخادم : «دعها تحضر إلينا فى غرفة التدخين ولا تدع أى شخص آخر يغادر مكانه». فقال الخادم : «سأرسل أحد الخدم فقط فى صحبة الآنسة بويرز» . ورجع الخادم إلى قاعة الطعام وذهب ريسى وبوارو إلى قاعة التدخين، ولم يكادا يجلسان حتى جاء الخادم ومعه الآنسة بويرز ، وعندما أدخلها الخادم أغلق الباب من الخارج ومضى عائدا إلى حجرة الطعام.

قال الكولونيل ريسى : «ما الأمر يا آنسة بويرز؟» فقالت بويرز بثبات : «أرجو المعذرة يا كولونيل ريسى . إزاء الظروف الحاضرة فكرت فى الموضوع وقررت أنه من الأفضل أن أتكلم معك على الفور». وفتحت حقيبة يدها وقالت : «ومن الضرورى أن أعيد إليك هذا الشيء». وأخرجت من حقيبة يدها عقدا من اللآلئ ، ووضعته فوق المنضدة .



الفصل العشرون

لو كانت الآنسة بويرز تحترف مهمة بيع متعة خلق الإحساس بالإبداع عند الناس لربحت من هذه المهنة أموالاً كثيرة ، بالنظر إلى النتيجة التى حققها مسلكها الأخير .

طغى إحساس بالدهشة البالغة على ملامح الكولونيل ريسى وهو يلتقط حبات اللؤلؤ من فوق المنضدة . وقال «هذا حدث خارق العادة . هل يمكنك أن تفسريه لنا يا آنسة بويرز» . فقالت : «بالطبع هذا هو ما قدمت من أجله» . واعتدلت الآنسة بويرز لتأخذ كل راحتها على الكرسى التى كانت تجلس عليه واستطردت قائلة : «لقد كان من الطبيعى صعوبة اتخاذ قرار بالمجىء إليكم لعمل المسلك الأفضل فى هذا الموقف الدقيق . إن أسرتى لتهتز من جراء فضيحة من هذا النوع بطبيعة الحال لأنهم يثقون فى أخلاقى، ولكن الظروف بلغت حداً من الشدة لم يدع لى مجالاً للاختيار، لقد قدرت بطبيعة الحال أنكم أذكياء جدا ، وأنكم عندما لا تعثرون على اللآلئ فى القمرات بين أمتعة الركاب ، ستحتفظون بهم جميعا وأنا بينهم فى غرفة الطعام ثم تعمدون إلى تفتيش الركاب أنفسهم فى حجرة الطعام، وعندما تعثرون على اللآلئ معى لن يكون عندى مجال لإيضاح الحقيقة بالطريقة الملائمة مع انكشاف الأمر وتدهور موقفى الأخلاقى» .

قال الكولونيل ريسى : «وما هى حقيقة هذا الشأن بالضبط ؟ هل أنت التى سرقت اللآلئ من حجرة السيدة دويل ؟» فقالت الآنسة بويرز : «أوه . لا ياكولونيل ريسى . الآنسة فان شويلر هى التى كانت قد سرقتها من حجرة السيدة لينيت دويل» .

فقال ريسى : «الآنسة فان شويلر؟» فقالت الآنسة بويرز : «نعم . إنها لم تستطع أن تتجنب هذه السرقة ، ولكنها فعلتها ، إنها مصابة بمرض السرقة القهرية . إننى أقوم بمراقبتها دائما حتى أمنعها من سرقة أشياء الآخرين وخصوصا الأشياء الثمينة ذات القيمة . ولقد تمكنت من منعها مدة طويلة قبل وقوع هذا الحادث ، إن دورى ينحصر بطبيعة الحال فى مجرد المراقبة المستمرة لها ، وأنا أعرف أنها دائما تخفى الأشياء التى تسرقها فى مكان واحد هو هذا الجورب» – وأخرجت جوربا – وأنا أنظر كل صباح ما إذا كان فارغا أم أنه يوجد بداخله شىء . إن نومى خفيف جدا . وأنا أقيم بالحجرة المجاورة لها بالباخرة ويوجد باب بين القمرتين يظل مفتوحا لأتمكن من مراقبتها لو نزلنا أى فندق . وعندما أشاهد أنها خرجت ليلا لسرقة أى شىء ثمين يصادفها من

ممتلكات الآخرين أتتبعها لأمنعها من السرقة . وكانت مراقبتها على الباخرة صعبة . ولكنها قلما تسرق أثناء الليل ، إنها فى العادة تكتفى بأن تلتقط الأشياء التى تركها أصحابها للسهو أو للإهمال وعدم تصورهم إقدام أحد على سرقة أشيائهم المتروكة ، وللمجوهرات جاذبية خاصة لديها» . وتوقفت الآنسة بويرز عن الكلام .

وسألها ريسى : «كيف تم لك اكتشاف أنها قد أخذت هذه اللآلىء؟» فقالت الآنسة بويرز : «وجدتها فى الجورب هذا الصباح . وكنت أعرف صاحبة اللآلىء بطبيعة الحال حيث شاهدتها ترتديها أكثر من مرة . وحاولت الذهاب فور ذلك إلى قمرة السيدة دويل لأتمكن من إرجاعها وكنت آمل ألا تكون قد استيقظت واكتشفت السرقة ، ولكننى وجدت أحد الخدم واقفا عند بابها وأخبرنى عن وقوع جريمة القتل وأنه واقف بالباب ليمنع دخول أى شخص . ولكننى كنت لا أزال آمل أن أتمكن من مجرد إسقاط اللآلىء فى قمرتها لدى وجود أى فرصة أستطيع فيها الدخول إلى القمرة ولو للحظة واحدة قبل أن يتم اكتشاف سرقة اللآلىء . وأؤكد لكم أننى قضيت صباحا عصيبا أفكر فيما يمكن لى أن أفعل . أنتم تعرفون أن عائلة شويلر عائلة متميزة ومتزنة . ولن يكون الأمر سهلا لو تسللت هذه الأنباء إلى الصحف والمجلات ، ولكننى أرجو ألا يكون تسريب خبر اختفاء اللآلىء إلى الصحافة ممكنا لهذا السبب . هل هذا ممكن؟» .

وبدا الانزعاج على وجه الآنسة بويرز ، فقال ريسى : «هذا يتوقف على الظروف بطبيعة الحال ... ولكننى أعدك أن نبذل كل جهودنا إذا كانت اللآلىء غير ذات أهمية فى تحقيق موضوع القتل . ماذا ستقول الآنسة فان شويلر لو سألناها عن مدى صدق كلامك؟» فقالت الآنسة بويرز : «إنها تنكر بإصرار دائما ... وحين أتعقبها ليلا وهى تتسلل من مخدعها بحثا عن شىء تلتقطه لا يبدو عليها الاضطراب أو الخجل منى لأننى أعرف كل شىء عنها من هذه الناحية .. وهى لا تقاومنى وتدعى فقط أنها خرجت للتطلع إلى ضوء القمر مثلا ثم تعود معى مستسلمة كالحمل الوديع» . وسألها ريسى : «وهل تعلم كورنيليا روبسون هذه الحقيقة عن خالتها» فقالت : «لا . ولكن والدتها تعلم ولم تطلع ابنتها على هذه الحقيقة لأنها ترى أن فى ملاحظتى لها وحرصى على عدم تورطها الكفاية» .

عندئذ شكرها ريسى وبوارو معا . وأذن لها ريسى فى الانصراف ، ولكن بوارو استوقفها عند وصولها إلى الباب وسألها : «هل الآنسة فان شويلر مصابة بمرض القتل دون إرادة أيضا؟» فقالت بويرز : «لا . إنها لا تؤذى الذبابة أو أى كائن حى إطلاقا . أقسم على هذا» . فسألها بوارو : «وهل هى مصابة بالصمم الخفيف؟»

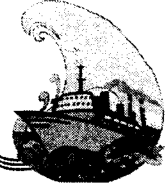
فقالت بويرز : «نعم ، ولكنك لا تكاد تلاحظ ذلك عندما تحادثها عن قرب ، ولكن من الممكن ألا تسمع وقع أقدام يدخل من الباب ولا تحس بدخوله» . فسألها : «هل تعتقدين أنها يمكن أن تسمع وقع أقدام شخص يدخل قمرة لينيت دويل المجاورة لقمرتها؟» فقالت : «لا . هذا مستحيل . لا أعتقد مطلقا أنها تسمعه» . فقال بوارو: «شكرا لك . اذهبى إلى حجرة الطعام واجلسى كالمعتاد مع الآخرين» .

وقام معها الكولونيل ريسى وصمم على أن يوصلها بنفسه إلى حجرة الطعام ، ولما عاد إلى بوارو وجده منهمكا في تقليب عقد اللؤلؤ بين يديه وقال بوارو : «إن فان شويلر صادقة فى جزئية واحدة من أقوالها ، وهى رؤيتها روزالى أوتربورن عندما فتحت فان شويلر باب قمرتها لتتسلل لتسرق العقد من قمرة لينيت فشاهدت روزالى أوتربورن». فسأله ريسى : «هل تعتقد إذن أن روزالى كانت قد سبقتها وقتلت لينيت وشاهدتها فان شويلر وهى تلقى المسدس فى النيل؟» . فقال بوارو : «كانت روزالى تلقى بالفعل شيئا فى النيل ولكن هذا الشيء ليس هو المسدس ، بل كانت تلقى صندوقا من زجاجات الخمر المملوءة بالخمر كانت أمها قد خبأته لأنها مدمنة شرب الخمر» .

وكشف بوارو للكولونيل ريسى باختصار عن حقيقة سر روزالى فقال ريسى : «أنا حقا مسرور لبراءة ساحة هذه الفتاة المهذبة روزالى . ولكن ألم تذكر لك روزالى أنها شاهدت أى شخص أو سمعت أى صوت غير عادى وقد كانت مستيقظة خارج قمرتها فى هذا الوقت المهم من الليل؟» فقال بوارو : «سألتها هذا السؤال بعينه فسكتت حوالى عشرين ثانية تفكر ثم قالت : إنها لم تر أحدا ولم تسمع شيئا» .

قال ريسى : «هذا شيء عجيب . عجيب ألا يسمع صوت الطلقة أحد . ولو افترضنا أن فان شويلر مصابة بصمم خفيف ، فلقد كانت روزالى مستيقظة . وبننجتون الوصى الأمريكى على تركة لينيت موجودا فى القمرة المقابلة لقمرة لينيت ويجوز أن يكون مستيقظا . عجيب أن يقرروا جميعا أنهم لم يروا ولم يسمعوا» . فقال بوارو : «نعم ياعزيزى الكولونيل. إننا نعاود التفكير فى حقيقة شأن بننجتون . ولكن لندع شأنه جانبا الآن . وقم لكى نجرى عملية التفتيش حتى لا يثور الركاب من طول فترة الانتظار» .

قال ريسى : «ولماذا تفتش القمرات ياسيد بوارو . ألم نعثر على العقد؟ لماذا لا نعلن عن إلغاء التفتيش ؟» فقال بوارو : «هل تعنى اللآلئ؟» وتناول بوارو العقد وتذوق حباته بلسانه، وعضها بأسنانه ، والكولونيل ريسى يحدق فى وجهه مندهشا فهز بوارو كتفيه ، ورمى بالعقد فوق المائدة وهو يقول : «توجد تعقيدات أخرى فى هذه القضية ياكولونيل ريسى . إن هذا العقد الذى سلمته إلينا الآنسة بويرز تقليد متقن للعقد الثمين الذى لا يزال مختفيا فى مكان مجهول . لماذا نلغى التفتيش؟» .



الفصل الحادى والعشرون

غضب الكولونيل ريسى إذ اعتقد على الفور أن الآنسة بويرز كانت قد خدعته . وقال : «اللعنة على هذه القضية التى تزداد تعقيدا كلما حققنا فيها» .

وتناول ريسى اللآلئ فى يده وهو يقول : «أعتقد أنك مخطئ . إن هذه اللآلئ تبدو حقيقية!» فقال بوارو : «نعم . إنها تقليد متقن» . فقال ريسى : «والآن : إلى أى نتيجة يقودنا كل هذا ؟ إننى لا أتخيل أن لينيت دويل تحضر معها تقليداً لعقد فى رحلة كهذه طلبا للأمان وخوفا من السرقة ، إن كثيرا من النساء يفعلن ذلك» . فقال بوارو : «أعتقد أنها لو كانت قد أحضرت عقدا من المجوهرات المقلدة لكانت قد أخبرت زوجها بذلك» . فقال ريسى : «وربما لم تكن قد أخبرته بهذه الحقيقة» . وهز بوارو رأسه مما يدل على سأمه من جدل ريسى وقال : «لا أعتقد أن الأمر كان كما تعتقد . لقد كنت قد أبديت إعجابى بلآلئ السيدة دويل فى أول ليلة قضيناها فوق سطح هذه الباخرة . ولقد لاحظت تألقها المبهر للأنظار . أنا متأكد أنها كانت ترتدى اللآلئ الحقيقية آنذاك» .

قال ريسى : «هذه الحقيقة التى تؤكدها الآن تضعنا أمام احتمالين : الاحتمال الأول هو أن تكون فان شويلر قد سطت على العقد المزيف بعد أن سرق اللصوص العقد الأصلى. والاحتمال الثانى هو أن تكون قصة مرض السرقة القهرية كلها من اختراع الآنسة بويرز ولا أساس لها من الحقيقة ، وفى هذه الحالة تكون الآنسة بويرز هى السارقة وألهمها ذكاؤها أن تقدم لنا العقد المزيف . وربما كانوا جميعا شركاء فى عصابة» .

قال بوارو : «نعم . من الصعب تحديد إجابة واحدة . ولكننى سأوضح لك اعتبارا واحدا مهما : هو أن القيام بصناعة نسخة مقلدة تقليدا متقنا لعقد حقيقى من اللآلئ الثمينة مع عمل قفل لائق بمثل هذا العقد يصعب اكتشاف رداءة صنعه ليس فى إمكان شخص على متن باخرة . إن أى شخص يحاول تقليد هذا العقد يحتاج وقتا

وأدوات ويحتاج فحص العقد الأصلى» . فقال ريسى : «غير مجد أن نستمر فى التفكير فى معضلات هذه القضية أكثر من ذلك . هيا بنا للقيام بعملية التفتيش» .

وبدأت عملية التفتيش بدءا بقمرات الطابق السفلى من الباخرة . كانت القمرة الأولى هى قمرة السنيور ريشتى . وجدوا بها بعض الكتب عن الآثار مكتوبة فى لغات مختلفة . ومجموعة غير متسقة من الملابس . وزيوت لدهان الشعر ذات رائحة نفاذة . وعثروا على خطابين للسنيور ريشتى أحدهما وصل إليه من بعثة للتنقيب عن الآثار تعمل فى سوريا ، والآخر من شقيق له فى روما . وكانت مناديله كلها من الحرير الملون .

انتقلوا إلى قمرة فيرجسون ووجدوا مجموعة من مجلدات الكتب الشيوعية ووجدوا صورا خليعة ، وملابس خارجية ممزقة ، وملابس داخلية من أرقى الأنواع ، والمناديل من أفخر أنواع الكتان . ولم يعثروا على أوراق مكتوبة بخط اليد من أى نوع. وعثر بوارو على خاتم تأمل النقش الموجود عليه وتركه فى مكانه .

انتقلوا بعد ذلك إلى قمرة لويز بورجيه وصيفة القتيلة . وجاء إليهم أحد الخدم يعلن لهم أن لويز نفسها غير موجودة فى قاعة الطعام ولم يعثروا لها على أثر . وبتفتيش قمرتها وجدوها خالية من كل شىء له صلة بالسرقة أو القتل ، وكانت الحجرة فى غاية الفوضى .

انتقلوا بعد ذلك إلى قمرات الطابق العلوى بدءا بقمرة جيمس فانشورب ولم يجدوا بها شيئا مما ينشدون العثور عليه ... وكذلك الحال بالنسبة لقمرة تيم ألرتون . ثم انتقلوا إلى قمرة السيدة ألرتون ثم إلى قمرة سيمون دويل .

ولم يسفر تفتيش كل القمرات عن العثور على أى شىء له صلة بجريمة السرقة أو جريمة القتل ، فانتقلوا أخيرا إلى قمرة القتيلة .

كانت الجثة قد نقلت إلى الثلاجة ، وكان كل شىء على حاله لم يتغير . وبدأ بوارو بنفسه البحث والتنقيب فى كل مكان وفى كل شىء بكل اهتمام . جثا على ركبتيه أحيانا وراح يفحص الأرض شبرا شبرا . وفحص الفراش ، والملابس الداخلية والملابس الخارجية . وحوض الاستحمام والحوض المعد لغسل الأيدى . ولم يسترع انتباهه أى شىء سوى زجاجتين من طلاء الأظافر تناولهما فى يده . كانت إحداهما

عليها بطاقة وردية اللون بها قليل من سائل أحمر داكن اللون . أما الزجاجة الأخرى فقد كانت مملوءة بسائل أحمر فاتح اللون .

وفتح بوارو الزجاجتين الواحدة منهما بعد الأخرى وشم رائحة كل منهما بعد فتحها . وطلب إحضار الوصيفة لويز ليسألها فى عدة أمور .

وغادروا قمرة القتيلة إلى قمرة فان شويلر فشاهدوا مظاهر الثراء بادية فى كل شىء. ولم يجدوا شيئا مما يبحثون عنه .

وكانت المقصورة التالية هى مقصورة بوارو نفسه وتليها مقصورة الكولونيل ريسى، وأعلن ريسى أنه لا ضرورة لتفتيشهما ، إذ يستحيل أن يخبئ فيهما أحد شيئا ، فقال بوارو: «ولم لا ؟ لقد حدث ذات مرة فى قطار الشرق السريع أن وقعت حادثة سرقة إيشارب من الحرير الأحمر اللون . وكنت أقوم بنفسى بالتحقيق فى حادث السرقة ذاك . وفى نهاية التفتيش أين تحسبنى وجدت الإيشارب الأحمر ياعزيزى ريسى ؟ لقد وجدته فى حقيبتى أنا!» فقال ريسى : «ليت أحدهم أن يكون قد أخفى شيئا مهما فى قمرتى أو قمرتك! هيا لنرى» . ولم يعثروا على شىء .

وانتقلوا إلى قمرة الآنسة بويرز ، ولم يجدوا شيئا ، وكذلك انتقلوا إلى قمرة السيدة أوتربورن وابنتها روزالى ولم يجدوا شيئا .

وانتقلوا إلى قمرة الدكتور بسنر ، وكان سيمون دويل راقدا فيها وأمامه أطباق طعام لم يشرع بعد فى تناوله فطلب رفع الطعام لأنه لا يحتاجه . ولقد أظهر سيمون دهشة كبيرة عندما أخبره بوارو أن لآلئ زوجته قد سُرقتْ ، وأن السيدة بويرز قد أعادتها ، ولكن العقد الذى أعادته كان تقليدا وليس هو العقد الأصلى . وأكد سيمون أن العقد الذى كان فى حوزة زوجته عقد من اللآلئ الأصلية وليس من اللآلئ المقلدة . وقال : «إن لينيت كانت تحب هذا العقد من اللآلئ الحقيقية حبا جما . وكانت تحب أن تلبسه دائما . وقد أمَّنَتْ على اللآلئ مما جعلها قليلة الاكتراث لو تعرض للضياع» .

فقال بوارو : «من الضرورى إذن أن نستمر فى البحث» . وشرع بوارو فى تفتيش دولاب كما شرع ريسى فى تفتيش إحدى الحقائب فانزعج سيمون وقال : «اسمعا، لا أظن أنكما تعتقدان أن الدكتور بسنر هو الذى سرق العقد؟!» فقال : «كل شىء

في نظر المحقق الجنائى جائز!» فقال سيمون : «ولكنه لا يستطيع أن يخفى شيئا هنا دون أن أراه» . فقال بوارو : «لا يستطيع أن يخفى شيئا اليوم دون أن تراه .ولكن فى الأيام السابقة كان يستطيع أن يخفى أشياء دون أن تراها . من يدرينا أن عملية إبدال العقد قد حدثت منذ أيام؟» ... ولم يسفر البحث فى قمرة الدكتور بسنر عن شيء!

انتقلوا إلى قمرة بننجتون . واستغرق تفتيشها وقتا طويلا إذ اضطروا إلى فحص حقيبة مليئة بالوثائق والمستندات التى كان معظمها لا يزال بحاجة إلى توقيع لينيت .

وعثروا فى أحد الأدراج على مسدس ضخم الحجم فحصه بوارو ثم أعاده إلى مكانه بعد أن شم رائحة فوهته . ولقد كان من الواضح أن الجريمة لم ترتكب بمسدس من هذا النوع. ولم يعثروا على شيء ذى صلة بالسرقة أو القتل .

واقترح بوارو أن يكمل ريسى تفتيش قمرة چاكلين وقمرة كورنيليا وقمرتين خاليتين ريثما يذهب بوارو نفسه إلى قمرة الدكتور بسنر ليتحدث مع سيمون فى مسألة مهمة .

ولم يكد بوارو يدخل عند سيمون حتى بادره سيمون قائلا : «لقد فكرت فى موضوع لآلئ العقد جيدا . أنا متأكد أن اللآلئ الحقيقية كانت موجودة فى العقد فى حوزة زوجتى على ما يرام حتى أمس . لم يتم استبدال العقد فى يوم سابق على الأمس» .

فقال بوارو : «وما الذى يدعوك إلى هذا اليقين ياسيد دويل؟» فقال سيمون دويل: «لأن لينيت كانت تتأملها بكثير من الإعجاب قبل العشاء مباشرة وكانت تحدثنى عن جمالها . وأعتقد أنها – وهى الخبيرة فى اللآلئ – كان تستطيع أن تكتشف التقليد لو كانت اللآلئ مزيفة آنذاك» . فقال له بوارو : «يجوز أن يكون ما تقوله صحيحا . ولكن قل لى : هل كان من عادة لينيت دويل أن تترك هذه اللآلئ بعيدة عن نظرها مدة طويلة فلا ترتديها إلا فى مناسبات قليلة مهمة؟ وهل كانت تقرضها إلى بعض صديقاتها؟» فقال سيمون : «فى الواقع ياسيد بوارو أننى أجد أنه من الصعب أن أجيب برأى قاطع فى هذه امسألة . كما تعرف ، أنا لم أرتبط مع لينيت فى حياة مشتركة إلا منذ مدة قصيرة . ولكننى عرفت أن لينيت كانت سخية

تجود بما في يدها بكل سهولة . ويغلب على ظنى أنها ربما كانت تعير بعض مجوهراتها إلى بعض صديقاتها فى مناسبات» .

وعندئذ قال بوارو بصوت هادئ : «ألم تستعر الآنسة چاكلين دى بلفورت هذا العقد بالذات من لينيت قبل أن تتعرف أنت على مدام لينيت؟» فقال سيمون : «ماذا تعنى ؟ هل تقصد أن چاكلين قد أبدلت لآلئ العقد الحقيقية بلآلئ مزيفة قبل زواجى من لينيت؟ لا. إن چاكلين يستحيل أن تفعل ذلك ياسيدى . أستطيع أن أقسم لك على ذلك. چاكلين فتاة مستقيمة مثل حد السيف ، وهى صريحة جدا . إن مجرد أن تسرق لآلئ صديقتها تصور سخيف» . فقال بوارو : «أنا آسف . لم أقصد بسؤالى هذا أن أهيج عش الزنابير . لا تهتم بهذه المسألة» .

وتذكر بوارو آنذاك قول چاكلين له فى حديقة فندق كتاراكت فى أسوان رغم زواج سيمون من لينيت ، تذكر قولها له : «أنا أحب سيمون ، وسيمون يحبنى..» وفى هذه اللحظة انفتح الباب ودخل الكولونيل ريسى وهو يقول : «لم أجد أى شىء. وقد حضر كبير الخدم الذى قام بتفتيش الرجال وكبيرة الخدم التى قامت بتفتيش النساء . وهم يقررون أنهم لم يجدوا شيئا غير عادى» . فقال بوارو لكبير الخدم : «ألم يقاوم أحد التفتيش؟» فقال كبير الخدم : «حاول ذلك الرجل الإيطالى ياسيدى. لقد ثار وزمجر وقال : إن التفتيش لهم إهانة . وقد عثرنا معه على مسدس ماركة ميزر» .

وقررت كبيرة الخادمات أيضا أنها لم تجد شيئا مع السيدات اللائى سلقنها بألسنة حداد مبديات الاعتراض على التفتيش وقالت : «ولم أجد أى لآلئ مع أى واحدة منهن . وعثرت على مسدس فى حقيبة يد الآنسة روزالى أوتربورن» .

وسألها بوارو : «مسدس الآنسة روزالى أوتربورن من أى حجم ومن أى طراز؟» فقالت : «إنه مسدس صغير جدا كالمسدس الذى نشتريه للأطفال ، ولكنه مسدس حقيقى ومقبضه مرصع باللآلئ» .

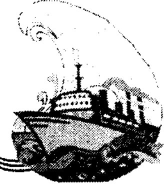
فقال الكولونيل ريسى وقد نفد صبره : «اللعنة على هذه القضية كنت أظن أنه قد برئت ساحتها وسرنى ذلك . هل تحمل كل امرأة فوق ظهر هذه الباخرة مسدسا قبضته مرصعة باللآلئ؟» .

ولم يأبه بوارو لتعليقات ريسى وسأل كبيرة الخدم : «هل أظهرت روزالى شيئا من الاضطراب عند عثورك على المسدس فى حوزتها؟» فقالت : «لا . لا أحسب أنها لاحظت أننى اكتشفته . كنت ممسكة بحقيبة يدها وظهرى لها . ولقد أعدت لها الحقيبة بسرعة وبهدوء» . وسألها بوارو : «والخادمة لويز بورجيه وصيفة لينيت ، أين هى؟ وما هى نتيجة تفتيشها؟» فقالت كبيرة الخدم : «لقد بحثنا عنها فى كل مكان فلم نجدها . وأنا لم أقم بتفتيشها» .

وعندئذ تدخل سيمون دويل فى المناقشة وقال : «ما هذا ؟ ماذا جرى لوصيفة زوجتى لويز؟» فقال له بوارو : «يقولون إنها قد اختفت» . فصاح سيمون بشىء من الحدة : «هل تقول إنها اختفت ؟» فقال الكولونيل ريسى : «ربما تكون هى التى سرقت اللآلئ الحقيقية . الفرصة متاحة لها للتقليد والبدل» . فقال سيمون : هل تظن أنها عندما وجدت أن التفتيش سيصل إليها ألقت بنفسها فى النيل؟» فقال بوارو : «من المستحيل أن يحدث هذا جهارا نهارا دون أن يراها أحد ويحاول منعها ... إنها فى مكان ما» . ثم توجه بوارو إلى كبيرة الخدم وسألها : «متى شاهدت الوصيفة لويز بورجيه لآخر مرة؟» فقالت : «قبل جرس الغداء بنصف ساعة ياسيدى» . فقال بوارو : «لقد فتشنا حجرتها على عجل . فلنعاود التفتيش فيها ، وربما وصلنا إلى شىء» .

وكانت قمرة لويز بورجيه لا تزال الأشياء بداخلها فى حالة من الفوضى وسوء العناية والترتيب . وأخذ بوارو يفتح الأدراج وانهمك ريسى فى فحص محتويات إحدى الحقائب .

كانت أحذية لويز مصفوفة أمام السرير ، وكان زوج أسود اللون من الأحذية فى وضع مختلف عن باقى الأحذية ، فردة مقلوبة والكعب متجه إلى أعلى . ولفت هذا الحذاء نظر ريسى فأقفل الحقيبة بسرعة وانحنى فوق الحذاء ، وصاح بصوت عال ، فقال بوارو بالفرنسية: «ماذا هنالك؟» فقال ريسى : «إنها لم تختف . إنها هنا ... تحت السرير ...» .



الفصل الثانى والعشرون

كانت جثة المرأة الميتة التى عُرِفتْ إبَّان وجودها على قيد الحياة باسم لويز بورجيه ممددة تحت السرير على أرضية قمرتها ، وانحنى الرجلان فوق الجثة .

قال ريسى : «لقد ماتت منذ ساعة تقريبا فيما أعتقد ، سأقوم باستدعاء الدكتور بسنر ليقوم بفحص الجثة وتحديد سبب الوفاة وإن كان من الواضح أنها قد قتلت بطعنة فى القلب فماتت لتوها . إن وجهها متقلص يبعث الرعدة فى الجسم» .

وتناول بوارو اليد اليمنى من جثة لويز بورجيه فظهر بين أصابعها شيء استخلصه بوارو وأعطاه إلى ريسى الذى تأمله فإذا هو قصاصة من الورق الملون عبارة عن جزء من ورقة نقدية فئة الألف فرنك ، فقال ريسى : «من الواضح الآن أنها كانت تعرف شيئا عن القاتل، ولم تبح به لأنها أرادت أن تحاول ابتزاز القاتل لتحصل منه على مبلغ كبير من المال نظير تسترها عليه . أظنك يا بوارو لاحظت التواءها فى الإجابات عندما كنا نقوم باستجوابها» .

قال بوارو : «يا لنا من مغفلين ! ألا تذكر يا ريسى أنها قالت لنا ونحن فى بداية التحقيق معها : «وماذا كان يمكن لى أن أرى . أنا أنام فى الطابق السفلى ، ولو كنت قد صعدت السلم لكان من الجائز أن أرى القاتل أثناء دخوله قمرة سيدتى أو أثناء خروجه منها؟» . هذا بالضبط هو ما كانت قد قالته لنا بحذافيره . وهذا هو ما حدث فعلا . لقد جافاها النوم فصعدت إلى السطح ربما لاستنشاق الهواء فرأت ما رأت ... وأعماها الطمع وحاولت الكسب من وراء ما عرفته بالصدفة فكتمت أخبار ما رأت ، وانتهى بها الطمع إلى أن تكون ضحية ثانية للقاتل» . فقال ريسى : «ولكن هذا الكلام فات أوان الاستفادة منه . لن نعرف القاتل . قاتلها وقاتل سيدتها من قبل . لقد قتلها قبل أن تقول لنا الحقيقة!» .

قال بوارو : «بل أصبحنا نعرف الكثير الآن يا ريسى ... إننا نعرف كل شيء

ياكولونيل. ولكننى لا أكاد أصدق . فلنتعامل مع الأمور حتى الآن كما تبدو لنا . الابتزاز هو الدافع على كتمانها الحقيقة وهو السبب فى مقتلها» . فسأله ريسى : «ولكن لماذا دفع لها القاتل بالعملة الفرنسية؟» فقال بوارو : «ربما لأنها فرنسية أو لأن القاتل تصادف وجود عملة فرنسية معه» . فسأله ريسى : «لكن لماذا قتلها وقد أعطاها النقود؟» فقال بوارو : «لأن النقود لا تكفى لضمان سكوتها إلى الأبد . لقد أدرك أن التهديد لن ينتهى ، وأدرك أنه سيكون تحت رحمة تهديدها وابتزازها وطمعها الذى قد يصبح فى تصاعد وازدياد . انتهز فرصة انبهارها بالورقة النقدية الكبيرة وطعنها الطعنة القاتلة ، وعزت عليه ورقة النقد فحاول استردادها ، ولكنها كانت قد تشبثت بها ، فانتزع جزءا منها وبقى بين أصابعها الجزء الآخر الذى فى يدك الآن» . فقال بوارو : «سيسهل علينا إذن أن نتعرف عليه بواسطة هذه القطعة من ورقة النقد» . فقال بوارو : «ليس بهذه السهولة ياعزيزى ريسى ، من السهل على قاتل فى ذكائه أن يعدم بسهولة جزءا عديم القيمة من ورقة النقد فى الحمام دون أن يراه أحد ، ويلقى بالرماد فى الماء إلى غير رجعة ليتخلص من هذا الدليل الذى يقوده إلى حبل المشنقة» .

وحضر الدكتور بسنر وهو مندهش من جراء جريمة القتل الجديدة . وقام بفحص الجثة وما حولها وقال : «لقد ماتت منذ ما لا يزيد على ساعة من الزمن . ولقد حدث الموت دفعة واحدة فى الحال» . فسأله بوارو : «وما هى آداة القتل التى استخدمت؟» فقال الدكتور بسنر : «آه . هذا شىء مثير . إنه شىء حاد جدا ، رفيع جدا شديد النفاذ فى الجسم . أستطيع أن أطلعكم على شىء يماثله» .

وعاد الدكتور بسنر إلى قمرته ، وفتح حقيبة معداته الطبية ، واستخرج واحدا من المشارط التى تستخدم فى إجراء العمليات الجراحية ، وعاد به إلى بوارو وريسى وهو يقول : «بمثل هذه ياسيدى تمت الجريمة . لم تحدث الجريمة باستخدام سكينة أو خنجر أو مدية عادية» . فسأله بوارو : «هل اكتشفت وجود نقص فى أدواتك الجراحية؟» .

ثار الدكتور بسنر وهو يقول : «ماذا تريد أن تقول ؟ هل تعتقد أننى أنا ، كارل

بسنر المعروف فى جميع أنحاء النمسا ، ولى عيادة مشهورة يأتى إليها أفراد الطبقات العليا فى كل أوربا ، أنا كارل بسنر ، أقتل وصيفة مسكينة؟! هذا مضحك وسخيف. اعلم أنه لا توجد أداة واحدة من أدواتى الجراحية ناقصة . إنها كلها فى مواضعها . تستطيع أن تتحقق من ذلك بنفسك . إننى لن أنسى ما حييت هذه الإهانة لمهنة الطب الشريفة» .

وأغلق الدكتور بسنر حقيبة أدواته الطبية وألقى بها من يده بعيدا فى تأفف شديد . وأعلن أنه يجب عليه عمل غيار لساق سيمون دويل .

مشى بوارو وحده متجها جهة اليسار فى طرقة الباخرة . وطرق مسامعه مقاطع من حديث نسائى وصوت ضحكة ناعمة . كانت چاكلين دى بلفورت موجودة فى قمرة روزالى. وكان الباب مفتوحا . وكان من يمشى فى الطرقة يستطيع أن يشاهدهما معا. ولما أصبح أمام باب قمرتهما تمكنت الفتاتان من رؤيته . وعمدت روزالى إلى تحيته وهى تبتسم فقال لهما بوارو : «هل تغتابان أحدا من الناس؟» فقالت روزالى : «لا . إننا نفاضل بين الأنواع المختلفة من أحمر الشفاه» . ولمحت چاكلين ابتسامة بوارو فأدركت أن وراءها ما وراءها ، فتركت أصبع الروج مع روزالى واتجهت نحوه وهى تقول : «ماذا جرى ؟ هل جد جديد؟» فقال لها بوارو : «بالضبط جد جديد . جريمة قتل أخرى!» وشهقت روزالى لدى سماعها النبأ الجديد وقال بوارو : «لقد قتلت وصيفة لينيت دويل» . فصاحت چاكلين قائلة : «قتلت ؟ هل تقول إنها قتلت ؟ هل تعنى أنها ماتت؟» فقال بوارو : «نعم . لقد قتلت . ويبدو أنها كانت قد رأت شيئا لم يكن ينبغى لها أن تراه ، ولذلك أخرس القاتل لسانها حتى لا تبوح بمعلوماتها الخطيرة ضده» . فسألته چاكلين : «وماذا كانت المسكينة قد رأت؟» فقال بوارو : «رأت شخصا يدخل قمرة لينيت دويل أو يخرج منها فى تلك الليلة المشئومة التى قتلت فيها لينيت دويل . وقد ماتت لويز بورجيه للأسف دون أن تدلى باسم ذلك الشخص» .

وسمعوا صوت وقع أقدام فوق سطح السفينة ، ولم تلبث كورنيليا روبسون أن جاءت إليهم وقالت : «آه يا چاكلين . لقد حدث شىء رهيب . شىء آخر فظيع» .

واقتربت كورنيليا روبسون من چاكلين بينما اقترب بوارو من روزالى أوتربورن ، فقالت له روزالى بحدة : «لماذا تنظر نحوى هكذا؟ ماذا يدور فى ذهنك» . فقال لها بوارو : «هذان سؤالان . سأرد عليهما بسؤال واحد هو : «لماذا لا تقولين لى كل الحقيقة يا آنسة؟» فقالت روزالى: «ماذا تقصد - قلت لك - كل شىء - هذا الصباح» . فقال لها بوارو : «لا . كانت هنالك أشياء لم تقوليها لى . لم تقولى لى أنك تحملين فى حقيبة يدك مسدسا صغيرا مقبضه مرصع باللآلئ . ولم تقولى لى كل ما رأيته أنت فى الليلة الماضية» . فقالت بلهجة حادة: «هذا غير صحيح بالمرة . أنا ليس عندى مسدس» . واستدارت للخلف وهى تقول له : «أنت تقول هراء . هاك حقيبة يدى . انظر بنفسك» . وفتح بوارو الحقيبة ولم يكن بها أى مسدس . وأعاد بوارو إليها الحقيبة وهى تنظر إليه نظرات المنتصرة فى تعال وتحد . فقال بوارو : «ليس موجوداً فيها» . فقالت له روزالى : «أنت تدرك الآن ياسيد بوارو أنك لست على صواب فى كل شىء ، وأنك قد تخطئ أحيانا . وأنت مخطئ أيضا فى الشأن الآخر الذى توهمته» . فقال لها بوارو : «لا . أنا لا أعتقد ذلك» . فقالت له روزالى: «أنت تعاند وتبالغ فى العناد والمكابرة . أنت تضع فى ذهنك فكرة ولا يدور عقلك إلا حول هذه الفكرة دون سواها من الأفكار» . فقال لها : «ذلك لأننى أريد أن تقولى لى الحقيقة» . فقالت له : «وما هى الحقيقة ؟ يبدو أنك تعرفها على نحو أفضل منى؟» فقال لها بوارو : «أنت تريدين منى أن أقول لك ما رأيته أنت ؟ لو كنت على صواب هل تعرفين أننى على صواب؟ سأقول لك رأيى المتواضع ، أعتقد أنه عندما ألقيت شيئا فى النيل شاهدت رجلا يخرج من قمرة وسط القمرات هى قمرة لينيت دويل كما عرفت على وجه التحديد فى الصباح ، لقد رأيته أنت وهو يغلق باب القمرة وراءه ويهبط ربما ليدخل إحدى القمرتين الخاليتين . هل أنا على صواب الآن يا آنسة؟» ولم تجب الآنسة ، فقال بوارو : «ربما تدركين أنه من الأكثر معقولية أن تتكلمى . ربما تخافين أنك لو تكلمت فإنك أيضا ستُقْتَلين» .

وبدا له لمدة لحظة أنها ستتكلم ، ولكن خشيتها أن تُتَّهَمَ بافتقاد الشجاعة تغلب عليها فى النهاية فقالت : «لم أشاهد أحدا» .



الفصل الثالث والعشرون

خرجت الآنسة بويرز من قمرة الدكتور بسنر وهى تسوى كمى ثوبها فوق رسغيها. وتركت چاكلين كورنيليا فجأة واندفعت نحو الممرضة وهى تقول لها : « كيف حالته ؟» ووصل بوارو إلى حيث كانت الفتاتان تقفان ليسمع إجابة الممرضة إذ قالت : «ليست حالته سيئة جدا» . فصاحت چاكلين : «هل تقصدين أن حالته أصبحت أسوأ من ذى قبل ؟» فقالت الممرضة : «سيشعر بارتياح كبير عندما نصل إلى أسوان، ويشرف على علاجه «إخصائى» بعد الكشف عليه بالأشعة ، ثم يقوم «إخصائى» فى جراحة العظام بعلاجه ، ونحن للأسف لن نصل إلى أسوان قبل صباح الغد . إننا فى سباق مع الوقت ، ولكننا نبذل قصارى جهدنا فى علاجه هنا فى حدود إمكاناتنا» . فقالت چاكلين : «هل هو سيموت ؟» فقالت الممرضة : «لا يا آنسة ... نتمنى ألا يموت . الجرح فى حد ذاته ليس خطيرا ، ولكن الأدوية الموجودة لدينا غير كافية . ويستحيل إجراء عملية جبر للعظام قبل عمل الأشعة . وليس عندنا جهاز للأشعة ، ويضاف إلى ذلك أن الحمى تهاجمه ، والصدمات العصبية لا تلائم الجرحى . وارتفاع درجة الحرارة نذير سوء فى مثل هذه الحالات» .

انصرفت الممرضة بعد التقرير الطبى الشفوى الذى أبلغته للآنسة چاكلين عن الحالة الصحية لسيمون وتركت الدموع تنهمر من عينى چاكلين حتى أصبحت لا ترى موضع خطواتها وهى فى الطريق إلى قمرتها مما جعلها تبدو مترنحة فى سيرها . وفوجئت بيد توضع على ذراعها فرفعت رأسها واستطاعت أن ترى بوارو إلى جوارها، فساعدها على الوصول إلى باب قمرتها ، وشاهدها وهى ترتمى على سريرها وهى تنشج بالبكاء ثم أخذ جسمها كله يهتز اهتزازا عنيفا وهى تقول : «إنه سيموت . سيموت سيموت . وأنا الذى قتلته بيدى» .

هز بوارو كتفيه وحاول أن ينبهها إلى أنه لا فائدة من التحسر على ما فات ، وإلى أن ما كتب عن مصير كل إنسان قد كتب ، ولا داعى للتشاؤم ، فقالت : «ولكننى أحبه كثيرا. أحبه كثيرا جدا» . فقال لها بوارو : «إنك تحبينه أكثر مما يجب ... ولكن لا يجب أن يروعك الكلام الذى سمعتيه من الممرضة بويرز . هذا هو شأن

الممرضات دائما . إن الممرضات يطيب لهن دائما تكديس البلايا على رءوس الناس وأهل المرضى . إنهن دائما متشائمات . ممرضة الليل تبدى دهشتها عندما ترى المريض حيا عند بداية نوبتها فى المساء. وممرضة النهار تبدى دهشتها حين تراه قد عاش حتى المساء . إن أذهان الممرضات محشوة دائما باحتمالات المضاعفات والنكسات للمرضى . إن هذا يشبه من يقود سيارة ويجلس إلى جانبه شخص شديد التوجس يقول له دقيقة بعد أخرى : افرض أن سيارة ستفاجئك عند الجانب الأيمن. افرض أن سيارة النقل التى أمامك توقفت فجأة أو رجعت إلى الخلف . افرض أن سيارة أخرى كسرت ذراعك الذى تخرجه من النافذة ، افرض أن إحدى العجلتين الأماميتين قد انفجرت . افرض أن الموتور نفسه قد انفجر . افرض أن صاعقة قد نزلت من السماء . هذه كلها احتمالات تنجم عنها الوفاة . ولا شىء من هذه التوجسات يحدث فعلا ، وتنتهى الرحلة بسلام» . فابتسمت جاكلين والدموع لا تزال تبلل وجهها وقالت : «هل تحاول التسرية عن آلامى يا سيد بوارو؟» فقال لها : «ليس هذا بالضبط ، ولكننى أود أن أؤكد لك أن المحنة قد أوشكت على الانتهاء وأنه بمجرد وصول سيمون إلى مستشفى أسوان سينال العناية اللائقة به وسيصبح كل شىء على ما يرام» . فقالت چاكلين: «أحقا ؟ هل سيشفى سيمون؟» فقال بوارو : «نعم . نعم. سيكون كل شىء فى النهاية على ما يرام . ستعيشان ، كما فى الروايات ، أحلى المناسبات . وستنجبان البنين والبنات» . واحمر وجه چاكلين وقالت : «أؤكد لك أننى لم أقصد أبدا...» فهز بوارو رأسه وتركها بعد أن اطمأن إلى هدوئها .

ولما وصل بوارو إلى سطح الباخرة قابله الكولونيل ريسى وبادره قائلا : «أين كنت يا بوارو؟ عندى فكرة يارجل» . فقال بوارو : «عجبا ! وما هى ؟» فقال ريسى : «أثارت هذه الفكرة فى ذهنى كلمة سمعتها عفوا عن تلك «البرقية» التى تسلمتها لينيت وفضتها وقرأتها وهى تحسب أنها تخصها ثم اتضح أنها معنونه باسم ريتشى» . فقال بوارو : «هذا صحيح . إنها برقية مهمة» . فقال ريسى : «ربما لم يفض هذا الخيط هو الآخر إلى شىء، ولكن من يدرى ؟ لماذا لا نذهب الآن إلى سيمون دويل ونستوضحه الأمر بشأن هذه البرقية فمن الجائز أن زوجته كانت قد أطلعته على محتواها فيخبرنا به لو أذن لنا الدكتور بسنر فى الحديث إليه؟» .

ويبدو أن الدكتور بسنر كان لا يزال غاضبا منهما ، وعندما فتح الباب ووجدهما أمامه قال بلهجة غاضبة : «ماذا تريدان ؟ هل تريدان إتلاف أعصاب المريض مرة أخرى ؟ سبق أن قلت إن هذا ليس من الحكمة ولا من الإنسانية فى شىء . إنه

محموم اليوم ويعانى من الاضطراب ما فيه الكفاية بسبب موت زوجته ثم موت وصيفتها أيضا وقد كان يشملهما سويا برعايته» .

وبعد أن توسلا إليه ووعداه بعدم الإطالة سمح لهما بالدخول إلى المريض ، وترك القمرة مشترطا أن يعود بعد ثلاث دقائق فلا يجد لهما أثرا بجوار مريضه .

ولم يضيع ريسى الوقت وشرح الغرض من الزيارة فى كلمات قليلة فقال سيمون : «نعم. أنا أتذكر ظروف هذه البرقية جيدا . حدث ذلك ونحن فى وادى حلفا بعد عودتنا من مشاهدة الشلال . لقد خيل إلى لينيت أنها رأت اسمها فى لوحة أصحاب الرسائل والبرقيات فتوجهت إلى مكتب البريد واستلمت منه البرقية . وكانت قد نسيت أن لقبها قد تحول بعد الزواج من ريدچواى إلى دويل . ونظرا لاحتمال الكتابة بسرعة تبدو كلمة «ريدچواى» شبيهة فى حروفها من كلمة «ريشتى» ففضت البرقية وقرأتها ولم تفهم شيئا من محتواها فأطلعتنى على محتوى البرقية وهى مندهشة ، وأقبل ريشتى وسمع حوارنا بشأن البرقية فهجم علينا وانتزع البرقية من يد زوجتى وهو يتميز غضبا فخجلت لينيت وجعلت تعتذر إليه ولكنه أعلن رفضه للاعتذار ، مما جعل زوجتى تبكى» .

وتنهد الكولونيل ريسى بغيظ وقال : «هل تذكر ياسيد دويل محتوى البرقية ؟» فقال سيمون دويل : «نعم . لازلت أتذكره . لقد قرأت لى لينيت محتوى البرقية وأطلعتنى عليه وقرأته أنا أيضا . كانت البرقية تقول .... وتوقف قليلا ليلتقط أنفاسه ، وفجأة سمعوا صوت جلبة خارج القمرة مباشرة وسمعوا صوت سيدة مرتفعا وهى تصيح : «أين السيد بوارو؟ أين الكولونيل ريسى ؟ أريد مقابلتهما فورا . الأمر فى غاية الأهمية ، عندى معلومات خطيرة . يقولون إنهما عند السيد دويل» .

لم يكن الدكتور بسنر قد أغلق الباب ، ولم يكن يوجد على الباب إلا ستارة رقيقة أزاحتها السيدة أوتربورن بيدها ودخلت كالقنبلة محتقنة الوجه مشعثة الشعر ، وتدافعت الكلمات من فمها تقول : «آه ياسيد دويل ! لقد عرفت الشخص الذى قتل زوجتك» . فصاح سيمون بصوت عال جدا : «تقولين ياسيدة أوتربورن إنك تعرفين الشخص الذى قتل زوجتى؟» .

ونظرت السيدة أوتربورن إلى الرجال الثلاثة ثم جلست أمامهم وقالت : «أنت ياكولونيل ريسى توافقنى على أن الشخص الذى قتل الوصيفة لويز بورجيه هو نفس الشخص الذى قتل لينيت دويل؟!» فقال سيمون : «طبعا . طبعا . هذا طبيعى . ماذا

بعد ذلك ؟» فقال السيدة أوتربورن : «كلامى صحيح . أنا أعرف بالتأكيد الشخص الذى قتل لينيت دويل لأننى رأيته بعينى رأسى» . فقال سيمون : «رأيته بعينى رأسك ؟» فقالت وهى تشير إلى عينيها : «نعم . بعينى رأسى هاتين رأيت الشخص الذى قتل الوصيفة لويز بورجيه» . وإذا بالمريض المحموم سيمون يصيح بأعلى صوته قائلا : «كفى تمهيدات ياسيدة أوتربورن . وقولى لنا القصة من بدايتها ، ولا تقولى لنا نهايتها قبل بدايتها» . فقالت : «اطمئن ياسيد دويل ... سأحكى لكم القصة من بدايتها وبكل تفاصيلها» .

وأخذت السيد أوتربورن نفسا عميقا طويلا استعداداً للشروع فى كلام كثير ثم شرعت فى الكلام وقالت : «حدث ذلك وأنا أنزل السلم هابطة إلى قاعة الطعام لتناول الغداء ... ولقد كنت فى حقيقة الأمر زاهدة فى تناول الطعام نظرا للظروف الدامية المحزنة التى أحاطت بنا فى هذا النهار . ولا أطيل عليكم ... بينما كنت فى طريقى إلى قاعة الطعام تذكرت أننى نسيت شيئا مهما بالنسبة لى فى قمرتى . طلبت من روزالى أن تسبقنى إلى قاعة الطعام وعدت أنا إلى القمرة الخاصة بى...» .

ولمعت عينا بوارو وهو يجاهد ألا تفلت منه ضحكة مكتومة إذ أدرك على الفور أنها عادت إلى قمرتها لكى تحتسى كمية من الخمر لم تتصور أن تتناول الطعام دون احتسائها..

وفى ذات اللحظة التى توقفت فيها عن الكلام وكان بوارو يغالب كتمان الضحك ، تمت إزاحة جانب من الستارة التى كانت معلقة فوق الباب .

ثم استطردت السيدة أوتربورن تقول : «والحقيقة أننى كنت قد اتفقت مع أحد الخدم أن يحضر لى شيئا لاستخدامى الشخصى لا أحب أن تراه ابنتى لأنها حساسة جدا ومثيرة للضجر فى بعض الأحيان .

وتحركت الستارة مرة أخرى ، وبرز من أحد جوانبها ماسورة لامعة ، وقالت السيدة أوتربورن . «كنت فى حقيقة الأمر قد اتفقت مع الخادم الذى سيحضر لى الشىء المطلوب أن أذهب إلى خلفية الباخرة لألتقى به ليعطينى الشىء المتفق عليه . وبينما كنت أمشى إلى المكان المتفق عليه انفتح باب إحدى القمرات وخرج منه الشخص ، وكان ذلك الشخص هو الوصيفة لويز بورجيه التى كانت يبدو عليها أنها هى الأخرى تنتظر مقابلة شخص ما، فلما سمعت وقع أقدامى حسبت أننى ذلك الشخص الذى كانت تتوقع قدومه . ولما تبينت الخطأ ظهرت عليها أمارات الخيبة .

وعاودت الدخول إلى قمرتها مرة أخرى على الفور . لم أعر أنا المسألة التفاتا لأننى فسرتها التفسير الطبيعى لمسلك فتاة فى مثل عمرها . ومضيت أنا فى طريقى، وفرغت من إتمام مهمتى وعدت أدراجى فى طريقى إلى قمرتى. وفى طريق عودتى شاهدت عند المنعطف شخصا يطرق باب الوصيفة لويز بوريجه...» .

وقاطعها الكولونيل ريسى بعصبية وقد بدا عليه الضجر بقوله : «وكان هذا الشخص ...»

وفى هذه اللحظة دوى فى القمرة صوت طلق نارى وامتلأت القمرة برائحة البارود، وخرت السيدة أوتربورن على الأرض من فوق الكرسى دون أى حراك ، وأخذ الدم يتدفق بغزارة من جرح وراء أذنها مباشرة .

ساد القمرة صمت رهيب . وتسمر كل إنسان فى مكانه بضع لحظات . وخشى كل واحد أن يسمع دوى طلقات أخرى ... وبعد قليل هب كل من ريسى وبوارو واقفين . انحنى ريسى فوق جثمان السيدة أوتر بورن راجيا أن تكون بها بقية من حياة، وجرى بوارو خارجا إلى سطح الباخرة ، ولكنه وجد السطح خاليا من الناس ، ووجد مسدسا ضخما مرميا على الأرض .

حملق بوارو فى المسدس . وتلفت حوله مرة أخرى ... ولم يجد أحدا . وجرى نحو مؤخرة الباخرة فكاد يصطدم بالشاب تيم ألرتون قادما من الاتجاه الآخر بسرعة وهو يلهث فقال تيم : «ما هذا الذى يحدث؟» فسأله بوارو : «ألم تقابل أى شخص وأنت قادم إلى هنا؟» فقال تيم : «لا» . فقال له «بوارو : «تعال معى» . وجذبه بوارو من ذراعه ليجد الآنسات روزالى وچاكلين وكورنيليا وقد جئن مذعورات من قمراتهن . وأقبل من الصالون كل من فيرجسون وفانشورب والسيدة ألرتون .

قال بوارو للشاب تيم ألرتون : «هل معك قفاز حتى أمسك به هذا المسدس . فتش فى جيبك عن قفاز» . ودس تيم يده فى جيبه فأخرج قفازا وقال : «نعم . ها هو ذا» . وتناول منه بوارو القفاز وارتداه فى أصابع يده وانحنى ليلتقط المسدس ثم أخذ يتفحصه بعناية شديدة . وكان الكولونيل قد حضر ووقف بجوار بوارو وأخذ يتطلع هو الآخر إلى المسدس والجميع من حولهم كأن على رؤوسهم الطير . وقال الكولونيل ريسى : «إن القاتل لم يهرب من جهة الصالون لأن فانشورب وفيرجسون قادمان من الصالون ، وكان من الضرورى أن يبصراه ، مادام لم يبصرا أحدا ، فهو لم يأت من جهة الصالون» . فقال بوارو : «وهو لم يأت من الجهة المقابلة أيضا لأنه

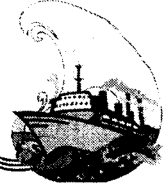
لو أتى من الجهة المقابلة لشاهده تيم ألرتون» . فقال ريسى : «أعتقد أننا قد شاهدنا هذا المسدس من قبل ياعزيزى بوارو ولكن يجب أن نتأكد من ظنوننا» .

وتوجها إلى قمرة بننجتون وقرع ريسى الباب ، ولم يجبه أحد ، فدفع باب القمرة بعد أن أدار المقبض فانفتح الباب . واتجه ريسى نحو الدولاب وفتح الأدراج الواحد منها بعد الآخر ، ولكنه لم يعثر على مسدس بننجتون الذى كانا قد شاهداه عند تفتيش قمرته فى أى درج من أدراج الدولاب . والتفت ريسى إلى بوارو وهو يقول : «معنا الآن بين يديك الدليل الدامغ . أين بننجتون نفسه الآن؟» .

وخرجوا جميعا إلى سطح الباخرة . وكانت السيدة ألرتون قد انضمت إلى الموجودين على سطح الباخرة ، وتقدم نحوها بوارو بسرعة وهو يقول لها : «ياسيدتى.. خذى الآنسة روزالى أوتربورن تحت رعايتك . أمها قد ...» فأضاف ريسى قائلا ومتمما مقولة بوارو : «قتلت» .

وقال ريسى : «لقد تمكننا من الإمساك بتلابيبه . هل توجد بصمات ظاهرة على المسدس؟» فقال بوارو : «كلا» .

ووجدوا بننجتون فى الطابق السفلى من الباخرة جالسا فى الصالون منهمكا فى كتابة بعض الخطابات ، فرفع رأسه ووجهه الوسيم الحليق وقال : «هل جد جديد؟» فقال ريسى: «ألم تسمع صوت عيار نارى؟» فقال : «ماذا ؟ أما وقد سألت هذا السؤال فأنا أعتقد أننى سمعت بالتأكيد صوت فرقعة ... ولكننى لم أتخيل أبدا – من الذى أطلق عليه الرصاص؟» فقال ريسى : «السيدة أوتربورن» فقال بننجتون : «السيدة أوتربورن؟ حسنا . إنكما تدهشانى . لا أستطيع أن أتصور هذا بأى حال من الأحوال . أعتقد أنه يوجد على ظهر هذه الباخرة رجل مجنون مغرم بقتل النساء . من الضرورى أن نعمل على الاتفاق على نظام دفاعى محكم» . فقال له الكولونيل ريسى : «ياسيد بننجتون ، منذ متى أنت موجود فى هذا الصالون؟» فقال بنتجنون : «دعنى أحسب الوقت ، أعتقد أننى موجود داخل هذا الصالون منذ حوالى عشرين دقيقة» . فقال ريسى : «ولم تغادره منذ دخلته؟» فقال : «لماذا؟ لا . بالتأكيد لم أغادره» . فقال له ريسى : «لعلك تدرك ياسيد بننجتون أن السيدة أوتربورن قد قتلت بمسدسك» .



الفصل الرابع والعشرون

أصيب بننجتون بالصدمة ، ولم يكد يصدق أن جريمة قتل قد حدثت باستخدام المسدس الخاص به ، فقال : «لماذا يا سادة . هذه مسألة خطيرة جدا . إنها خطيرة جدا» . فقال له ريسى : «إنها خطيرة جدا بالنسبة لك» . فقال بننجتون وقد رفع حاجبيه في دهشة: «خطيرة بالنسبة لى . ولكن ياسيدى أنا كنت جالسا هنا أكتب خطابات فى هذا المكان عندما أطلقت الرصاصة» . فقال له ريسى : «ربما يكون أو لا يكون لديك شهود يؤكدون ذلك!» فقال بننجتون : «لماذا ؟ ما هذا ؟ كلا . يستحيل أن يقول أى عاقل هذا الكلام . من الواضح أنه من المستحيل أن أكون أنا قد خرجت من هذا الصالون ، وأطلقت الرصاص على هذه السيدة (ولماذا أطلق أنا الرصاص عليها؟) ثم أعود ولا يشاهدنى أى شخص من الناس الكثيرين الموجودين على سطح الباخرة فى هذا الوقت من النهار؟» فقال ريسى : «وكيف تعلل أن مسدسك هو الذى استخدم فى قتل هذه السيدة؟» فقال بننجتون: «حسنا . يؤسفنى أن أقول إننى أستحق شيئا من «اللوم» فى هذا الصدد . ذات مساء فى هذا الصالون أعلنت خلال كلامى أننى أحمل دائما مسدسى الكبير معى فى أسفارى ولا أفارقه أبدا» . فسأله ريسى : «من أولئك الذين أعلنت لهم هذا النبأ؟» فقال بننجتون : «لا أستطيع أن أحدد الأشخاص بالضبط . كان عدد الموجودين كبيرا . وعلى كل حال الذنب ذنبى فى هذه الغلطة» .

وهز بننجتون رأسه فى دهشة وقال : «لينيت أولا ثم وصيفة لينيت . والآن السيدة أوتربورن . لم يكن هناك داع أبدا لهذه الجريمة» . فقال له ريسى : «الواقع أن هنالك داعيا لهذه الجريمة ياسيد بننجتون» . فقال : «هل كان هنالك داع حقا ؟ ما هو ؟» فقال ريسى : «كانت السيدة أوتربورن فى لحظة إطلاق الرصاص عليها على وشك الإفضاء إلينا بأنها رأت الشخص الذى قتل الوصيفة لويز بورجيه . وفيما تهم بذكر اسم ذلك الشخص أطلقت عليها من مسدسك الرصاصة التى قتلتها» .

وتصبب العرق من جبين بننجتون وأخذ يمسح العرق بمنديل حريرى وقال : «إن هذا شىء فظيع» . فقال له بوارو : «ياسيد بننجتون . إننى أرغب منذ الصباح أن أتناقش معك فى جملة من المسائل أهم من مسألة مسدسك وهى تتعلق عموما بعموم

هذه القضية ، لا سيما أنك صديق قديم حميم للسيدة لينيت دويل . هل تتكرم ياسيد بننجتون بالحضور إلى قمرتى بعد نصف ساعة ؟» فقال بننجتون : «بكل سرور» .

ولكن لم يكن أى سرور يبدو على وجه السيد بننجتون المتجهم ، فتبادل ريسى وبوارو النظرات ، وقال ريسى : «ياللشيطان العجوز الماكر . ولكنه خائف ، أليس كذلك؟» فقال بوارو : «نعم . إن رجلنا ليس سعيدا» .

وعندما وصلا إلى السطح قابلتهما السيدة ألرتون فقالت : «ياللطفلة المسكينة روزالى ! قل لى يا سيد بوارو : ألا توجد كابينة ذات سريرين لكى أنتقل إليها معها . لا ينبغى أن تنام روزالى فى ذات القمرة التى كانت تشاركها فيها أمها» . فقال بوارو: أوافق على رأيك . هذا شأن بسيط يمكن تدبيره» . فقالت السيدة ألرتون : «إننى أتعاطف بالفعل مع هذه البنت ومع ظروفها القاسية» . فقال بوارو : «هل هى لا تزال حزينة لموت أمها؟» فقالت : «إلى أقصى حد . يبدو أنها كانت شديدة الحب لأمها شديدة التعلق بها . ويعتقد ابنى تيم أن أمها كانت تدمن شرب الخمر فى السر. هل هذا صحيح؟» فقال بوارو : «نعم . للأسف الشديد» . فقالت السيدة ألرتون : «ليس للبنت أى ذنب . ولاشك أنها قد واجهت مع أمها متاعب كثيرة فى صمت وجلد» . فقال بوارو : «هذا صحيح . إنها شديدة الاعتزاز بكرامتها وكرامة أمها ، ولقد كانت مخلصة ووفية لأمها» . فقالت : «الوفاء هو الصفة الغالبة على هذه البنت . إن وراء رغبتها فى التحفظ كثيرا من الطيبة والحنان» . فقال بوارو : «أنا أحمد الله ياسيدتى أن هذه المسكينة قد وجدت رعاية قلب كبير وأمين مثلك» . فقالت : «اطمئن من هذه الناحية ياسيد بوارو . سأعنى بها ، وهى متعلقة بى تستريح لى كثيرا مما يشجعنى على المزيد من الرعاية لها» .

وعادت السيدة ألرتون إلى قمرتها ، وواصل بوارو السير فشاهد كورنيليا واقفة مع چاكلين على سطح الباخرة فقالت كورنيليا : «أنا لا أزال عاجزة ياسيد بوارو عن فهم هذه المسألة . كيف أمكن للشخص الذى أطلق الرصاص على السيدة أوتربورن أن يهرب دون أن نراه» . وقالت چاكلين : «كيف حدث ذلك؟» فقال بوارو : «يوجد ثلاثة اتجاهات وليس اتجاهان فقط كما تتوهمان» . وظهرت الدهشة على وجهى الفتاتين وقالت چاكلين : «ثلاثة اتجاهات؟» وقالت كورنيليا : «كان أمامه الاتجاه يمينا أو الاتجاه يسارا . ولا يوجد اتجاه ثالث» . ولكن چاكلين قالت : «لقد فهمت أنا ما يقصده السيد بوارو . إنه يقصد أن القاتل كان يستطيع ألا يجرى يمينا ولا يسارا ، وكان يستطيع بسهولة أن يقفز إلى السطح السفلى للباخرة» .

فقالت كورنيليا : «لم يخطر لى ذلك ببال . ومهما كان خفيف الحركة فهل تمكن أن يقفز إلى السطح السفلى بسرعة بحيث لا نراه» . فقال تيم ألرتون الذى كان يسمع الحوار : «نعم . هناك على الأقل دقيقة من الوقت ينتاب الناس خلالها الشلل وفقدان القدرة على الحركة أو الإدراك عند سماع صوت عيار نارى» . فقالت كورنيليا : «وهل شعرت بالشلل وفقدان القدرة على الحركة فعلا عند سماع الطلق النارى؟» فقال تيم : «نعم . لقد وقفت كالتمثال برهة حوالى الدقيقة قبل أن أتحرك لأرى ما حدث» .

فى هذه اللحظة خرج ريسى من قمرة الدكتور بسنر وقال : «انصرفوا . سنخرج الجثة» . فقالت كورنيليا وهى تنصرف : «لن أنسى طول عمرى هذه الرحلة ! ثلاث قتيلات ! كأننى أعيش فى كابوس مزعج» .

وسمع فيرجسون كلام كورنيليا فقال لها : «ذلك لأنك مفرطة فى التحضر ، لماذا لا تنظرين إلى الموت كما ينظر إليه أهل الشرق نظرة سليمة ؟ الموت حادث عادى لا ينبغى أن نأبه له» . فقالت له كورنيليا : «إنك تنفر الناس منك بإعلان هذا الهذيان عن عيوب حضارتنا . الموت شىء كريه . وموت إنسان جميل على وجه الخصوص كارثة وخسارة بشرية» . فقال فيرجسون : «أنت فتاة صعبة المراس . اسمعى الأهم يا كورنيليا روبسون . إنك أنت الأنثى الوحيدة التى حازت إعجابى الشديد . هل تتزوجيننى؟» فقالت له : «أنت أحمق!» فقال : «هذه خطبة حقيقية أعرضها بكل جدية رغم أنها لم تتم بطريقة تقليدية . ولكن يوجد معنا شاهد على خطوبتنا . إنه شاهد محترم . اشهد ياسيد بوارو أننى أطلب يد هذه الأنثى رسميا على الرغم من تمسكى بكل المبادئ الخاصة التى أتمسك بها من عدم جدوى العلاقة الشرعية للاتصال الجنسى بين الرجال والنساء ، ولكننى أقبل بالتخلى عن هذه المبادئ فى هذا الصدد ، وأقبل بهذه الوضعية الشرعية التى تحتمها علىَّ الظروف ، إذ أننى على يقين أن هذه الأنثى لن تقبل منى إلا العلاقة الشرعية . والآن قولى لى ياكورنيليا «قبلت» . قوليها لى ياكورنيليا» . فقالت له كورنيليا : «إننى أقول لك إنك مخبول» . فقال لها : «لماذا لا تريدين أن تتزوجينى؟» فقالت : «لأنك لست جادا» . فقال : «هل تقصدين أننى لست جادا فى طلب يدك أم غير جاد من حيث طباعى عموما وأخلاقى؟» فقالت : «أعنى الحالتين كلتيهما ، وأعنى على وجه الخصوص طباعك عموما وأخلاقياتك . إنك تسخر علنا من كل ما هو جدى ومهم من قيم الحياة من التربية إلى الثقافة إلى الاقتصاد إلى الموت . أنت إنسان لا يمكن الاعتماد عليه» . واحمر وجه كورنيليا وأسرعت نحو قمرتها . وظل فيرجسون يتبعها

بنظراته وهو يقول : «لعنها الله . هل تريدنى أن أكون رجلا تعتمد عليه . هذا شيء مزعج ما رأيك ياسيد بوارو فى هذه الآنسة؟» فقال بوارو : «إنها فتاة على جانب عظيم من قوة الأخلاق» . فقال فيرجسون : «معك حق . إنها ذكية جدا . ويبدو عليها الوداعة والطيبة ولكن شخصيتها ليست رخوة . إن شخصيتها صلدة لا تعرف اللين . أنا أريدها بأى ثمن . ومن المحتم أن أتفاهم مع خالتها العجوز فان شويلر ، ولا غضاضة فى ذلك . للظروف أحكام . وهذا هو الطريق السليم الذى يفضى إلى النتيجة المطلوبة» . فسأله بوارو : «هل تطمع حقا فى أن تحظى برضاء الآنسة العانس فان شويلر عنك أنت بالذات؟» فقال فيرجسون : «لا أمل لى فى كسب ودها . أرجو أن أنجح فى زيادة تحاملها ضدى مما يجعل الفتاة يرق قلبها نحوى» .

واستدار فيرجسون على الفور وذهب مباشرة إلى الآنسة فان شويلر التى كانت جالسة فى الصالون فى مكانها المعتاد تشغل نفسها بأعمال التريكو مستخدمة إبرتين طويلتين وكرة ضخمة من الصوف وكانت عجرفتها فى ذلك اليوم تبدو أكثر من المعتاد .

اتجه فيرجسون نحوها مباشرة ، وذهب وراءه بوارو واحتل مكانا قريبا ليحظى برؤية وسماع هذا المشهد المسلى وخبأ وجهه فى صفحات مجلة مصورة ، وجرى الحديث بين فيرجسون والآنسة فان شويلر كما يلى :

قال فيرجسون : «طاب صباحك يا آنسة فان شويلر» فرفعت فان شويلر عينيها عن الصوف بيدها لحظة واحدة ثم عاودت النظر إلى الصوف والإبرتين وتمتمت بصوت خافت مقتضب : «طاب صباحك» . فقال : «اسمعى . أريد أن أتحدث إليك فى موضوع على جانب كبير من الأهمية ، أنا أرغب أن أتزوج ابنة أختك» . وقفزت كرة الصوف من حجر فان شويلر وتدحرجت حتى وصلت إلى آخر الصالون ، أما فان شويلر فقالت بنبرات يقطر منها السم : «لابد أنك قد فقدت عقلك أيها الرجل» . فقال : «لا . أنا لم أفقد عقلى ، أنا مصمم على الزواج منها ، وقد طلبت يدها منها هى شخصيا منذ وقت قصير» . فقالت له ببرود وسخرية : «هل هذا صحيح . لابد أنها قد رفضت وطردتك لتمشى بعيدا عنها» . فقال : «نعم . رفضتنى. ولكننى لن أتركها ولن أكف عن طلب يدها حتى تقبل الزواج منى» . فقالت : «أنا أؤكد لك أننى سأتخذ كل الإجراءات القانونية اللازمة لوقاية ابنة أختى الشابة من مثل هذا التهجم» . فقال لها : «ولماذا كل هذا الحنق من جانبك ضدى؟ ماذا لديك ضدى» .

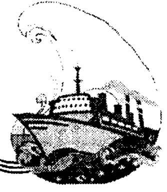
رفعت فان شويلر حاجبيها فى دهشة واستنكار ، وجذبت خيط بكرة الصوف كما تحاول أن تسترجع بكرة الصوف بذلك فلم تزد بكرة الصوف إلا دورة فى مكانها وزاد الخيط قليلا من الطول .

واستطرد فيرجسون قائلا : «هيا قولى لى يا آنسة فان شويلر : ماذا لديك ضدى بالضبط ؟» فقالت : «أظن أن المسألة فى غاية الوضوح يا ... أنا لا أعرف اسمك» . فقال : «فيرجسون» فقالت : «آه . ياسيد فيرجسون . الموضوع الذى تتكلم بشأنه لا مجال فيه لأى بحث أو محاولات ، ويستحيل أن يكون موضع نظر أو بحث أو دراسة أو قبول» . فقال: «هل تقصدين أننى لست كفئا لها؟» فقالت : «أعتقد أن المسألة فى غاية الوضوح حتى بالنسبة لشخص مثلك!» فقال : «ولماذا تعتقدين أننى لست كفئا لها ؟ إن لى ساقين وذراعين وصحتى كالفولاذ وذهنى ذهن مرتب قادر على التفكير . قولى لى ما عيب هذه المؤهلات؟» فقالت : «هنالك شىء اسمه المركز الاجتماعى ياسيد فيرجسون!» فقال : «المركز الاجتماعى خرافة قديمة متعفنة!» وفى هذه اللحظة فتح الباب ودخلت كورنيليا فوقفت مصعوقة عندما وجدت خالتها المرهوبة الجانب تتحدث مع الرجل الذى يريد أن يخطبها وهو متجهم الوجه . وعندما رآها فيرجسون ضحك مقهقها وعندما تمالك نفسه من الضحك نادى كورنيليا قائلا لها : «اقبلى ياكورنيليا وأبشرى بقرب انتصارى . ها أنت ذى ترين بعينيك أننى أطلب يدك للزواج من خالتك وفقا لأكثر الطرق التقليدية العتيقة وأعرقها» . فقالت فان شويلر : «ياكورنيليا . هل أنت التى شجعت هذا الرجل؟» فقالت كورنيليا : «أنا. لا . بالطبع لا . على الأقل ليس بالضبط» . فقالت فان شويلر : «ماذا تعنين بالضبط ؟» فأسرع فيرجسون يجيب بدلا من كورنيليا فقال : «كورنيليا لم تشجعنى على الإطلاق . كل ما فى الأمر أنها لم تغلق الطريق أمامى . إن لها قلبا رقيقا رحيما . إن خالتك ياكورنيليا تقول إننى أقل منك من الناحية الاجتماعية بكثير . هل هذا صحيح؟ هل هذا هو رأيك؟» وأجابت فان شويلر بدلا من كورنيليا: «أعتقد أن هذه الحقيقة بديهية عند كورنيليا» . وازداد وجه كورنيليا احمرارا وهى تقول : «لا ياسيد فيرجسون . ليس هذا رأيى .... لا يهمنى الناحية الاجتماعية . لو أننى أحببتك لوافقت على الزواج منك دون نظر إلى الاعتبارات الاجتماعية» . فقال : «ولكن هل من المستحيل أن تحبينى ؟» فقالت : «أنا أعتقد فقط أنك مزعج مثير للغيظ . آراؤك وأفكارك أفظع وأقبح وأشأم ما سمعت . عندك غرور لا يماثله غرور . وفيك زهو وتبجح سخيف!» وطفرت الدموع من عينيها واندفعت خارجة من

الصالون . وعندئذ اضطجع فيرجسون فى مقعده ونظر إلى سقف الصالون وأخذ يصفر لحنا مرحا وقال : «على العموم هذه بداية لا بأس بها . وأنا سأناديك باعتبار أنك خالتى العزيزة من الآن فصاعداً» . واهتزت فان شويلر من الغضب وقالت : «اخرج من هنا وإلا ناديت الخادم» . فقال فيرجسون : «لقد دفعت ثمن تذكرتى ياخالتى العزيزة . ولا يستطيع أحد إخراجى من صالون الباخرة التى دفعت ثمن تذكرتى للسفر عليها . ومع ذلك فأنا سأحترم رغبتك تأدبا منى مع خالتى العزيزة فان شويلر» . ووقف فيرجسون وخرج وهو يتبختر فى مشيته ببطء متعمد ويصفر أيضا ، وظلت فان شويلر ترتعد من الغضب . وتحاول أن تستعيد كرة الصوف دون جدوى بجذب طرف الخيط بيدها، ولكن كرة الصوف لا تقترب منها قيد أنملة بطبيعة الحال وانتهز بوارو الفرصة وأسرع إلى كرة الصوف وأحضرها لها فقالت له : «شكرا ياسيد بوارو . أرجو أن تتكرم بإرسال الآنسة بويرز عندى هنا . إننى أشعر باضطراب شديد سببه لى هذا الشاب الوقح» . فقال لها : «أعتقد أنه متهوس إلى حد ما . ومعظم أفراد أسرته على شاكلته ، أظن أنك تعرفين أسرته . إنه من عائلة شهيرة» . فقالت فان شويلر : «عائلة شهيرة ؟ لا أعرف عائلة شهيرة اسمها عائلة فيرجسون» . فقال بوارو : «إنه يسمى نفسه فيرجسون لأنه لا يريد استخدام اسم أسرته الشهيرة رعاية لمبادئه المتطرفة» .

وضعت فان شويلر يديها بالصوف فى حجرها وحملقت فى وجه بوارو وقالت : «وما هو اسم عائلته ؟» فقال لها بوارو : «فيرجسون هذا هو اللورد دارليتش الشاب . لقد ورث ملايين الجنيهات ولكنه اعتنق المبادئ الشيوعية أثناء دراسته فى جامعة أوكسفورد» . وظهرت بشائر وطلائع الانفعالات المتعارضة على صفحة وجه الآنسة فان شويلر ، وتمكنت من أن تبتلع ريقها وتلتقط أنفاسها لتقول بعد تفكير : «منذ متى تعرف هذه الحقيقة ياسيد بوارو؟» فقال : «منذ زمن طويل رأيت صورته فى إحدى الصحف ، ولما رأيته فوق ظهر هذه الباخرة تذكرت الشبه بينه وبين صاحب تلك الصورة . وأثناء تفتيش قمرته عثرت على خاتم له وقد نقش فوق فص الخاتم شعار أسرته ، أسرة دارليتش . فقطعت الشك باليقين فى حقيقة شخصيته» . فقالت: «أنا مدينة لك بالشكر على هذه المعلومات الثمينة» .

وواتتها القدرة على القيام وتسلل البشر إلى قسمات وجهها المتعجرفة ، وأشرقت أساريرها بنور السعادة ، ومشت خارجة من الصالون ولم تنتظر وصول الممرضة بويرز إليها . وهز بوارو رأسه ، وتمتم يقول لنفسه شيئا ما .



الفصل الخامس والعشرون

وجد الكولونيل ريسى أن بوارو لا يزال جالسا فى مكانه من الصالون فقال له : «حسنا يا بوارو . إن موعد بننجتون معك يحين بعد عشر دقائق . أنا سأدع شأنه وتسوية أمر هذا الرجل بين يديك» . فقال له بوارو : «هات لى أولا الشاب فانثورب» . فبدت الدهشة على وجه ريسى وقال : «فانثورب!» فقال بوارو : «نعم أحضره إلى قمرتى فأنا أريده» .

وبعد دقيقتين كان فانثورب فى قمرة بوارو . وأشار بوارو إلى مقعد فجلس عليه الشاب، وقدم بوارو إليه سيجارة وهو يقول له : «والآن ، فلندخل فى الموضوع ياسيد فانثورب . أنا ألاحظ أنك تلبس رباط عنق من النوع الذى يرتديه صديقى هاستنجز . هذا النوع من أربطة العنق لا يلبسه كل إنسان فى بريطانيا . يلبسه فحسب السادة المهذبون الذين أوصلتهم التربية الحسنة إلى مكانة اجتماعية مرموقة . توجد تقاليد فى أوساط هذا النوع من الناس ، هذه التقاليد تقضى باتخاذ أنماط معينة راقية من السلوك وتقضى أيضا بالامتناع التام عن أنماط أخرى غير لائقة من السلوك غير الراقى ، إن أى شخص أعرفه ممن يلبسون هذا النوع الذى تلبسه من أربطة العنق لا يقحم نفسه فى حديث خاص يدور فى مسائل شخصية خاصة بين أشخاص لا يعرفهم وبغير طلب منهم وهم يناقشون مسائل مالية خاصة بهم» . وبدت الدهشة تظهر على ملامح وجه فانثورب ، فاستمر بوارو يقول : «ولكننى منذ بضعة أيام شاهدتك بنفسى ترتكب هذه الغلطة . كان جماعة من ركاب باخرتنا هذه يجلسون فى الصالون يتحدثون حديثا خاصا بهم تماما فى شئونهم المالية الخاصة بهم ، ورأيتك تتسلل لتقترب منهم بقصد استراق السمع على أحاديثهم وشاهدتك وأنت لم تكتف باستراق السمع فحسب ، بل شاهدتك وأنت توجه إطراءا صريحا للسيدة لينيت دويل مشجعا إياها ألا توقع على شىء دون أن تقرأه بعناية» .

امتعض وجه فانثورب واحتقن . ولم يأبه لذلك بوارو واستمر فى كلامه يقول وكأن وجه فانثورب لم يمتعض ولم يحتقن : «والآن ياسيد فانثورب ، لم يكن هذا

التصرف من جانبك يتفق مع تقاليد صديقى السير هاستنجز الذى يرتدى نفس النوع من رباط العنق الذى ترتديه سيادتك . إن السير هاستنجز رجل مهذب لبق رقيق مؤدب لا يقدم أبدا على مسلك مثل ذلك المسلك الذى سلكته أنت كما أوضحت لك ، وثمة ملاحظة أخرى : أنت محام . وأنت حديث عهد بالمحاماة ، ولم تؤسس لنفسك مركزا ماليا يتيح لك أن تشترك فى مثل هذه الرحلة السياحية على مثل هذه الباخرة... ومتى ؟ فى أوج الموسم القضائى فى فصل الشتاء . ويضاف إلى ذلك أيضا أنك لا تعمل فى مكتب للمحاماة خاص بك ، بل أنت تعمل فى مكتب محاماة ليس ملكا لك فى الريف ويستحيل أن تكون أتعابك أو مرتبك منه كافيا لتمويل مثل هذه الرحلة أو لتكاليف كل مظاهر حياتك البادية الاحترام . ولا تبدو عليك آثار مرض لنقول إنك قد اتشركت فى هذه الرحلة لأسباب صحية طلبا للنقاهة وعملا بمشورة الأطباء . ولذلك أسألك لماذا ولأى غرض جئت لتشترك فى هذه الرحلة على هذه الباخرة؟» .

شد فانشورب رأسه إلى الوراء فى تحد وقال : «إننى أرفض رفضا قاطعا أن أمدك بأى معلومات ياسيد بوارو . وأنا أعتقد أنك لابد أن تكون مجنونا لتتحدث معى بهذه الطريقة» . فقال بوارو بهدوء تام : «أنا لست مجنونا بل أنا عاقل جدا . دعنى أساعدك لتدرك حقيقة موقفك . أسألك أولا : أين يقع المكتب الذى تعمل لحسابه ؟ إنه فى نورثامبتون ، وهو مكان غير بعيد عن قصر وودهول الذى كانت تمتلكه السيدة لينيت . وما هو موضوع الحديث الخاص الذى حاولت أنت استراق السمع إلى مجراه ؟ إنه حديث حول وثائق ممتلكات السيدة لينيت ، وما هى الملاحظة التى أبديتها ؟ إنها ملاحظة إطراء وتشجيع للسيدة لينيت ألا توقع على شىء دون قراءة محتواه . ولا يفوتنى أن ألاحظ أنك كنت مرتبكا جدا وأنت تبدى هذه الملاحظة . وفوق هذه الباخرة كما تعلم – وأنت محام – وقعت جريمة قتل السيدة لينيت وحدثت بعدها جريمتى قتل أيضا ، ولو أضفنا إلى ذلك أن المسدس الذى استخدمه القاتل فى إحدى هذه الجرائم مملوك للسيد بننجتون الوصى على تركة لينيت فلعلك ياسيد فانثورب تكون قد اقتنعت بأنه من واجبك أن تطلعنى طواعية واختيارا على كل ما لديك من معلومات يمكن أن تساعد العدالة بشأن هذه القضايا» .

قال فانثورب وقد بدأت عريكته تلين ويتفهم الهدف الحقيقى الذى هدف بوارو إلى تحقيقه : «الواقع ياسيد بوارو هو أن لك طريقة غير عادية فى تناول الأمور . وأنا قد بدأت أقدر قيمة المسائل الدقيقة التى أشرت إليها . ولكن أرجو أن تصدقنى فى أنه ليس عندى مزيد من المعلومات الأكيدة لأضيفها إلى المعلومات التى عندك بالفعل». فقال بوارو : «هل تعنى أن لديك مجرد ظنون وشبهات تحتاج إلى الأدلة» . فقال فانثورب : «هذا هو ما أعنيه فعلا» . فقال بوارو : «ولهذا السبب ياصديقى أنت تعتقد أنه من غير المناسب أن تفصح لى عنها . ربما تكون وجهة نظرك هذه سليمة فى ساحة المحكمة ياسيدى المحامى . أما هنا ، بالنسبة لنا ، ونحن نقوم بتحقيق للكشف عن سر هذه الجرائم فكل شعاع صغير من الضوء يجب أن ينال حظه من البحث والتمحيص حتى نصل إلى اليقين» .

قال فانثورب : «أعتقد أنك على صواب . ما الذى تريد معرفته ياسيد بوارو؟» فقال بوارو : «ما هو الدافع الحقيقى الذى جعلك تقوم بالاشتراك فى هذه الرحلة على هذه الباخرة؟» فقال فانثورب : «خالى السيد كارمايكل هو المحامى الإنجليزى الذى يتولى جميع قضايا لينيت دويل فى بريطانيا . وهو الذى أرسلنى فى هذه الرحلة لأنه لاحظ فى المدة الأخيرة بعض الأمور التى أثارت عند خالى الارتياب فى الوصى الأمريكى على تركة لينيت وهو السيد بننجتون كما تعرف ، ولما تزوجت لينيت من السيد سيمون دويل فجأة وبدأت على الفور رحلة شهر العسل إلى مصر اطمأن خالى أنها بمجرد عودتها إلى إنجلترا سيتخذ لها إجراءات انتقال إدارة تركتها إليها هى شخصيا . ولكنه استلم خطابا أرسلته إليه لينيت من مصر تخطره فيه أنها قد التقت مصادفة بالوصى الأمريكى على تركتها فى الرحلة إلى مصر ، فثارت الشكوك عند خالى من جديد وبقوة أشد من شكوكه السابقة ، واستقر فى ذهن خالى أن بننجتون قد أقدم على الاشتراك فى هذه الرحلة بالذات إلى مصر فى هذا التوقيت بالذات لكى يتلاعب تلاعبا يخفى به كل تلاعبه السابق فى إدارة ممتلكات لينيت وذلك بالحصول على توقيعها على مستندات يغطى بها تلاعبه الأكيد . وأحب خالى أن يتبين الحقيقة وأن يحول بين الوصى الأمريكى وبين نجاحه فى أى تلاعب . ولم يشأ خالى أن يظهر فى هذه الرحلة بنفسه ووجد من الأصوب أن يرسلنى أنا إلى مصر للاشتراك فى نفس الرحلة لأن لينيت لا تعرفنى كما تعرف خالى ، وأعطانى خالى تعليمات مشددة بوجوب الحذر بحيث لا أمكن بننجتون من الحصول على توقيع

لينيت على أى مستندات دون قراءتها وفحصها بدقة . وهذا هو سبب حضورى واشتراكى فى هذه الرحلة ، وهو أيضا سبب هذا المسلك الذى أشرت إليه . والواقع أننى اضطررت إلى مسلكى هذا وأنا فى غاية الارتباك والحرج إذ لم أتعود على ذلك بالفعل . ولكننى غير نادم لأنى حققت الهدف الذى جئت إلى مصر من أجله» .

قال بوارو : «هل تعنى أنك قد وفقت فى تحذير لينيت؟» فقال فانثورب : «ليس هذا فحسب ، فهى لم تكن تحتاج كثيرا إلى التحذير فى حقيقة الأمر كما لاحظت، ولكن ما يهمنى هو أن رسالة مهمة قد وصلت إلى السيد بننجتون تقول له إن هناك من يقف له بالمرصاد ويراقب تصرفاته فى تركة لينيت . ولذلك عمد إلى تغيير خطته وعدل من تلقاء نفسه عن الحصول على توقيعها ، ولا أعرف الخطة التى تحول إلى تنفيذها . ولقد كان فى نيتى أن أقوم بتحذير واضح للسيدة لينيت ولكن اكتشفت أنها تحترم الوصى على تركتها احتراماً يماثل احترام الابنة لأبيها . وجال بخاطرى أن أتصل بزوجها لهذا الغرض ومن السهل إثارة حماسه بشأن الحفاظ على تركة زوجته» .

فقال بوارو : «عندى سؤال مهم أرجو أن تجيبنى عليه حسب رأيك وتقديرك كمحام ، والسؤال هو : لو أراد شخص أن يتلاعب لنهب تركة لينيت دويل فمن هو الشخص الذى يفضل التلاعب عليه : هل هو لينيت دويل أم السيد سيمون دويل ؟» .

فقال فانثورب : «التلاعب على سيمون دويل هو الأسهل طبعا . كانت لينيت خبيرة وذكية فى الشئون المالية بوجه عام أما زوجها فهو ساذج بالنسبة للشئون المالية ويجهل أصول إدارة الأعمال ومن السهل عليه التوقيع حيثما يطلب منه التوقيع على أى مستندات دون أى اكتراث» ، فقال بوارو : «هذا رأى صائب ، وهو دافع قوى لاقتراف جريمة قتل» . فقال فانثورب «ربما . ولكن هل لديك دليل؟» فقال بوارو : «سنتمكن من الحصول على دليل» . فقال فانثورب : «ممن ستحصل على الدليل؟ وكيف ستحصل عليه منه؟» فقال بوارو : «من بننجتون نفسه» . فقال فانثورب «إننى أشك فى هذا الافتراض» . فقال بوارو : «إننا فى انتظار قدومه الآن على كل حال ياسيد فانثورب» .

وأدرك فانثورب مغزى هذه الإشارة واستأذن فى الانصراف ليتسنى لبوارو استقبال بننجتون . وبعد انصرافه بدقيقتين ظهر السيد أندرو بننجتون مبتسما ولكن كان يبدو

أن ابتسامته متكلفة مصطنعة ، وألقى بالتحية ثم جلس وهو يتطلع إلى كل من بوارو والكولونيل ريسى متسائلا وكأنه يقول لماذا تلاحقاننى فقال له بوارو : «لقد طلبنا إليك الحضور ياسيد بننجتون؛ لأنه من الواضح أن لسيادتك مصلحة كبيرة فى هذه القضية . إنك تعرف لينيت دويل منذ طفولتها . هل كنت على اتصال وثيق بوالدها؟» .

قال بننجتون : «بلا ريب كنا على اتصال وثيق وصداقة قوية» . فقال بوارو : «إلى درجة أنه تم تعيينك وصيا على ابنته وعلى ثروتها الكبيرة؟» فقال : «هذا كله صحيح إجمالا . ولكننى لم أكن الوصى الوحيد . كان معى فى هذه المهمة شركاء» . فقال بوارو : «ماتوا جميعا ولم يبق إلا أنت وحدك» . فقال : «مات اثنان منهم ولم يبق على قيد الحياة إلا أنا والسيد روكفورد» . فقال بوارو : «شريكك فى المكتب وفى أعمال التجارة؟» فقال : «نعم» . فقال بوارو : «أعتقد أيضا أن الآنسة لينيت ريدچواى لم تكن قد بلغت سِنَّ الرشد حين تزوجت فجأة؟» فقال : «إنها لم تكن لتبلغ الحادية والعشرين إلا فى يوليو المقبل» . قال بوارو : «ودون الزواج لم يكن يحق لها استلام تركتها قبل هذا التاريخ؟» فقال : «نعم». فقال بوارو : «ولكن زواجها المفاجئ غير وبدل مجرى الأمور وقلب الأوضاع بطبيعة الحال!» .

وظهرت علامات الضيق على وجه بننجتون رغم أنفه فقال : «ما هذا الذى تهدفان إليه من وراء هذه الأسئلة كلها؟» فقال بوارو : «أنت ياسيد بننجتون رجل ذكى . لدينا مسألة الدافع إلى اقتراف جريمة قتل ولا يمكن لنا إغفال الدوافع المالية عند التحقيق فى جريمة قتل» . فقال : «على كل حال ، تنص وصية ريدچواى على أن تتسلم لينيت كل ثروتها عند بلوغها الحادية والعشرين أو بمجرد زواجها إذا تزوجت قبل بلوغها هذا السن دون أى قيد أو شرط» .

قال بوارو : «ثروتها تقدر بالملايين؟» فقال بننجتون : «نعم . تقدر بالملايين» . فقال بوارو: «أعتقد أن مسئولياتك أنت وشريكك كانت ثقيلة جدا فى هذه الأعوام الأخيرة؟» فقال : «لقد تعودنا على تحمل المسئوليات فى عملنا وليست المسئوليات مشكلة تقلقنا» . فقال بوارو : «إننى أعجب مما تقول» . فقال : «ماذا تعنى؟» فقال بوارو : «أعنى بالضبط وعلى وجه التحديد أن زواج لينيت المفاجئ قد أحدث ارتباكا فى خطط مكتبك التجارى» . فقال: «أعمال مكتبنا التجارى على خير ما يرام» .

فقال بوارو : «ألم تنزعج عندما وصلت إليك أنباء زواج لينيت ريدچواى لدرجة أنك سافرت بأول باخرة إلى مصر وتصنعت أنك التقيت بالسيدة لينيت بمحض الصدفة التى لم تكن صدفة؟» فقال : «إن هذا الذى تقوله ياسيد بوارو هو الهذيان بعينه . إننى لم أكن أعلم بزواج لينيت قبل وصولى إلى القاهرة . ولقد دهشت عندما قابلتها فى مصر وهى متزوجة . ومن الضرورى أن خطاب لينيت قد وصل إلى نيويورك بعد سفرى وقد تم تحويله وتسلمته فى القاهرة بعد أسبوع من وصولى إليها» .

قال بوارو : «أنت تقول إنك قد وصلت إلى مصر بالباخرة كارمانك؟» فقال : «هذا صحيح» . فقال بوارو : «هذا عجيب . إن حقائبك لا تحمل أى بطاقة من بطاقات الباخرة كارمانك التى يلصقونها عادة بحقائب الركاب ، بل توجد على حقائبك عندما قمنا بالتفتيش بطاقات باخرة أخرى هى الباخرة نورماندى التى أبحرت من نيويورك بعد إبحار كارمانك بيومين» .

وظهرت الحيرة والارتباك على وجه بننجتون فاستطرد بوارو قائلا : «لا جدوى من الإنكار ياسيد بننجتون . أنت قد تسلمت إذن خطاب لينيت ريدجواى تخطرك فيه بزواجها فى نيويورك وليس فى مصر كما تدعى» . فقال : «يبدو فعلا أنه ليس أمامى مفر من التسليم بصحة ما تحاول افتراضه ، ولنفرض أن ذكاءك قد غلبنى ياسيد بوارو فى هذه المسألة ومن الممكن لى أن أقول إن دوافع اللياقة والكياسة وأنا لم أشارك فى عرس لينيت أى مشاركة اقتضت منى أن أتظاهر بعدم معرفة نبأ زواجها إلا فى وقت متأخرة ياسادة» .

فقال بوارو : «نريد الدوافع الحقيقية لهذا وليس الدوافع الظاهرية» . فقال : «يسوؤنى فى الواقع أيضا أن أقول إننى لاحظت فى المدة الأخيرة شيئا من الاضطراب فى الأعمال التى يتولى الإشراف عليها محامى لينيت البريطانى ، وقد عللت النفس بقرب بلوغ لينيت سن الرشد . ولكننى فوجئت بزواجها من شاب إنجليزى . وقررت أن أكتشف حقيقته بنفسى دون إزعاج لينيت . ولم أجد أنه من اللائق أن أقحم نفسى على العروسين فى شهر العسل بالإصرار على مناقشة المسائل المالية معهما . وهدانى تفكيرى إلى أن اصطناع الصدفة فى لقائى معهما هو خير وسيلة لذلك . دوافعى لاصطناع الصدفة التى لاحظتماها إنما هى دوافع إنسانية نبيلة وليس كما

تفترضان . افترضتما أنى قابلتها عن عمد واصطنعت الصدفة ووافقت أنا على هذا الافتراض ، وتريدان أيضا أن تفترضا أن اصطناعى للصدفة كان لأهداف إجرامية ؟» .

قال بوارو : «لا نصدق حرفا واحدا من كلامك عن دوافعك هذه فيما يتعلق باصطناع الصدفة ياسيد بننجتون» . فقال : «تصدقان أو لا تصدقان . الأمر بالنسبة لى سيان» .

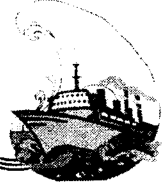
قال بوارو : «نعتقد أن زواج لينيت المفاجئ أطاش صوابك لاضطراب إدارتك المالية لتركتها الموروثة لها ، وقررت الحضور إلى مصر على عجل للبحث عن مخرج من الورطة المالية وشرعت فى الحصول على توقيعات منها على مستندات كثيرة أعددتها فلما خاب أملك وأصرت لينيت على أن تقرأ المستندات قبل التوقيع عليها وشعرت أن هناك من يراقب محاولاتك هذه ، غيرت خطتك وبحثت عن مخرج آخر لك من الورطة وبدأت تفكر بطريقة غير الطريقة العادية فى التفكير . حاولت أن تقتلها بحجر ضخم تدحرج من فوق قمة الجبل أمام معبد أبى سمبل لكى تسحقها وتستريح منها ومن عنادها فى التوقيع على المستندات ولكنها نجت بأعجوبة من محاولة القتل التى شرعت فيها» . فقال بننجتون : «أنت مخبول» . فقال بوارو : «وقد سمحت لك ظروف أخرى بالقضاء فعلا على لينيت دويل أثناء العودة من وادى حلفا بحيث تستطيع أن تلقى الشبهات على شخص آخر . ولقد قام الدليل الحاسم على أن مسدسك قد استخدم فى قتل السيدة أوتربورن وهى على وشك الإفضاء لنا باسم قاتل لينيت» .

وعندئذ ثارت ثائرة بننجتون وصاح قائلا : «ما هذا الهذيان والجنون؟ ما السبب الذى يدعونى إلى قتل لينيت ؟ إننى لا أطمع فى أن أرثها . إن زوجها هو الذى يرثها ، وهو الذى لديه الدافع حقا لقتلها إذا كنتما تتكلمان عن الدافع الحقيقى للقتل . من الذى يرثها ؟ الشخص الذى يرثها هو الذى يجوز أن يكون عنده الدافع لقتلها بالمعنى الحقيقى للدافع إلى القتل . عليكم بزوجها لأنه هو الذى يرث ثروتها أما أنا فلا أرثها ولا يعقل أن يكون عندى الدافع لقتلها . عليكم بالوارث الحقيقى لو كان مجرد وجود دافع كاف لارتكاب الجريمة ، هذا الدافع لارتكاب الجريمة موجود عند غيرى وليس عندى كما تتوهمان» .

قال بوارو : «إن زوج لينيت ، السيد سيمون دويل لم يغادر الصالون طوال مدة السهرة وعند إطلاق الرصاص عليه فى ذات الوقت الذى تمت فيه جريمة قتل زوجته لينيت ولقد كان راقدا طوال الليل مكسور الساق وقد تم حقنه بالمورفين فى قمرة الدكتور بسنر وتحت إشرافه . ولكل هذه الاعتبارات يستحيل أن يكون هو قاتل زوجته وأنت الوحيد الذى تشترك معه فى وجود دافع مالى لاقتراف الجريمة . سيمون دويل لديه الدافع المالى لارتكاب الجريمة ، وأنت لديك الدافع المالى لارتكاب الجريمة بصرف النظر عن الدافع الأقل والدافع الأكبر . وعندما يستحيل أن يقترف صاحب الدافع الأكبر الجريمة يبقى الدافع على ارتكاب الجريمة منحصرا فى شخصك أنت ياسيد بننجتون . وأنت تعرف ياسيد بننجتون أنك ستجد الوارث الطيب الذى لا توجد لديه خبرة بالمسائل المالية وإدارة الأعمال ويكتفى بالحصول على أية مبالغ من المال من ثروة لم يتعب هو ولا أجداده فى جمعها ، ستجد ياسيد بننجتون هذا الوارث الجديد أسلس قيادا فى التوقيع على أى مستندات تطلب منه التوقيع عليها ومن الصعب أن لينيت كانت توقع عليها . وبذلك تحصل أنت كوصى على تركة لينيت على المستندات المطلوبة لتسوية الحسابات المختلفة من جراء سوء إدارتك لأموال وتركة لينيت الموضوعة تحت وصايتك ، ولتتمكن من الإفلات من الإفلاس والسجن . وعندما تموت لينيت أيضا من المحتمل جدا أن يعهد إليك زوجها بإدارة كل الممتلكات التى يرثها عنها فتظل وصيا على ذات الثروة وكأن شيئا لم يكن . هل هذا الدافع المالى لارتكاب الجريمة ضعيف يا سيد بننجتون؟ هل يقل هذا الدافع قوة عن الدافع الذى ربما يكون موجودا لدى الوريث الوحيد لثروة القتيل ؟ أليس من المحتمل أن يطلق الوارث الجديد يدك فى إدارة التركة كلها كما كنت؟..» .

وعندئذ هز بننجتون كتفيه وقال : «أقسم أننى تعثرت فى ذلك الحجر ، وتدحرج الحجر فسقط بالمصادفة . والحجر لم يقتلها ، وليس فى الحجر الذى تدحرج أى جريمة . إنه حادث عرضى تم بمحض الصدفة ، ولا يوجد أى دليل ضدى» . فقال بوارو : «ربما».

ونهض بننجتون وقد استعاد شيئا من الجلد ورباطة الجأش ، وانصرف خارجا من قمرة بوارو .



الفصل السادس والعشرون

تنهد الكولونيل ريسى بعمق عندما أغلق بننجتون باب قمرة بوارو وراءه ، وقال ريسى: «لقد حصلنا منه على أكثر مما كنت أطمع فى الحصول عليه . انتزعنا منه الاعتراف بالكذب والتحايل والاعتراف بمحاولة القتل والشروع فى القتل . ومن المستحيل المضى أكثر من ذلك . وربما يعترف الرجل أو ينكر الاتهام بالشروع فى القتل ، ولكنك لا تستطيع أن تجعله يعترف بجريمة قتل كاملة» .

فقال بوارو : «من الممكن فى بعض الأحيان انتزاع اعتراف صحيح فى جريمة قتل كاملة لو توافرت أدلة كافية» . فقال ريسى : «هل عندك خطة لتحقيق هذا الهدف؟» .

وأومأ بوارو برأسه ثم قال : «عندنا أولا ما حدث فى أسوان عند الجبل ، وعندنا شهادة تيم ألرتون . ولدينا زجاجتان من طلاء الأظافر ، ولدينا زجاجة خمر دس فيها مخدر . وعندنا الشال القطيفة . وعندنا المنديل الرخيص وبه الطلاء الأحمر . وعندنا المسدس المتروك فى مكان الجريمة. عندنا جثة لينيت وجثة لويز وجثة السيدة أوتربورن» . فقال ريسى : «وبناء على ذلك؟» .

قال بوارو : «بناء عليه أقول إن بننجتون لم يقترف أى جريمة يا ريسى!» فقال ريسى : «ماذا تقول؟» .

فقال بوارو : «أقول إن بننجتون لم يقترف أى جريمة . أجل إن لديه دافعا قويا لارتكاب جريمة ، دافعاً قوياً وصل به إلى حد الشروع فى محاولة القتل باستخدام حجر يتدحرج تلقائيا من فوق الجبل ليقتل الضحية دون أن يشاهد أحد على وجه التحديد من الذى ألقى بالحجر عليها . وعند دحرجة الحجر من فوق الجبل تنتهى محاولات بننجتون فى محاولات قتل لينيت أو غيرها ، إن جريمة قتل لينيت كانت تحتاج إصرارا أقوى بكثير واحتياجا أقوى بكثير وذكاء أقوى بكثير مما هو متاح للسيد بننجتون . هذه الجرائم التى تمت فعلا تحتاج إلى توافر شيء ليس موجودا لدى السيد بننجتون» . فقال ريسى : «وما هو هذا الشيء الذى كانت تحتاجه هذه الجرائم وهو غير متوافر عند بننجتون؟» .

قال بوارو : «هذه الجرائم تحتاج إلى الجسارة وتحتاج إلى توافر وقت طويل أمام المجرم يدبر فيه جريمته على مهل وليس بضعة أيام محدودة بعدد أيام رحلة من الرحلات . هذه الجرائم ياريسى تحتاج دقة فى التنفيذ وحيطة وشجاعة وعدم مبالاة بالخطر وإحكام للخطة . وصاحبنا بننجتون أمريكى تعوزه كل هذه الصفات إذا وضعنا

فى الحسبان أيضا أن مثل هذه الجرائم ليست مأمونة العواقب وأن السيد بننجتون ليس موقفه المالى مترديا للغاية فهو يعمل فى المجالات المالية على كل حال ووجود بعض المتاعب المالية مألوفة لدى رجال الأعمال نجد أنه لا يقبل بالمجازفة فى جرائم مهددة بخطر الافتضاح إلى حد كبير فى أى لحظة ولأى سبب خارج عن إرادة مرتكب الجريمة ومخططها . إن بننجتون ليس رجلا جريئا ولا متهورا» .

قال ريسى : «أعتقد يا بوارو أن هذه القضايا قد أصبحت واضحة مرتبة تماما فى ذهنك، أليس كذلك؟» فقال بوارو : «وأنا أيضا أعتقد ذلك فيما عدا ثغرات قليلة» . فقال ريسى: «ما هى؟» فقال بوارو : «البرقية الغريبة التى كانت لينيت قد قرأت مضمونها بغير قصد على سبيل المثال يا ريسى» .

فقال ريسى : «صحيح والله يا بوارو ، يا له من سهو منى ، كان سيمون على وشك أن يقول مضمونها عندما اقتحمت علينا القمرة السيدة أوتربورن المسكينة ونسينا أن نسأله عن مضمون البرقية مرة أخرى . يلزم أن نعيد سؤاله عنها» .

فقال بوارو : «ولكن من الضرورى قبل ذلك أن أرى الشاب تيم ألرتون وفورا الآن ياريسى» .

وجاء ريسى بالشاب تيم ألرتون إلى قمرة بوارو فى غضون بضع دقائق ، فقال له بوارو : «كل ما أطلبه منك يا تيم هو أن تصغى الآن لكل ما أقوله لك» . فقال تيم ألرتون : «لو كنت تريد الإصغاء إليك فقط ، فأنا من أفضل خلق الله إصغاءً» . فقال بوارو : «هذا عظيم جدا يا تيم . ولتبدأ فى الإصغاء من الآن ... حينما التقيت بك مع والدتك فى أسوان أحببت صحبتكما على وجه الخصوص دون كافة المشتركين فى الرحلة لأننى وجدت أمك شخصية من ألطف الشخصيات التى صادفتها فى حياتى . ولقد كان عندى فى حقيقة الأمر سبب آخر أهم من ذلك بكثير وهو إشارة كانت قد بدرت منك إلى شخصية نسائية مهمة للمتصلين بالتحقيق فى الجنايات المالية وهى إشارة تتصل بالآنسة جوانا ساوثوود» .

وسكت بوارو قليلا . ولم ينطق تيم بكلمة واحدة مكتفيا بمجرد الإصغاء ، فاستطرد بوارو قائلا : «لعلك يا تيم تتساءل : لماذا يهتم رجل مثلى بهذه الآنسة؟ والحقيقة يا تيم هى أننى فى السنوات الثلاث الأخيرة عرفت من جراء احتكاكى بالعمل أن حوادث سرقة للجواهر الثمينة قد انتشرت فى المجتمعات الراقية فى لندن . وأقامت مجوهرات الطبقة العليا من نساء لدينا وسرقاتها بطريقة التقليد والإبدال إدارة سكوتلانديارد وأقعدتها ، فهى جواهر نسوة علية القوم فى لندن وأنت تدرك ما تعنيه عبارة «نسوة علية القوم فى لندن» . ولقد اتضح يا تيم أن هذه السرقات تقوم بها عصابة ، وبطريقة واحدة لا تتغير ، وتتلخص هذه الطريقة فى إبدال الجواهر الثمينة الطبيعية بنسخ طبق الأصل مقلدة لها . وليس من السهل القبض على جانٍ فى مثل

هذه القضية . النسخة المقلدة متقنة التقليد للمجوهرات الأصلية ويتم إبدال المجوهرات الأصلية بالنسخ المقلدة منها فى الخفاء دون أى عنف ودون ترك أى بصمات ، وفى معظم الحالات تستخدم الضحية المجوهرات المقلدة الزائفة وهى تحسب أنها المجوهرات الأصلية مدة طويلة من الزمان حتى يتم اكتشاف التزييف بالصدفة عند عرضها على صائغ محترف للرهن أو للبيع أو للاستبدال المشروع مثلا وهى حالات نادرة متباعدة الحدوث ، هل تصغى جيدا ياتيم؟» .

أومأ تيم برأسه مشدوها من غزارة معلومات بوارو واستطرد بوارو يقول : «حكى لى كبير مفتشى سكوتلانديارد الجنائيين عن أن واحدة من أهم النشيطات فى مجال تقليد وإبدال المجوهرات آنسة اسمها جوانا ساوثوود . وعندما ذكرت اسمها يا تيم باعتبار أنها ابنة خالتك لفتت إشارتك إليها اهتمامى إذ كنت أعرف أن معظم ضحايا جرائم تزييف واستبدال المجوهرات من أصدقاء ومعارف جوانا ساوثوود ابنة خالتك ، هل تصغى جيدا ياتيم؟» .

وأومأ تيم برأسه بما يفيد أنه يصغى جيدا واستطرد بوارو قائلا : «لقد اتضح لى أنه فى جميع الأحوال أن قريبتك الآنسة چوانا ساوثوود إما أن تكون قد تناولت الجواهر المستهدفة بالسرقة لتتفرج عليها وتتأملها أو تكون قد استعارتها بعض الوقت لتحضر بها مناسبة من المناسبات الاجتماعية فى لندن . ولقد تبين أيضا أن مستوى معيشتها ونفقاتها تتجاوز إمكانات دخلها الخاص المشروع بكثير . وكان من الواضح أن عملية التقليد وأيضا عملية الإبدال لا تتم بيديها هى شخصيا ، وفى بعض الأحيان كانت بعض العمليات تتم أثناء غيابها عن إنجلترا كلها ، ولكن إرشاداتها وتوجيهاتها ومعلوماتها كانت تلعب دورا مهما فى رسم خطط عمليات سرقات الجواهر هذه على الدوام كما كانت تشارك بنفسها فى الكثير منها . هل تصغى إلى كلامى يا تيم؟» .

وأومأ تيم برأسه ، واستطرد بوارو يقول : «شيئا فشيئا وبالتدريج تكونت فى ذهن صديقى مفتش سكوتلانديارد صورة متكاملة لكيفية هذه السرقات . لقد اكتشف أن الآنسة چوانا ساوثوود ابنة خالتك يا تيم عضو نشط جدا وأساسى فى «جمعية تعاونية» لسرقة المجوهرات عن طريق التقليد المتقن والإبدال ، هل تصغى لكلامى ياتيم؟» .

وأومأ تيم برأسه واستطرد بوارو يقول : «ولفت نظرى فى أحاديثك أيضا بضع سقطات أخرى لك مثل حكاية الخاتم الذى فقدته صديقة والدتك وكيف عرفت أنه خاتم مزيف وربما كانت صاحبته تحسبه غير مزيف ، وكذلك الحفلة التى كنت حاضرا فيها ومعرفتك أن المجوهرات اكتشفت صاحبة القصر أنها مزيفة وليست مسروقة ، كما قمت بتصويب معلومات أمك فى هذا الصدد .

وعندما نضيف إلى ذلك صلة القرابة الوثيقة الموجودة بينك وبين الآنسة جوانا ساوثوود رغم نفور والدتك الظاهر منها ، ودفاعك المستميت عنها ، أستطيع أن أستشف ما وراء كل هذه الملاحظات هل تصغى لكلامى ياتيم؟» .

وأوما تيم برأسه واستطرد بوارو يقول : «لقد علمنا بما لا يقبل الشك أن لآلئ لينيت بعد مقتلها قد تم استبدالها بلآلئ مزيفة ، وعلى الفور اتجه تفكيرى إليك وتأكدت أنك أنت الذى قمت بهذه العملية كما تأكدت أن قريبتك الآنسة جوانا ساوثوود قد زودتك بالعقد المتقن التزييف الشبيه بعقد لآلئ لينيت دويل . هل تصغى لكلامى ياتيم؟» .

كان وجه تيم قد اكفهر عندما وصل بوارو فى كلامه إلى جريمة قتل لينيت وإضافة السرقة إلى القتل فقال : «لو كان ما تقوله صحيحا ياسيد بوارو فأين العقد الحقيقى ؟ وماذا فعلت أنا به؟» فقال بوارو : «هذا سؤال مهم يا تيم . وأنا أعرف مكان العقد الحقيقى ، وأعرف ما فعلته أنت به . إن لآلئ العقد الحقيقى يا سيد تيم قد قمت أنا بإخفائها داخل حبات المسبحة الكبيرة ذات الحبات الخشبية الضخمة المجوفة المنقوشة ، وهى المسبحة التى شاهدتها معلقة على جدار بقمرتك عند تفتيشنا لها . ولقد استعنت ياسيد تيم بأنبوبة من السيكوتين لاتزال موجودة عندك وبها بقايا من السيكوتين . ولقد أوليت جانبا من اهتمامى أثناء عملية التفتيش أن أحاول التعرف على كيفية وصول العقد المزيف لك تزييفا متقنا لا يستطيعه أحد وهو على ظهر هذه الباخرة ، وعرفت أن الآنسة جوانا ساوثوود قد أرسلت لك كتابا ضخما بالبريد ، ولقد قلت أنت بنفسك أنه لا يتم فتح بريد الكتب إذ إنها ترسل مفتوحة من جهتين ويكفى فتحها على هذا النحو لمعرفة أن الطرد يحوى كتابا أو مجموعة من الكتب . ولقد وصل إليك بالبريد فعلا من لندن كتاب ضخم ، تم عمل ثقب كبير فى وسط الكتاب تحت الغلاف فصار الكتاب كصندوق محكم الإقفال ، ووضع بداخله العقد المزيف ليكون جاهزا لاستخدامك» .

قال تيم بصوت متحشرج : «جاء دورى لأتكلم أنا وتصغى أنت ياسيد بوارو . لقد كانت الخطة محكمة وبسيطة وعملية سهلة التنفيذ حتى هتكت أنت أستار الخطة التى نعمل بها ونربح من ورائها أموالا طائلة نقتسمها فيما بيننا كتنظيم متخصص فى هـذا النوع من سرقات المجوهرات . لم يبق أمامى إلا أن أتجرع دوائى ياسيد بوارو» .

قال بوارو : «هل تعرف أنك قد شوهدت فى ليلة الجريمة؟» فقال تيم : «ماذا تقول ؟ من الذى شاهدنى؟» فقال بوارو : «شاهدك شخص ما وأنت تخرج من قمرة لينيت دويل فى تلك الليلة بعد الساعة السابعة صباحا» .

وقفز تيم مرتعدا وهو يقول : «لا أعتقد أنك تتهمنى بأننى قتلتها أيضا ؟ أقسم لك أننى لم أقتلها . لقد كنت فى أشد حالات الألم عندما علمت أنها قد قتلت . وكنت ألعن حظى أننى قد اخترت تلك الليلة بالذات لإتمام عملية إبدال مجوهراتها. يا إلهى . كم يقاسى الأحياء ويستريح من المعاناة الأموات!» .

قال بوارو : «أنا شخصيا أصدقك فى كل ما قلته . أنت تصغى جيدا . ومن يصغى جيدا يستطيع أن يتكلم كلاما جيدا . ولكننى يا تيم أريد منك أيضا أن تساعدنا ما دامت حقيقة موقفك قد عُرِفَتْ وتم تحديدها . هل كانت السيدة دويل حية أم ميتة حين دخلت قمرتها لإبدال مجوهراتها؟» .

قال تيم : «لست أدرى بالضبط . أقسم أننى لا أستطيع أن أحدد بالضبط . لقد كان كل اهتمامى منحصرا ومركزا فى عملية إبدال المجهورات دون إحداث صوت وكلما كانت الضحية نائمة كان أفضل لى . هل كانت نائمة ؟ هل كانت ميتة . لم أكن أدرى ، ولم يكن ذلك يهمنى آنذاك . كان كل اهتمامى مركزاً فى أن أنجح فى عملية إبدال المجوهرات دون أن يشعر بى أحد . ولقد ظننت طبعا لعدم اعتراضها أو صياحها أنها نائمة فحسب» . فقال بوارو : «ألم تسمع تنفسها ؟ لقد حاولت طبعا أن تتسمعه لتطمئن إلى نومها» . فقال تيم : «لقد كان الصمت تاما . وأنا متأكد أننى لم أسمع أى صوت على الإطلاق آنذاك . ولقد استرحت نفسيا لذلك وشرعت فى تنفيذ عملية الإبدال بأسرع وقت. كان كل تركيز ذهنى متجها إلى سرعة الإنجاز والخروج بأسرع وقت ممكن ، وعموما لا أذكر أننى سمعت أى صوت تنفس يصدر من جهتها ، ولم أهتم ولم آبه لذلك، فربما كانت تتنفس دون إحداث صوت يذكر . يتفاوت الصوت المصاحب للتنفس بين الناس كما تعرف» .

وسأله بوارو : «هل كانت هنالك رائحة لأى دخان كريه؟» فقال تيم : «لا أظن. لا أذكر». فقال بوارو : «نحن للأسف لم نتقدم كثيرا فى بحثنا بمساعدتك لنا وأنت لا تظن ولا تذكر ولا تتذكر» . فقال تيم : «من الشخص الذى رآنى أخرج من قمرة لينيت دويل فى تلك الليلة؟» فقال بوارو : «أما أنا فأعطيك إجابات واضحة محددة . شاهدتك روزالى أوتربورن . كانت على سطح الباخرة حين رأتك تخرج من هناك وتتسلل راجعا إلى قمرتك» .

قال تيم : «هل هى إذن التى وشت بى» . فقال بوارو : «للمرة الثانية أعطيك الإجابة واضحة محددة : لا . لم تَشِ بك الآنسة روزالى أوتربورن ، وذلك لسبب بسيط وهو أنها لم تتعرف عليك» . فقال تيم : «إذا كانت روزالى أوتربورن لم تشِ بى فكيف عرفت أنت أننى دخلت قمرة لينيت فى تلك الليلة وأبدلت اللآلئَ

الحقيقية باللآلئ المزيفة؟» فقال بوارو : «للمرة الثالثة أعطيك الإجابة الواضحة المحددة: لأننى هركيول بوارو . لا حاجة بى أن يخبرنى أحد فى كل الأحوال لأعرف ما يلزمنى أن أعرفه . أستطيع أن أعرف بنفسى. وأستطيع أن أعرف ما إذا كان الشخص الآخر يعطينى معلومة صحيحة أم معلومة زائفة . وأستطيع أن أعرف ما إذا كانت اللآلئ حقيقية أم أنها مزيفة ... وحتى عندما واجهت روزالى أوتربورن بأننى عرفت هذا الشخص أصرت على الإنكار وتمسكت بأنها لم تشاهد أى شخص» . فقال تيم : «لماذا أصرت على الإنكار؟» فقال بوارو : «لأنها تعتقد أن هذا الشخص هو الذى قتل لينيت دويل» .

فقال تيم : «هذا أدعى أن تقول من هو وتبلغ عنه بنفسها . فلماذا لم تفعل ذلك؟» فقال بوارو : «لم تكن تعرف أنه ليس القاتل وإنه مجرد لص يعمل فى مجال إبدال المجوهرات الحقيقية بمجوهرات مزيفة . والاتهام بالقتل أشد هولا من الاتهام بالسرقة كما تعرف يا تيم . ويبدو أنه لم يكن من رأيها أن تبلغ عنك يا تيم لأسباب أخرى» .

فكر تيم برهة من الوقت وهو مطرق الرأس ثم قال : «لقد أوقعتنى فى فخاخك تماما ياسيد بوارو . وتقديرا منى لشخصك الكريم ستجد اللآلئ حيث ذكرت فى مكانها دون أى تغيير أو إحلال أو إبدال . الشىء الوحيد الذى أود أن أتمسك به وسأتمسك به للنهاية هو أننى لم أعترف بأية أقوال تتصل بالآنسة جوانا ساوثوود . أنت ياسيد بوارو الذى قلت عنها كل شىء ، أما أنا فلم أقل عنها أى شىء ، وليس لديكم أى دليل ضدها . عندما يسألنى أحد كيف حصلت على العقد المزيف فجوابى على هذا السؤال الذى لن يتغير أبدا هو : هذا شأنى الخاص . حصلت عليه بوسائلى الخاصة . إنه سر المهنة لا يجوز إفشاؤه بأى حال إلا وفقا لقواعد معينة شأن أى مهنة فى العالم» .

قال بوارو : «هذا تصرف سليم وكريم تجاه ابنة خالتك أنا لا أعارضك بشأنه إطلاقا ، ولكن لا تنصرف الآن . انتظر لحظة الآن . وضغط بوارو على جرس وهو يقول : «سأطلب من الآنسة روزالى أوتربورن أن تحضر هنا لمدة دقيقة» .

وقطب تيم جبينه . ودخل أحد الخدم وحمل الرسالة إلى الآنسة روزالى التى وصلت بعد دقائق قليلة وقد تورمت عيناها من البكاء لمقتل أمها . وذهلت عندما شاهدت تيم ، ولكنها كانت أقل عنادا وأقل رغبة فى التحدى . ونقلت نظراتها بين ريسى وبوارو .

وقال الكولونيل ريسى : «يؤسفنا جدا أن نقلقك يا آنسة أوتربورن» . فقالت الفتاة: «لا يهم» فقال بوارو : «من المهم أن نستوضح نقطة أو نقطتين . عندما سألتك ما إذا

كنت قد شاهدت أى شخص فى الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليلة الماضية ذكرت لى أنك لم تشاهدى أحدا . ولحسن حظى أمكن لى الوصول إلى الحقيقة دون أى مساعدة من جانبك لى . لقد اعترف تيم ألرتون أنه كان موجودا بداخل قمرة لينيت دويل فى ذلك الوقت من الليلة الماضية» .

ونظرت الفتاة نحو تيم الذى أحنى رأسه فسأله بوارو : «هل التوقيت مضبوط ياسيد ألرتون» فقال تيم : «مضبوط جدا» . وكانت روزالى تحملق فيه وهى تقول له : «ولكنك لم تفعل ... ولكنك لم تفعل ..» فقال تيم : «لا . أنا لم أقتلها . أنا لص ولست قاتلا . كل ما أريد أن تعرفيه أن هدفى هو اللآلئ» . فقال بوارو : «إن كل حكاية السيد ألرتون تنحصر فى أنه ذهب إلى قمرتها فى الليلة الماضية وأبدل عقدا حقيقيا بعقد مزيف . أخذ اللآلئ الحقيقية وترك مكانها لآلئ تشبه اللآلئ الحقيقية كل الشبه . وتتفق هذه الرواية مع روايتك ورواية الآنسة فان شويلر من حيث التوقيت فقط . ولكن هدفه من الزيارة فى حقيقة الأمر لا يزال محل بحث ودراسة وريبة . من يدرينا أنه لم يقتل السيدة دويل للحصول على مجوهراتها . وربما فعل ذلك مضطرا لو كانت قد تنبهت لوجوده وحاولت منعه والاستغاثة بالآخرين . وربما كان هو الشخص الذى اختلس مسدس چاكلين بعد إطلاقها الرصاص على ساق سيمون دويل بالصالون ، وربما اقترف به جريمة القتل ولم يقم باستبدال المجوهرات فقط» .

شحب وجه تيم ألرتون ، واستطرد بوارو قائلا : «ولكن فتاة أخرى كانت قد شاهدتك غير الآنسة روزالى أوتربورن وهى الوصيفة لويز بورجيه . وفى الصباح ذهبت إليك وهددتك بالفضيحة إن لم تدفع لها مبلغا كبيرا . وتظاهرت بالقبول ، ووعدتها بزيارتها فى قمرتها للدفع . وأعطيتها مبلغا ، وفيما هى تحصيه قمت بطعنها فى قلبها فقتلتها . ولكن سوء الحظ لازمك فقد رأتك امرأة أخرى وأنت تخرج من قمرة الوصيفة لويز بورجيه كانت هى السيدة أوتربورن هذه المرة» .

كان وجه تيم يزداد امتعاضًا وهو يصغى فى ذعر وهلع لقائمة جنايات القتل التى ينسبها إليه بوارو الذى استطرد يقول : «وتحتم عليك مرة أخرى أن تبادر إلى العمل . وبينما كانت هذه السيدة تهم بالإبلاغ عنك كنت أنت قد أسرعت إلى قمرة بننجتون الذى كنت تعرف أنه يحتفظ بمسدس كبير فى قمرته وأطلقت منه الرصاص على السيدة أوتربورن حتى لا تبلغ عنك» .

وهنا صرخت روزالى قائلة : «لا . لا . إنه لم يقتل أمى» . واستطرد بوارو يقول : «ألقيت المسدس ، وخلعت القفاز ووضعته فى جيبك ومشيت قليلا ثم استدرت

لترجع إلى سطح الباخرة حيث تركت المسدس ليحسبك من يراك أنك قادم من مكان آخر لتستطلع سبب إطلاق الرصاص . ولما سألتك أنا أن تعطينى القفاز أخرجته من جيبك فورا ، وليس كل شخص يحمل فى جيبه قفازا يا سيد تيم» .

قال تيم : «أقسم إنه ليس فى كل ما قلته أى شىء صحيح» .

وفطنت روزالى بذكائها إلى الحقيقة فقالت : «اهدأ ولا تنزعج يا تيم . كل هذا الكلام طبعا غير صحيح ، السيد بوارو يعرف أنه غير صحيح ولكنه يقول كل هذا الكلام بهذا التتابع لهدف محدد فى ذهنه» .

فقال بوارو : «أنا أطرى ذكاءك يا آنسة روزالى . أنا أعلم أن كل هذا الكلام الذى قلته غير صحيح . ولكن ، أليست كل هذه الافتراضات معقولة ومنطقية ومقبولة وكافية للإطباق على عنقك يا تيم ألرتون؟ اصغ . سأقول لك الآن شيئا لم تسمعه من قبل . لو أنك ذهبت إلى قمرتك لن تجد اللآلئ الحقيقية فى المسبحة كما ذكرت مما يجعل كل حلقات السلسلة التى سمعتها تنهار وتتساقط اتهاما بعد آخر وسيقال إن الذى سرق اللآلئ الحقيقية عانس عجوز مصابة بداء السرقة القهرية وليس تيم ألرتون الذى ستصمم روزالى أوتربورن أنها لم تره ، واللآلئ غير موجودة فى حبات المسبحة الخشبية كما يزعم بوارو ، وهكذا تنهدم جميع الأدلة ضدك وتثبت لك البراءة من كل هذه الجرائم بما فى ذلك جريمة سرقة اللآلئ أيضا» .

قال تيم مندهشا : «هذه تقلبات كبيرة ياسيد بوارو» . فقال بوارو : «لقد آن للأمور المتقلبة أن تستقر . ليست اللآلئ الحقيقية موجودة فى حبات المسبحة الخشبية يا تيم . اللآلئ الحقيقية ستكون موجودة فى هذا الصندوق الصغير الذى تستطيع أن تأخذه معك لو أردت أنت والآنسة روزالى لكى تضعا اللآلئ الحقيقية بداخله فى الربع ساعة القادمة خارج هذا المكان ، ولا يكون هناك مجال لاتهام أحد بسرقة لآلئ القتيلة» .

ووثب تيم ألرتون من الفرح وصاح قائلا : «شكرا لك ياسيد بوارو . لقد منحتنى فرصة الحياة!» .

وبسرعة البرق جذب روزالى من ذراعها وحمل الصندوق وخرجا من أمام بوارو ، فلما أغلق الباب خلفهما قال تيم لروازلى : «هذا الرجل ، بوارو ، كريم ، وطيب وكبير القلب ورحيم حقا . وعندما أضع حبات اللؤلؤ فى هذا الصندوق الفارغ الذى أعرفه جيدا . إنه صندوق مجوهرات السيدة لينيت . ستكون جواهرها موجودة لم يسرقها أحد . وحيث إننى لم أقتلها سيتمكن بوارو من القبض على القاتل ولا تكون

جريمة القتل مصحوبة ومتداخلة مع جريمة سرقة . هيا يا روزالى لنعيد حبات اللؤلؤ إلى صندوق مجوهرات السيدة لينيت لنعود بالصندوق إلى السيد بوارو ، لتنحصر جهوده فى الكشف عن القاتل فقط» .

قالت روزالى : «لماذا فعلت ذلك؟» فقال تيم : «الفراغ والسأم» . فقالت : «هل تعدنى ألا تفعل ذلك فى المستقبل أبدا» . فقال لها «طبعا ، ولكن لماذا لم تخبرى السيد بوارو أنك كنت قد رأيتنى وأنا أخرج من قمرة السيدة لينيت؟» فقالت: «لأنهم ربما يظنون أنك القاتل» . فقال لها : «ألا تظنين أنت أننى القاتل؟» فقالت : «لا . لم أظن لحظة واحدة أنك تقتل أى إنسان» . فقال لها : «أنا لست قاتلا قاسيا . ولكننى كنت لصا جبانا» . فوضعت روزالى يدها على فمه وهى تقول: «لا تقل هذا الكلام» .

قال تيم ألرتون لروزالى أوتربورن : «أنت تعرفين من أنا . أنت وحدك تعرفين السر دون كل البنات . هل تقبلين ؟ أنت تعرفين ماذا أعنى ؟ أم أنك ستجعلين الاحتقار من نصيبى؟» .

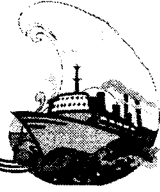
قالت روزالى أوتربورن مخاطبة تيم ألرتون : «ولماذا أحتقرك ؟ كل إنسان يحمل عيوبه فوق جبينه . من منا لا ذنب له ولا عيب فيه . ولكن هذه الفتاة التى اسمها چوانا ساوثوود، ما شأنها؟» .

فقال تيم ألرتون لروزالى أوتربورن : «لا تكونى مثل أمى فى موضوع چوانا بنت خالتى. إنها تظن أن بيننا علاقة حب . وأنا أؤكد أننى لا أحبها من الذى يعرف الحقيقة فى هذا الصدد : أمى أم أنا . كل الموجود بينى وبينها هو صلة عمل فاسد انقطعت صلتى به تماما منذ الآن» .

فقالت روزالى أوتربورن مخاطبة تيم ألرتون : «أنا أقترح ألا تدع أمك تعرف شيئا مما جرى» .

وقال تيم ألرتون لروزالى أوتربورن : «لست أدرى . أشعر بميل قوى أن أقول لها كل شىء . إنها قوية تستطيع أن تتحمل أى صدمات فى الحياة . وهى ستطمئن عندما تعرف أننى قطعت كل صلة لى مع چوانا ولن أعمل معها بعد اليوم . وهى سيسرها أنك ستكونين معى» .

وبعد ربع ساعة كانت السيدة ألرتون قد عرفت بخطوبة ابنها تيم ألرتون إلى روزالى أوتربورن التى تحبها كثيرا ، ففرحت لأن ابنها تيم ألرتون سيتخلص من علاقته ومن العمل مع ابنة أختها چوانا التى لم تكن تحبها .



الفصل السابع والعشرون

عندما أغلق الباب وراء تيم ألرتون وروزالى أوتربورن نظر بوارو نظرة مفعمة بالاعتذار إلى الكولونيل ريسى الذى كان يبدو متجهما . فقال له بوارو : «أنا أعرف يا ريسى أنك معترض على تعاملى مع الحادثة الصغيرة ؟ نعم . إنه تصرف مخالف للمعايير المتبعة ، ولكننى أقدر سعادة الناس تقديرا كبيرا» .

فقال له ريسى : «دعك من الحادثة الصغيرة . أنا أعتقد أنك تعرف القاتل . ولكنك تمتحن صبرى امتحانا عسيرا . أليس كذلك ؟» فقال بوارو : «أنا أعرفه ... ولكننى أريد أن أستوثق من كل شىء وأجمع كل الأدلة الحاسمة التى لا ريب فيها» .

فقال ريسى : «هيا نستعرض النتائج التى وصلنا إليها : بننجتون ليس هو القاتل ، تيم ألرتون ليس هو القاتل . فليتوود ليس هو القاتل . من هو إذن القاتل إذا كان هؤلاء الثلاثة ليس من بينهم القاتل ؟» .

وعندما كان بوارو يهم بالكلام ، وعندئذ سمعا طرقا بطريقة عصبية على الباب ، وانفتح الباب ودخل الدكتور بسنر ومعه كورنيليا التى قالت وهى حزينة : لقد عرفت الآن فقط بمأساة خالتى وأنها مصابة بما يسمونه مرض السرقة القهرية . عرفت ذلك من الآنسة بويرز الممرضة التى قالت لى إنها تريد أن تشركنى معها فى تحمل مسئوليات مراقبة خالتى . ولم أصدقها فى أول الأمر ، ولكن الدكتور بسنر شرح لى الموضوع من وجهة النظر الطبية باعتبار أنه مرض عصبى عادى مثل كل الأمراض العصبية ويمكن علاجه . ولكننى أخشى أن تتناول التحقيقات التى تقومون بها هذه المسألة بالذكر ، وتتم معرفة الصحافة بها ، فتكون هذه كارثة عائلية ، ولا نستطيع أن نرفع رؤوسنا بين الناس لو حدث ذلك» .

قال لها ريسى : «لقد قررنا أن نتكتم تماما على موضوع السرقة ، ولن يذاع على الناس إلا ما يتعلق بجرائم القتل» .

وقال الدكتور بسنر : «إن للأنسة كورنيليا قلبا رقيقا جدا . لها قلب فيه الكثير من الحنان» . فقالت كورنيليا : «هذا من فضلك وحسن رأيك» .

ونظر بوارو إلى كورنيليا نظرة تكاد تقول ما هذا ياكورنيليا ثم وجه كلامه إليها قائلا : «ألم تشاهدى فيرجسون فى الساعات القليلة الماضية؟» فقالت كورنيليا : «لا. لم أره ، ولكن خالتى الآنسة فان شويلر حدثتنى عنه كثيرا طوال الساعات الماضية وهى تقول إنه عريق المنبت وإنه وإنه ...» .

وسألها بوارو : «وما هو رأيك أنت؟» فقالت كورنيليا : «رأيى أنه رجل مخبول» .

واتجه بوارو إلى الدكتور بسنر وسأله عن حال مريضه سيمون دويل فقال له : «إن حرارته قد ارتفعت ولكن بنيته القوية ستساعده على المقاومة وإن كانت جاكلين دى بلفورت شديدة التعلق به وتبدى اللهفة على شفائه بطريقة فجة فيها كثير من التكلف والمبالغة إلى حد عدم اللياقة أيضا . إن شأنها لعجيب ! أطلقت الرصاص على الرجل فى لحظة وتبالغ فى إظهار الحب له إلى حد التدليل فى لحظة أخرى» .

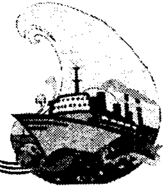
وقال بوارو : «مادامت حالته مطمئنة ، فليس هنالك ما يمنع من أن نتوجه إليه لاستكمال الأسئلة . أنت تعرف أن السيدة أوتربون كانت قد فاجأتنا قبل أن نستمكمل منه إجابة بعض الأسئلة ، ولقد كان بصدد إطلاعنا على مضمون برقية مهمة» .

فقال الدكتور بسنر : «بكل سرور . لا مانع عندى من الناحية الطبية . إنها فعلا برقية مضحكة كانت معنونة باسم الدكتور ريشتى ، وقرأت مضمونها المضحك السيدة لينيت دويل ، وعلى الرغم من أنها لم تفهم من مضمونها شيئا إلا أن السنيور ريشتى غضب كثيرا عندما وجد أنها قد اطلعت عليها مع أن سيمون دويل أخبرنى أن مضمون هذه البرقية لا تتضمن سوى كلمات هذيان مضحك مثل : بطاطس وخرشوف وبنجر» . فقال الكولونيل ريسى : «ياللخبر . إن السينور ريشتى هو الرجل

الذى أبحث عنه . لابد أنه ذلك المتآمر الدولى الخطير . البطاطس هى الديناميت – الخرشوف هو الرصاص – البنجر هو المسدسات، هذه شفرة دولية . ريشتى هو المتآمر الدولى الذى يهمنى أمره .

ربما يكون قد صمم على قتل لينيت لأنها فضت البرقية بطريق الخطأ غير المقصود . ولكنهم مجرمون لا يأبهون لارتكاب أية جرائم ، ما هو قولك فى هذا الاحتمال يابوارو ؟ أليس ريشتى هو رجلنا؟» فقال له بوارو : «ربما يكون هو رجلك أنت ... لقد كنت دائما أرتاب فى هذا الرجل ، لم يكن يتحدث إلا عن الحفريات حديثا سطحيا مما يوحى بأنه كان يمثل دور عالم آثار وليس هذا هو شأن العلماء الحقيقيين الذين يتصفون بالتواضع وعدم التظاهر بغزارة العلم . ولكن ليس ريشتى هو الذى قتل لينيت دويل . أنا أعرف القاتل ، ولا أمل فى إثبات التهمة عليه على نحو قاطع إلا بالحصول على اعتراف منه» . فقال الدكتور بسنر : «لكن الاعتراف يكاد يكون انتزاعه مستحيلا من شخص مثل القاتل» . فقال بوارو : «لاشىء يستحيل على هركيول بوارو» . فقال الدكتور بسنر : «فمن هو القاتل ياسيد بوارو؟» .

قال بوارو : «أنا أيها السادة ممثل كبير لا يقدم روائعه إلا أمام جمهور ، والحقيقة يا جمهورى العزيز الضئيل العدد أننى كنت غبيا كل الغباء . لقد سمحت لمسدس صغير ، مقبضه مرصع باللآلئ ومكتوب عليه حرفان فقط أن يضللنى وأن يحيرنى ، ولقد حيرنى أكثر ما حيرنى لغز إلقاء المسدس الصغير فى النيل وعدم ترك القاتل له فى مكان الجريمة ليلقى الشبهات فى اتجاه بعيد عنه مادامت خطته مبنية على إلقاء الشبهة على جاكلين دى بلفورت . صاحبة ذلك المسدس الذى تم استخراجه من النيل، لقد افترضت شتى الحلول لهذه المشكلة ما عدا الحل البسيط الذى كان فى غاية البساطة والوضوح والقوة ، ذلك أن القاتل لم يترك المسدس بجوار جثة لينيت لأنه كان لا يزال بحاجة إليه . هذه هى الحقيقة التى ستظهر فيما بعد عندما يزداد عدد الجمهور .



الفصل الثامن والعشرون

ثم قال بوارو : «أنت وأنا ياصديقى «ريسى» بدأنا أبحاثنا انطلاقا من فكرة افترضنا صحتها مقدما قبل تمحيصها ، وهى فكرة أن الجريمة كانت قد تم ارتكابها عفويا بدون أى ترتيب أو تخطيط مسبق . كان شخص ما يرغب فى أن يزيح «لينيت دويل» من الطريق وقد اغتنم الفرصة ليفعل ذلك فى نفس اللحظة عندما كانت الجريمة ستبدو لاصقة بالتأكيد ضد «چاكلين دى بلفورت» . ونتج عن ذلك أن هذا الشخص كان قد شاهد وسمع تفاصيل المشهد الذى دار بين كل من چاكلين وسيمون دويل، وهو أيضا كان قد حصل على المسدس بعد أن كان الآخرون قد غادروا الصالون» .

واستطرد بوارو يقول : «ولكن ، يا أصدقائى ، لو كانت هذه الفكرة التى كنا قد افترضنا صحتها مقدما فكرة خاطئة لوَجَبَ أن تتغير تفاصيل القضية كلها . ولقد كانت الفكرة خاطئة بالفعل ! لم تكن تلك الجريمة قد تم ارتكابها بطريقة عفوية . لقد كانت ، على النقيض من ذلك جريمة مخططة مسبقة الإعداد بكل دقة وعناية ، وتم تنفيذها فى توقيت تم اختياره بكل دقة وبكل عناية أيضا ونتيجة لدراسة مسبقة وتخطيط محكم قبل حدوث الجريمة بما فى ذلك دس المخدر فى زجاجة النبيذ الخاصة بالسيد هركيول بوارو فى نفس الليلة التى تم فيها ارتكاب الجريمة!» .

ثم استطرد بوارو يقول : «ولكن ، نعم ، إن ذلك كذلك ! لقد جعلونى أنام بتأثير المخدر لكى لا تتاح لى إمكانية المشاركة فى أحداث تلك الليلة . لقد خطر لى هذا الاحتمال كمجرد فكرة محتملة الحدوث ، أنا أشرب النبيذ ، وزميلاى اللذان يجلسان معى إلى نفس المائدة يشربان الويسكى والمياه المعدنية فقط . ولا شىء أكثر سهولة من دس مادة مخدرة غير ضارة فى زجاجة النبيذ الخاصة بى - والزجاجة موجودة على المنضدة طوال النهار . ولكننى طردت هذه الفكرة من ذهنى - لقد كان ذلك النهار شديد الحرارة - وكنت متعبا مجهدا مكدود القوى طوال النهار . ولم يكن شيئا خارقا للعادة أننى قد استغرقت فى النوم بعمق بدلا من النوم الخفيف الذى كنت قد اعتدت عليه طيلة حياتى .

«وأنتم تدركون أننى كنت لا زلت أعتقد اعتقادا مسبقا فى صحة فكرة معينة .

ولو أننى كنت قد تناولت مخدرا فى النبيذ عن عمد وتخطيط ، فلقد كان هذا يعنى أنه قبل الساعة ٧,٣٠ عندما تم تقديم وجبة العشاء ، فلقد كانت الجريمة لا تزال فى طور الإعداد فى نية مرتكبها . وكان ذلك غير معقول لأنه غير متسق مع فكرة الإعداد المسبق للجريمة .

«وكانت الضربة الأولى لفكرة الجريمة المسبقة الإعداد تتمثل فى العثور على المسدس فى مياه النيل . وأول ما يلزم أن نضعه فى اعتبارنا لو كانت افتراضاتنا صحيحة هو أن المسدس لم يكن يجب أن يلقى من فوق الباخرة على الإطلاق ... وكان هنالك ما هو أكثر من ذلك لكى نضعه فى اعتبارنا» .

ونظر بوارو نحو الدكتور «بسنر» ثم قال : «وأنت يادكتور «بسنر» قد قمت بفحص جثة «لينيت دويل» . وأنت ستتذكر أن الجرح كانت تحيط به آثار احتراق فى الجلد . وهذا يعنى أن المسدس كان قد تم وضعه بحيث كان المسدس ملاصقا لرأسها قبل إطلاق الرصاص» .

وأومأ الدكتور بسنر برأسه موافقا على ذلك ، فقال بوارو : «هذا صحيح إذن» . ثم استطرد بوارو قائلا : «ولكن عندما تم العثور على المسدس وجدنا أنه كان ملفوفا فى شال من الحرير كانت به علامة تؤكد أن المسدس قد تم إطلاق الرصاص منه والشال الحريرى موضوع على فوهة المسدس بالتأكيد للاعتقاد بأن الشال الحريرى سيحول دون سماع صوت إطلاق النار من المسدس . ولكن لو كان المسدس قد تم إطلاق الرصاص منه من خلال الشال الحريرى لما كان هناك أثر لأية حروق على جلد الضحية . وبناء على ذلك يستحيل أن تكون الرصاصة التى أطلقت عبر المقعد هى الرصاصة التى قتلت لينيت دويل . هل كان من الممكن أن تكون الرصاصة القاتلة هى الرصاصة الأخرى التى أطلقتها چاكلين دى بلفورت نحو سيمون دويل ؟ مرة أخرى ، نقول لا ، لأنه كان يوجد شاهدان على هذه الواقعة ونحن نعرف كل ما تمخض عنها . وكان يبدو بناء على ذلك أن ثمة رصاصة ثالثة قد تم إطلاقها ، وهى رصاصة لا نعرف عنها أى شىء . ولكن تم إطلاق رصاصتين فقط من المسدس ، ولا توجد أية أدلة ولا يوجد أى احتمال لانطلاق رصاصة ثالثة .

«وهنا نكون قد وجدنا أنفسنا فى مواجهة ظرف غريب جدا يستعصى على أى تفسير . والنقطة الأخرى المثيرة للاهتمام هى أننى قد وجدت فى كابينة لينيت دويل زجاجتين تحتويان على طلاء ملون للأظافر . ويغير السيدات الآن من لون طلاء أظافرهن ، ولكن أظافر لينيت دويل كان لها دائما طلاء من نوع واحد وهو من

ماركة «كاردينال» وهو طلاء أحمر داكن اللون . وكان على الزجاجة الأخرى بطاقة مكتوب عليها كلمة «وردى» ، وهو ظلال اللون الأحمر الفاتح . ولكن القطرات القليلة المتبقية بالزجاجة لم تكن ذات لون أحمر فاتح ، ولكنها كانت ذات لون أحمر قانٍ . وكان من المثير للانتباه أن أى شخص يفتح غطاء القارورة يتعرض لنوبة العطاس. وبدلا من أن نشم الرائحة التى تشبه رائحة الكمثرى نشم رائحة الخل! وهذا يعنى أن القطرات القليلة المتبقية فى الزجاجة كانت مجرد حبر أحمر اللون . والآن لا يوجد سبب يمنع أن يكون فى حوزة السيدة دويل زجاجة حبر أحمر اللون ، ولكن كان الأمر الطبيعى هو أن يكون الحبر الأحمر اللون موجودا فى زجاجة من الزجاجات الخاصة بتعبئة الحبر الأحمر وليس فى زجاجة طلاء الأظافر . ولقد أوحى ذلك بوجود رابطة بين المنديل الذى توجد به لطخة باهتة اللون كانت تحيط بالمسدس. والحبر الأحمر ينحل بسرعة فى الماء ولكنه يترك دائما لطخة من اللون الأحمر الفاتح .

«وربما كنت قد استطعت الوصول إلى الحقيقة من خلال هذه المعلومات الضئيلة، ولكن وقعت حادثة بالصدفة وبددت كل الشكوك . إن «لويز بورجيه » كانت قد قتلت فى ظروف كانت تشير دون شك إلى أنها كانت تبتز أموال القتيلة . ولم تكن قطعة من ورقة مالية ذات مائة فرنك كانت لا تزال فى يدها ، ولكننى أيضا تذكرت بعض الكلمات التى كانت قد تفوهت بها فى ذلك الصباح .

«أرجوكم أن تصغوا جيدا لأن هذا هو لب المسأله كلها . عندما سألتها ما إذا كانت قد رأت أى شىء فى الليلة السابقة ، أجابتنى إجابة غريبة إذ قالت : «بالطبع، لو كنت لم أستطع النوم ، ولو كنت قد صعدت درجات السلم ، عندئذ ، ربما كنت قد استطعت أن أشاهد هذا القاتل ، هذا الوحش ، وهو يدخل أو وهو يغادر كابينة السيدة...» والآن ، ماذا يمكن لنا أن نستخلصه من ذلك؟» .

وقال بسنر : «هذا يدل على أنها قد صعدت السلم» . فقال بوارو : «لا ، لا – لقد أخفقت فى أن تدرك الحقيقة . لماذا قالت ذلك لنا؟» فقال بسنر : «لكى توحى لنا بشىء ما» . فقال بوارو : «ولكن ، لماذا تلجأ إلى التلميح دون التصريح؟ لو أنها كانت تعرف من هو القاتل ، لكان أمامها طريقان يمكن لها السير فى أحدهما – كانت تستطيع أن تخبرنا بالحقيقة ، أو كانت تستطيع أن تمسك عن إطلاعنا على الحقيقة لتطلب نقودا ثمنا لسكوتها من الشخص الذى يستفيد من سكوتها عن قول الحقيقة! ولكنها لم تسلك أى طريق من الطريقين . إنها لم تقل بطريقة قطعية : «لم

أشاهد أحدا . لقد كنت نائمة» . وهى أيضا لم تقل : «نعم ، لقد رأيت شخصا ما وكانت أوصافه هى كذا وكذا» . لماذا تستخدم هذه الكلمات غير المحددة المعنى ؟ حسنا ، يمكن أن يكون لذلك سبب واحد! إنها تعطى تلمحيات للقاتل . وبناء على ذلك من الضرورى أن القاتل كان موجودا معنا عندما أجابت سؤالنا بهذه الكلمات غير المحددة المعنى . ولكن لم يكن معى أى أشخاص سوى الكولونيل ريس وسيمون دويل والدكتور بسنر» .

ونهض الدكتور بسنر واقفا على قدميه وهو يزأر قائلا : «أهاه ، ما هذا الذى تقوله؟ هل أنت تتهمنى ؟ مرة أخرى ؟ ولكن هذه سخافة لا تحتمل» . وقال بوارو بلهجة حادة : «اهدأ . أنا أخبرك بما جال بخاطرى آنذاك . ويجب ألا ننظر إلى أشخاصنا فى هذه المسألة» .

وقالت كورنيليا فى محاولة من جانبها لتهدئة الموقف : «إنه لا يقصد أنك متهم الآن» .

واستمر بوارو يقول : «وهكذا كانت الشبهة تنحصر فيما بين سيمون دويل والدكتور بسنر .. ولكن ما هو الدافع الذى يجعل الدكتور بسنر يقتل لينيت دويل؟ لا يوجد أى دافع لدى الدكتور بسنر لكى يقتل لينيت دويل فى حدود ما أعلم . وماذا بعد هذا ؟ لقد كان ذلك مستحيلا ! لقد كان يوجد عدد كبير من الشهود الذين لا يتردد أى واحد منهم أن يقسم أن دويل لم يغادر الصالون فى ذلك المساء حتى بدأت المشاجرة ، وبعد ذلك أصيب بجرح ، وبعد ذلك كان من المستحيل عليه من الناحية الجسمانية البحتة أن يرتكب الجريمة ، هل توجد أدلة قوية على هاتين الحقيقتين ؟ نعم . عندى شهادة الآنسة روبسون، وشهادة جيم فانثورب وشهادة جاكلين دى بلفورت بالنسبة للحقيقة الأولى . وعندى أيضا شهادة الدكتور بسنر وشهادة الآنسة باورز بالنسبة إلى الحقيقة الثانية . ولا يوجد أى شك فى شهادة هؤلاء الشهود .

ولذلك ، يلزم أن يكون الدكتور بسنر هو الجانى الذى ارتكب الجريمة . ويساند هذه النظرية أن الوصيفة كانت قد طعنت بالمشرط الطبى . ومن جهة أخرى كان الدكتور بسنر هو الذى نبّه إلى هذه الحقيقة .

«وبعد ذلك يا أصدقائى برزت أمامى حقيقة أخرى لا يمكن دحضها . إن تلميحاتها «لويز بورجيه» لم تكن موجهة إلى الدكتور بسنر لأنها كانت تستطيع أن

تتكلم معه بمفرده فى أى وقت كانت تشاء أن تتحدث معه . لقد كان هنالك شخص واحد ، وشخص واحد فقط هو الذى كان يمكن أن يتجاوب من تلميحاتها- إنه سيمون دويل ! لقد كان سيمون دويل جريحا ، وكان دائما تحت الملاحظة الطبية وتحت إشراف طبيب داخل الكابينة المخصصة للطبيب . وكانت تلميحاتها إذن موجهة إليه تمهيدا لمقابلته فى فرصة أخرى . وأنا أتذكر الآن أنها كانت قد اتجهت إليه وهى تقول : «ياسيدى ، أنا أتوسل إليك - أنت تدرك كيف يكون ذلك كذلك. ماذا يمكن لى أن أقول؟» وأنا أتذكر أيضا قوله لها : «ياعزيزتى ، لا تكونى حمقاء . لا أحد يعتقد أنك قد شاهدت أحداً ولا أحد يعتقد أنك قد سمعت أى شىء . سيكون كل شىء على ما يرام بالنسبة إليك . سأقوم أنا برعاية شأنك . لا أحد يتهمك بأى شىء» . وكان ذلك هو التأكيد الذى كانت هى تنشده . ولقد حصلت بالفعل عليه!» .

وعاد الدكتور بسنر إلى الأنين والزئير وهو يقول : «آهاه ، هذه حماقة أيضا . هل تظن أن رجلا لديه إحدى العظام مكسورة ، وتوجد جبيرة حول ساقه يستطيع أن يمشى متجولا فى السفينة ويطعن الناس ! أنا أقول لك إنه كان من المستحيل بالنسبة إلى سيمون دويل أن يغادر كابينته» .

وقال بوارو بكل ما لديه من رقة ولطف : «أنا أعرف . هذا صحيح تماما . كان ذلك مستحيلا بالنسبة إليه . ولكن كان ذلك صحيحا فى نفس الوقت ! لقد كان من الممكن أن يكون هناك معنى واحد منطقى ومعقول وراء كلمات «لويز بورجيه . ولذلك عدت إلى بدء البداية وراجعت الجريمة فى ضوء هذه المعلومة الجديدة . هل كان من الممكن أن يكون سيمون دويل فى تلك الفترة التى سبقت المشاجرة قد غادر الصالون ونسى الآخرون ذلك أو لم يلاحظوه أصلا ؟ لم أستطع أن أرى ذلك ممكنا . هل يمكن التغاضى عن الشهادة الموثوق بها للدكتور بسنر والآنسة باورز ؟ مرة أخرى أقول إن ذلك أيضا غير ممكن ولكننى تذكرت وجود فجوة بين الشأنين . لقد كان سيمون دويل موجودا بمفرده فى الصالون لمدة لا تقل عن خمس دقائق ، والشهادة الموثوق بها للدكتور بسنر ينسحب فقط بعد فترة هذه الدقائق الخمس . وبالنسبة إلى تلك الفترة لا نجد لدينا إلا شهادة الرؤية البصرية . ومع أن ذلك كان صحيحا من الناحية الشكلية ، فلم يكن ذلك شيئا مؤكدا . إن ما قد شوهد فعلا لسنا ندرى ما إذا كان يثير الأسئلة .

«لقد شاهدت الآنسة روبسون الآنسة دى بلفورت وهى تطلق المسدس ، وشاهدت

سيمون دويل يتهاوى ويسقط فوق أحد المقاعد ، وشاهدته وهو يضع منديلا فوق أحد ساقيه ، وشاهدت المنديل وهو يمتلئ بالدم الأحمر . وماذا كان السيد «فانثورب قد سمع أو شاهد ؟ لقد كان قد سمع صوت إطلاق الرصاص ، وهو قد وجد دويل والمنديل ملطخ بالدم فوق ساقه . ماذا حدث بعد ذلك ؟ لقد أصر دويل إصرارا شديدا على أنه يلزم أن يأخذوا الآنسة دى بلفورت بعيدا عن المكان ، وأوصاهم ألا يتركوها بمفردها بأى حال من الأحوال . وبعد ذلك اقترح أن يستدعى فانثورب الطبيب .

«وبناء على ذلك خرج السيد فانثورب والآنسة دى بلفورت ، وطوال الدقائق الخمس التالية انشغلوا فى الجانب الآخر من الباخرة حيث توجد كبائن كل من الآنسة باورز والدكتور بسنر والآنسة دى بلفورت . ودقيقتان فقط هما كل ما يلزمان سيمون دويل . التقط المسدس من تحت الأريكة ، وخلع نعليه ، وجرى مثل الأرنب فى صمت دون أن يحدث أى صوت ودخل كابينة زوجته ، وزحف نحوها وهى مستغرقة فى نومها ، وأطلق الرصاص على رأسها ، ووضع الزجاجة التى كانت تحتوى على الحبر الأحمر فى المكان المخصص لأدوات الزينة . ومن الضرورى أنها موجودة فى ذلك المكان حتى الآن ثم جرى عائدا إلى مكانه ، وأمسك بالشال الحريرى الخاص بالآنسة ڤان شويلر الذى كان يحتفظ به بجوار الأريكة ، ودس فى ثناياه المسدس ، وأطلق رصاصة على ساقه . وكان الكرسى الذى سقط فوقه وهو يتألم ألما حقيقيا هذه المرة كان بالقرب من النافذة . وقام برفع النافذة ورمى بالمسدس الملفوف فى ثنايا الشال الأحمر فى النيل» .

وقال ريسى : «مستحيل!» وقال بوارو : «لا ياصديقى . ليس هذا مستحيلا . تذكر شهادة تيم ألرتون . لقد سمع صوت فرقعة تبعها صوت سقوط جسم فى الماء . وسمع شيئا آخر ، سمع صوت وقع أقدام لرجل يجرى على ظهر الباخرة . وصوت وقع الأقدام كان صوت وقع أقدام سيمون دويل وهو يجرى مغادرا كابينته» .

وقال ريسى : «لا زلت أقول إن هذا الذى تقوله مستحيل . لا يوجد رجل يستطيع أن يعمل كل هذا فى لمح البصر عفو الخاطر على هذا النحو ، وخصوصا لو كان ذلك الرجل هو سيمون دويل البطىء التفكير فى كل ما يتعلق بالأمور العقلية» . فقال بوارو : «ولكنه سريع فيما يتعلق بالسلوك الجسمى والتصرفات الجسدية!» . فقال ريسى : «فى ذلك نعم ، ولكنه لا يستطيع أن يفكر فى المسألة كلها لينفذها على هذا النحو البالغ الدقة والتعقيد» . فقال بوارو : «ولكنه لم يفكر فى كل ذلك بمفرده يا صديقى . إن هذا هو ما أخطأنا فيه جميعا . كانت الجريمة تبدو كما لو

كانت وليدة اللحظة دون إعداد وتخطيط مسبق . وكما أقول لكم الآن ، لقد كانت الجريمة مخططة بمهارة وكانت عملا فذا من أعمال العقل . لم تكن مصادفة أن توجد زجاجة حبر أحمر فى جيب سيمون دويل . لا ، يلزم أنها جزء من ترتيب دقيق محكم . ولم تكن صدفة أن يكون معه منديل كبير الحجم . ولم تكن صدفة أن تركل چاكلين دى بلفورت المسدس تحت الأريكة حيث يكون بعيدا عن الأنظار، ولا يتذكره أحد بعد ذلك» . فقال ريس : «جاكلين؟» وقال بوارو : «بالتأكيد چاكلين. إنهما شريكان فى جريمة قتل واحدة . ما الذى يثبت وجود سيمون فى مكان آخر غير مكان حدوث الجريمة فى وقت وقوع الجريمة؟ الرصاصة التى أطلقتها عليه چاكلين تثبت ذلك . وما الذى يثبت وجود چاكلين فى مكان آخر غير مكان حدوث الجريمة فى وقت وقوع الجريمة ؟ إنه إصرار سيمون على ألا تترك بمفردها وهو الذى أفضى إلى بقاء ممرضة معها طوال تلك الليلة . وهنا على وجه التحديد ، فيما بين هذا الشخصين – سيمون وچاكلين – ستجد كل الخصائص التى تبحث عنها : المخ الهادئ التفكير القادر على التخطيط هو مخ چاكلين دى بلفورت. والرجل القادر على إنجاز التصرفات بسرعة فائقة فى وقت وجيز هو سيمون.

«انظر فى الاتجاه الصحيح لتجد إجابة كل الأسئلة ، لقد كان كل من سيمون دويل وچاكلين متحابين تجمع بينهما علاقة غرامية قوية . وتأكد من أنهما لا يزال متحابين حتى الآن وهذا كله واضح . يقتل سيمون زوجته ويرث كل ثروتها ، وبمرور الوقت يتزوج محبوبته السابقة كان ذلك كله معد بكل دهاء وعبقرية . اضطهاد السيدة دويل من خلال ملاحقة چاكلين لها باستمرار فى كل مكان تذهب إليه كان جزءا من الخطة . وتظاهر سيمون بالغضب من ذلك . وبالرغم من ذلك كانت هنالك فجوات . ولقد حدثنى مرة عن النساء اللاتى يستحوذن على الرجال بمرارة . وكان من اللازم أن أدرك أنه كان يتحدث عن تجربته الشخصية مع زوجته ، ولم يكن يتحدث عن چاكلين . ثم طريقته فى السلوك مع زوجته أمام الناس . رجل إنجليزى مثل سيمون دويل من المفروض أن يخجل من إظهار مشاعره الغرامية تجاه زوجته أمام الناس . ولم يكن سيمون يجيد فن التمثيل ، وكان أداؤه لدوره غير متقن . وتلك المحادثة التى دارت بينى وبين الآنسة چاكلين أيضا ، عندما تظاهرت أن شخصا ما قد استرق السمع . ولم أشاهد أحدا . ولكن ، كان ذلك مجرد تمويه لما سيقع من أحداث فيما بعد للإيهام بوجود شخص ما غير معروف لنا، له مخططات لا نعرف عنها أى شيء . وبعدئذ فى إحدى الليالى سمعت كلاما يدور

بين سيمون وبين لينيت خارج الكابينة الخاصة بى وكان هو يقول : «لقد دخلنا فى الموضوع الآن. وكان الشخص الذى يقول ذلك هو دويل حقا ، ولكنه لم يكن يتكلم إلى زوجته لينيت بل يتحدث إلى چاكلين .

«وكانت المأساة الحقيقية عندئذ قد اكتمل تخطيطها وتم وضع التوقيت المناسب لوقائعها وأحداثها . كان هنالك المخدر المنوم لى حتى لا أضع أصبعى فى الفطيرة وكان هنالك اختيار السيدة روبسون كشاهدة – وكان هنالك المنظر الفعال ، منظر بلفورت المبالغ فيه من حيث إنها تتعرض لنوبات من الهيستريا . وهى قد أحدثت كثيرا من الضوضاء والجلبة حتى لا يسمع أحد صوت إطلاق الرصاص والحقيقة أنها كانت فكرة ماهرة على نحو خارق للعادة . إن چاكلين تصيح وتبكى وتقول إنها قد أطلقت الرصاص على سيمون دويل ، والآنسة روبسون تقول ذلك أيضا . وفانثورب يقول ذلك . وعندما يتم فحص ساق سيمون دويل يتضح أنها قد أصيبت برصاصة فعلا . هذه طلاسم وتعقيدات مستعصية على أى حل! وبالنسبة إلى كل منهما يوجد ما يؤكد عدم وجود أى منهما فى مكان الجريمة وقت وقوع الجريمة– وذلك على حساب بعض الآلام التى يعانيها بطبيعة الحال سيمون دويل عندما يطلق الرصاص حقا على ساقه ، ولكن من الضرورى أن يكون الجرح الناجم عن الإصابة بحيث يقعده عن أى حركة بعد الإصابة بالرصاصة التى أطلقت على ساقه .

«وبعد ذلك تعثرت الخطة وصادفتها أول العراقيل أن لويز بورچيه كانت مستيقظة. وكانت قد صعدت السلم ، وكانت قد شاهدت سيمون دويل وهو يجرى ليدخل كابينة زوجته ثم يجرى عائدا منها ، ومن السهل أن نخمن ما حدث فى اليوم التالى. إن ذلك قد جعلها تطلب مبلغا كبيرا من المال وهى بذلك قد كتبت بيدها شهادة موتها» .

واعترضت كورنيليا قائلة : «ولكن السيد دويل يستحيل أن يكون هو الذى قتلها . أليس كذلك؟» . فقال بوارو : «لا ، شريكته هى التى قامت بهذه الجريمة . لقد طلب سيمون دويل أن يشاهد چاكلين فى أقرب وقت ممكن . ولقد وصل به الأمر إلى حد أن طلب منى أن أتركهما منفردين معا . وهو يخبرها عندئذ بالخطر الجديد . وهما يجب أن يتصرفا فورا. وهو يعرف أين توجد أدوات الجراحة الخاصة بالدكتور

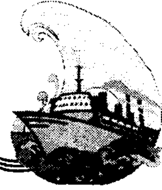
بسنر . وبعد اقتراف الجريمة يتم غسل وتنظيف المشرط الطبى وإعادته إلى مكانه ، وتسرع الآنسة چاكلين دى بلفورت إلى مائدة العشاء .

«وحتى ذلك الحين لم يكن كل شيء على مايرام لأن السيدة أوتربورن كانت قد شاهدت چاكلين وهى تدخل إلى كابينة لويز بورچيه . وتهرع چاكلين لكى تخبر سيمون بذلك . إن چاكلين هى القاتلة . هل تتذكر كيف صاح سيمون فى وجه السيدة المسكينة؟ ولقد ظننا أنه مجرد انهيار عصبى . ولكنه كان يحاول أن يبث الرعب فى قلب شريكته فى الجرائم . وسمعت الرسالة وتصرفت ، تصرفت بسرعة البرق . وتذكرت أن بننجتون كان قد تحدث عن مسدس . وأمسكت بالمسدس ، وخرجت من الباب ، وأرهفت السمع ، وفى اللحظة الحاسمة أطلقت رصاصة . ولقد كانت قد فاخرت ذات مرة أنها قناصة من الطراز الأول ، وكان يحق لها أن تفاخر بذلك . ولاحظت بعد الجريمة الثالثة أن القاتل قد استخدم ثلاثة طرق ، وكابينة چاكلين كانت بعد كابينة الدكتور بسنر . وكانت تحتاج فقط إلى أن ترمى بالمسدس ، وتدخل إلى الكابينة الخاصة بها ، وتمشط شعرها ، وتلقى بنفسها على سريرها ، كانت تلك مخاطرة ، ولكنها كانت هى الطريقة الوحيدة» .

وساد الصمت ، ولكن ريسى قال : «ماذا حدث بالنسبة إلى دويل من جراء الرصاصة الأولى التى أطلقتها عليه الفتاة ؟» فقال بوارو : «أنا أعتقد أنها قد دخلت فى المنضدة . ويوجد بالمنضدة ثقب حديث . وأنا أعتقد أن دويل كان لديه الوقت لكى يستخرجها مستخدما مدية رفيعة النصل ولكى يقذف بها خارج الباخرة من خلال النافذة . ولقد كانت لديه فرصة أن يجعل المنظر يبدو كما لو كانت رصاصتان فقط قد تم إطلاقهما» .

وتنهدت كورنيليا ثم قالت : «لقد قاما بالتفكير فى كل شيء ، هذا – هذا فظيع!» .

وكان بوارو صامتا ، ولكنه صمت لم يخل من غرور ، وبدت هيئته كما لو كانت عيناه تقولان : «لقد كانا مخطئين . إنهما لم يعيرا هركيول بوارو أى اهتمام كاف» . ثم قال بوارو بصوت عال : «والآن يادكتور ، هيا نذهب لتكون لنا كلمة مع المريض الذى يحظى برعايتك الطبية له ..»



الفصل التاسع والعشرون

كان الوقت متأخرا في ذلك المساء عندما طرق هركيول بوارو الباب الخاص بواحدة من الكبائن . وسمع صوت يقول : «ادخل» . ودخل بوارو .

وكانت چاكلين دى بلفورت جالسة على كرسى ، وكان يجلس على كرسى آخر بالقرب منها الحارسة الضخمة الجسم . وتأملت چاكلين فى ملامح بوارو بكل إمعان، وأشارت نحو الحارسة وقالت : «هل يمكن أن تنصرف؟» . وأومأ بوارو برأسه موافقا وخرجت المرأة . وجذب بوارو الكرسى الذى كانت تجلس عليه المرأة بالقرب من چاكلين وجلس على الكرسى . ولم يتكلم أى منهما . وكان وجه بوارو تبدو عليه التعاسة والكآبة . وفى النهاية ، كانت الفتاة هى التى تكلمت قائلة : «حسنا ، انتهى كل شىء! لقد كنت أنت ماهرا جدا وأكثر مهارة منا ياسيد بوارو» . وشهق بوارو ، ومد يديه إلى الأمام . وبدا كما لو كان أخرس اللسان لا يستطيع أن يتكلم . فقالت چاكلين : «على كل حال ، أنا أعتقد أنه لا يوجد لديك دليل يؤبه له . لقد كنت أنت على صواب تماما بطبيعة الحال ، ولكن لو كنا قد خدعناك ...» فقال بوارو : «لم تكن الأمور لتأخذ مسارا آخر وكانت نفس الأحداث ستحدث يا آنسة» . فقالت چاكلين : «لديك دليل كاف بالنسبة للعقل الذى يعمل بطريقة منطقية ، ولكننى أعتقد أنه لن يكون كافيا بالنسبة إلى المحلفين. أوه ، حسنا ، لا مفر من ذلك. لقد أنحيت بكل شىء على سيمون . وهو قد انهار ، وفقدت رأسه كل اتزان، إنه حمل وديع ،اعترف بكل شىء» . فقال بوارو : «ولكنك أنت يا آنسة تعرفين جيدا كيف تخسرين أقل الخسائر» . فضحكت فجأة ضحكة صغيرة غريبة متحدية ثم قالت: «أوه ، نعم ، أنا أتكبد أقل الخسائر» . ونظرت نحو بوارو ثم قالت فجأة بعنف: «لا تهتم كثيرا بشأني ياسيد بوارو ، أنا أقصد أنك تهتم كثيرا بشأني ، أليس كذلك» . فقال بوارو : «نعم يا آنسة ، أنا أهتم كثيرا بشأنك» . فقالت له : «ولكن لم يخطر ببالك أن تدعنى أفلت؟» فقال بوارو بكل هدوء : «لا» . وأومأت برأسها موافقة له ثم قالت : «لا، لا فائدة أن أكون إنسانية عاطفية . يمكن أن أفعلها مرة أخرى ... لم يبق لى أى نوع من الأمان . إنى أشعر بذلك فى قرارة نفسى ... إن قتل الناس سهل جدا ... وسرعان ما تبدأ فى الشعور بأن ذلك لا يهم ... إنك أنت وحدك الذى تهتم بذلك ! وهذا بحد ذاته شىء خطير ... إنه شىء خطير» .

وتوقفت عن الكلام ثم قالت وهى تبتسم ابتسامة ضئيلة الحجم : «لقد فعلت قصارى جهدك معى ، وأنت تعرف . فى تلك الليلة فى مدينة أسوان ... أنت أوصيتنى ألا أفتح

قلبى للشر ... هل كنت أنت تدرك آنذاك كل ما كان يدور فى ذهنى ؟» وهز بوارو رأسه ثم قال : «كنت أعرف فقط أن ما أوصيتك به صحيح» . فقالت : «كان ما قلته لى صحيحا ... ولقد كان يمكن أن أتوقف ، وبعد ذلك ، أنت تعرف أننى كنت تقريبا قد توقفت ... وكان يمكن لى أن أخبر سيمون أننى لن أستمر فى تنفيذ الخطة ... ولكن ، بعد ذلك ، ربما ...» وتوقفت عن الكلام ثم قالت بعصبية : «هل تحب أن تسمع كل شيء من البداية ؟» فقال بوارو : «لو كنت تتفضلين بأن تخبرينى عن كل شيء من البداية يا آنسة» . فقالت : «أنا أعتقد أننى أريد أن أخبرك . لقد كان كل شيء بسيطا كل البساطة ، فى حقيقة الأمر . أنت تعرف أن سيمون وأنا كانت تربطنا علاقة عاطفية...» .

ولقد كانت تلك الجملة التى استهلت بها چاكلين كلامها جملة بسيطة فى واقع الأمر ، ولكنها كانت تخفى تحت بساطة نغمتها أصداء تتجاوب مع أصداء أقوى منها صدًى وأبعد منها مدًى ...

وقال بوارو بعفوية : «وبالنسبة إليك كان الحب يكفى ... وبالنسبة إليه لم يكن الحب يكفى!» فقالت چاكلين : «ربما تستطيع أن تضع المسألة على هذا النحو . ولكنك لا تفهم سيمون فهمًا جيدا . أنت تدرك أنه كان دائما فى حاجة ماسة إلى المال بشكل مخيف .. إنه يحب كل الأشياء التى يشتريها المال - الخيول واليخوت والألعاب الرياضية - وكل الأشياء الجميلة ، الأشياء الجميلة كلها . وهى كلها أشياء يحبها الناس كلهم . ولم يكن يستطيع أن يحصل على أى شيء منها ... إنه إنسان بسيط جدا . سيمون بسيط جدا. إنه يريد الأشياء كما يرغب فيها طفل صغير- أنت تعرف مثل هذه الأمور . إنه مثل طفل صغير إلى حد مخيف . وهو فى نفس الوقت لم يحاول أبدا أن يتزوج من أى امرأة غنية غبية بغيضة . إنه لم يكن من ذلك النوع من الرجال . والتقينا و - .. وحدثت الأحداث . كل ما هنالك أننا لم نكن نعرف متى يمكن لنا أن نتزوج . كان يمارس عملا لا بأس به، ولكنه فقد ذلك العمل . وكانت تلك غلطته على نحو ما . ولقد حاول أن يقوم بعمل بارع لكى يكسب بعض المال ، وحصل على ذلك العمل بسرعة . وأنا فى حقيقة الأمر لست أعتقد أنه كان يريد حقا أن يكون غير أمين . إنه كان يعتقد فحسب أن الناس يفعلون ذلك فى المدينة» . وظل بوارو مستمرا فى الصمت . واستطردت چاكلين تقول : «هكذا كانت تمضى الأمور ضدنا . وأخذت أفكر فى لينيت وبيتها الريفى ، واندفعت ذاهبة إليها . وأنت تعرف ياسيد بوارو أننى كنت أحب لينيت ، حقا ، كنت أحبها . لقد كانت أفضل صديقة لى . ولم يدر فى أحلامى أن أى شيء غير لائق يمكن أن يكون بيننا . وكنت أفكر فقط فى أنها محظوظة إلى حد كبير لأنها كانت غنية . وكان يبدو لى أن كل شيء سيكون على ما يرام لو أنها منحت وظيفة يعمل بها

سيمون . وكانت هى فى غاية اللطف والكرم فى هذا الشأن وطلبت منى أن أجعل سيمون يحضر لمقابلتها . وكان ذلك تقريبا عندما قابلتنا أنت فى تلك الليلة فى ملهى «شيماتانت» لقد كنا نقيم احتفالا لم نكن نملك تكاليفه» .

وتوقفت چاكلين عن الكلام ، وتنهدت ثم استمرت تقول : «إن ما سوف أقوله الآن صحيح تماما ياسيد بوارو . وحتى لو كانت لينيت قد ماتت فإن هذا لا يغير من الحقيقة أى شىء . وهذا هو السبب فى أننى آسفة كل الأسف من أجلها الآن . لقد استمرت فى غيها لكى تأخذ سيمون لنفسها وتحرمنى منه . هذه هى الحقيقة التى لا مراء فيها بأى حال من الأحوال ! وأنا لا أعتقد أنها قد ترددت فى ذلك لمدة دقيقة واحدة . كنت أنا صديقتها ، ولكنها لم تعبأ بذلك . لقد مضت فى طريقها مصممة أن تنتزع سيمون منى بكل جرأة دون أن تعبأ بأى شىء ... وسيمون لم يكن يحبها على الإطلاق ! لقد تحدثت إليك كثيرا من قبل عن الافتتان ، افتتانه بها ، ولكن ذلك لم يكن صحيحا . إنه لم يكن يريد لينيت . كان يعتقد أن شكلها جميل ، ولكنها امرأة متسلطة ! كان الموضوع فى جملته مثيرا بالنسبة إليه بشكل مخيف ، ولكنه لم يكن يحب التفكير فى أموالها ... وأنا بالطبع قد رأيت ذلك كله ... وفى النهاية اقترحت عليه أنه من المناسب أن يتخلص منى ليتزوج لينيت . ولكنه رفض الفكرة ، وقال سواء كان هنالك نقود أو لم يكن هنالك نقود، فالجحيم هو أن يتزوج لينيت . وقال إن فكرته عن النقود كانت تنحصر فى أن يكسب هو النقود بنفسه وليس أن تكون له زوجة غنية تمسك كيس النقود وتتحكم فيه . وقال لى : «إننى على هذا النحو أكون مثل الأمير كونسورت الملعون» . وقال لى أيضا إنه لا يريد أى امرأة سواى» ...

ثم استطردت چاكلين تقول : «أنا أعتقد أننى أعرف متى جاءت الفكرة فى ذهنه. لقد قال لى ذات يوم : «لو صادفنى الحظ فأنا أتزوجها ، ثم تموت فى غضون عام واحد وتترك لى كل أموالها» . وظهرت نظرة غريبة فى عينيه . وكانت تلك هى أول مرة يفكر سيمون على هذا النحو ... واستمر يتحدث عن هذه المسألة ويقلب المسألة على وجهها ، كان يتحدث محبذا أن تموت لينيت ويقول : سيكون ذلك ظرفا مناسبا . وقلت إن تلك كانت فكرة مخيفة وتوقف عن الحديث عن ذلك وضحك وقال : «لا مكسب دون مغامرة . إن هذه تقريبا هى المرة الأولى فى حياتى أقترب فيها من أن ألمس كمية كبيرة دسمة من النقود» . وبعد قليل من الوقت وجدت أنه قد حزم أمره واتخذ قراره . وكنت أنا خائفة مرتاعة . لأنه ، كما تدرك ، كنت متأكدة أنه لا يستطيع أن ينجح فى تنفيذ مثل هذه العملية إلى النهاية . إنه ساذج سذاجة طفل بسيط . ليس لديه الجلد وقوة التحمل ، وليس لديه قدرة على تخيل كيفية تنفيذ أى عملية معقدة . ربما كان يعتقد أنه يكفى أن يدس لها كمية من الزرنيخ فى طعام أو شراب ويفترض أن الطبيب سيقول إنها ماتت بسبب التهاب فى

المعدة . إنه كان دائما يعتقد أن الأمور ستمضى كما يشتهى . ولذلك كان يتحتم أن أشترك فى المسألة أنا أيضا لكى أرعى مصالحه وأحافظ عليه» .

كانت چاكلين تتكلم بكل بساطة ولكنها كانت تتكلم بصدق . ولم يكن بوارو لديه أى شك فى أن الدافع لديها كان بالضبط كما صورته كلماتها . إنها هى نفسها لم تكن تشتهى نقود لينيت ريدچواى أو تطمع فى الحصول عليها . ولكنها كانت فقط تحب سيمون دويل ، كانت تحبه حبا يفوق حدود العقل وحدود ما يصح وحدود ما لا يصح .

واستطردت چاكلين تقول : «وجعلت أفكر ثم أفكر محاولة أن أضع خطة للعمل . وبدا لى أن أساس الفكرة كان ينبغى أن يكون نوعا مزدوجا من إثبات الوجود فى مكان آخر غير مكان الجريمة وقت حدوث الجريمة . وأنت تدرك - أنه لو أن سيمون وأنا كان باستطاعتنا على نحو ما وبطريقة ما أن يكون كل منا فى مكان آخر غير مكان الجريمة وقت حدوث الجريمة سيكون ذلك هو الطريق الوحيد لكى ننجو معا من أى اتهام يثار ضد أى واحد منا بشأن الجريمة . وكان من السهل بالنسبة لى أن أتظاهر بأننى أكره سيمون . كان ذلك شيئا محتمل الحدوث نظرا للظروف التى مرت بنا . وبعد ذلك ، لو قتلت «لينيت» فمن المحتمل أن أكون أنا متهمة بقتلها . ولذلك كان من الأفضل أن أخرج من دائرة الاتهام . ودرسنا التفاصيل شيئا فشيئا . وكنت أنا أريد وأرغب فى أنه لو سارت الأمور على غير ما يرام فى أى جزئية من جزئيات العمل ، فسأجعلهم يأخذوننى أنا ولا يأخذون سيمون . ولكن سيمون كان منزعجا بشأنى .

والشىء الوحيد الذى سررت به أنه لم يكن يتعين علىّ وفقا لخطتنا أن أقتلها بنفسى. إننى ببساطة لم أكن أستطيع ذلك ! لم أكن أستطيع أن أذهب بدم بارد لكى أقتلها وهى نائمة ! أنت تدرك أننى لم أكن قد سامحتها - وأنا أعتقد أننى كنت أستطيع أن أقتلها وجها لوجه - ولكن ليس بتلك الطريقة الأخرى ، وهى نائمة .

«ولقد دبرنا كل شىء بعناية ، لدرجة أن سيمون ذهب وكتب الحرف الأول من اسمى بالدم ، وكان ذلك شيئا سخيفا إلى حد مأساوى ، ولكنه من نوع الأشياء التى تتفق مع قدرته المتواضعة على التفكير . ولكن انتهى كل شىء نهايته المحتومة» .

وأومأ بوارو برأسه ثم قال : «نعم ، لم تكن غلطة منك أن لويز بورچيه لم تستطع أن تنام فى تلك الليلة ... وماذا بعد هذا يا آنسة ؟» .

ونظرت فى عينيه ثم قالت : «نعم ، كان ذلك شيئا مريعا إلى حد كبير ، أليس كذلك ؟ وأنا لا أستطيع أن أتصور أننى قد فعلت ذلك . وأنا أعرف الآن ما كنت أنت تعنيه عندما قلت لى أننى أفتح قلبى للشر ... وأنت تعرف جيدا كيف حدث ذلك .

لقد جعلت لويز سيمون يتأكد أنها كانت تعرف القاتل . وجعلك سيمون تستدعينى للحضور عنده . وعندما انفرد بى ليسر لى شيئا ما ، أخبرنى ما يجب أن أعمله . ولم أكن أشعر بالخوف فقط بل كنت أشعر أننى أموت من شدة الخوف ... هذا هو الشعور الذى يغلف الإقدام على القتل . لقد كان سيمون فى مأمن من الاتهام . وكنت أنا أيضا فى مأمن من الاتهام فيما عدا ما يتصل بهذه الفتاة الفرنسية التى كانت تريد ابتزاز أموالنا . كانت تريد أن تأخذ كل النقود التى معنا . وتظاهرت بأننى مضطرة إلى الاستسلام لمطالبها . وبعد ذلك ، وبينما كانت تقوم بإحصاء النقود – فعلتها! وكان ذلك فى غاية السهولة . ذلك القتل الذى كان يرعبنى قبل الإقدام عليه كان فى غاية السهولة عندما أقدمت عليه ... وحتى ذلك الحين لم نكن قد وصلنا شاطئ الأمان والاطمئنان . كانت السيدة أوتربورن قد شاهدتنى . ومضت وهى تشعر بكل مشاعر الفوز لكى تقابلك أو تقابل الكولونيل ريسى . ولم يكن عندى متسع من الوقت للتفكير . وتصرفت بسرعة البرق . وكان ذلك مثيرا كل الإثارة . وكنت أعرف أنها مسألة حياة أو موت فى هذه المرة . وكان هذا الشعور يحدد مصير المسألة...» .

وتوقفت چاكلين عن الكلام برهة ثم قالت : «هل تتذكر عندما أتيت أنت إلى الكابينة الخاصة بى بعد ذلك ؟ لقد قلت إنك لم تكن متأكدا لماذا جئت عندى . ولقد كنت أنا فى غاية البؤس ، يفترسنى الخوف . وكنت أظن أن سيمون سيموت...» .

فقال بوارو : «وكنت أنا أتوقع ذلك» . فقالت چاكلين : «نعم ، كان الموت هو الحل الأفضل بالنسبة إليه» . فقال بوارو : «لم يكن ذلك هو ما فكرت فيه» . ونظرت چاكلين نحو وجهه الجاد ثم قالت : «لا تعبأ كثيرا بمصيرى ياسيد بوارو . وعلى كل حال ، لقد عشت أنا حياة بالغة القسوة كما تعرف ، ولو أننا كنا قد نجحنا فى خطتنا لكان من المحتمل أن أعيش حياة سعيدة وأن أستمتع بأشياء كثيرة ، وربما لم أكن لأندم على أى شيء . أما وقد آلت الأمور إلى ما آلت إليه – حسنا ، لم يبق إلا أن أواجه مصيرى . إننى أعرف أن الحارسة موجودة لحراستى حتى لا أشنق نفسى أو أتناول قرصا شديد المفعول فيه سم زعاف كما يفعل الناس ذلك فى كثير من الروايات الخيالية . ولا حاجة بك إلى الخوف من ذلك . أنا لن أفعل ذلك. ستكون الأمور أكثر سهولة بالنسبة إلى سيمون لو أننى كنت أقف بالقرب منه» .

ونهض بوارو واقفا . ونهضت چاكلين واقفة أيضا ثم قالت وهى تبتسم ابتسامة مفاجئة: «هل تتذكر عندما قلت لك إننى يجب أن أسير حيثما يسير بى النجم الخاص بى ؟ وقلت أنت لى : من الجائز أن يكون نجمى نجما زائفا . وقلت أنا لك: «إنه نجم بالغ السوء ، لقد هوى النجم» .

وصعد بوارو إلى سطح الباخرة وصوت ضحكاتها يرن فى أذنيه.



الفصل الثلاثون

وصلت الباخرة إلى مدينة «الشلال» عند مطلع الفجر . وكانت الصخور القاتمة اللون تنحدر بشدة نحو حافة مياه النهر ملفوفة فى الضباب والندى وبقايا ظلام الليل الذى كان يوشك على الرحيل ليفسح الطريق أمام أضواء النهار .

وتمتم بوارو يقول : «ياله من بلد!» وكان ربسى يقف إلى جانبه فقال : «حسنا ، لقد قمنا بعملنا . ولقد اتخذت الترتيبات أن يصل «ريشتى» إلى الشاطئ أولا . وأنا مسرور أننا قد أمسكنا به . لقد كان رجلا مراوغا كل المراوغة . وأنا أقول لك إنه كان قد أفلت من أيدينا عشرات المرات من قبل . ويجب أن نحصل على محفة طبية لنقل «دويل» . لقد تضعضعت قواه» .

وقال بوارو : «ليس هذا صحيحا . هذا النوع الصبيانى من المجرمين هش القوام على الدوام . وحالما تنفقئ فقاعة غروره واعتداده بنفسه ينتهى أمره . إنهم ينهارون كما ينهار الأطفال الصغار» .

قال ريسى : «إنه يستحق الشنق . إنه نذل بارد الدماء . إننى حزين من أجل البنت- ولكن لا يمكن عمل شىء لإنقاذها» . وهز بوارو رأسه وهو يقول : «يقول الناس إن الحب يبرر كل شىء ، ولكن ، ليس هذا صحيحا ... النساء اللائى يهمهن شأن الرجال كما كانت چاكلين تهتم بشئون سيمون خطيرات كل الخطورة . ولقد كان ذلك هو ما قلته لك عندما شاهدتها لأول مرة . إنها تهتم بشئونه على نحو يفوق الحدود ، تلك البنت الصغيرة ! هذا صحيح» .

وجاءت كورنيليا روبسون ووقفت بجوار بوارو . وقالت : «أوه ، لقد وصلنا على وجه التقريب» . وتوقفت لمدة دقيقة أو دقيقتين ثم قالت : «لقد كنت أنا معها» . فقال بوارو : «مع الآنسة دى بلفورت؟» فقالت كورنيليا : «نعم ، لقد شعرت أنه شىء مريع بالنسبة لها أن تظل محبوسة وحيدة من حارستها . وابنة عمتى مارى غاضبة منى لهذا السبب . وأنا آسفة» .

وكانت الآنسة ڤان شويلر تتقدم نحوهم ببطء شديد . وكان الغضب واضحا فى عينيها وهى تقول : «ياكورنيليا ، لقد صدر منك تصرف أخرق . أنا سأعيدك فى أقرب فرصة إلى أرض الوطن» . فقالت لها كورنيليا : «أنا آسفة يا ابنة عمى مارى .

أنا لن أعود إلى أرض الوطن ولكننى سأتزوج» . فقالت العانس العجوز : «إذن فقد تسرب العقل داخلا إلى رأسك أخيرا» .

ووصل فيرجسون إلى سطح الباخرة أيضا وهو يقول : «يا كورنيليا ، ما هذا الذى أسمعك تقولينه . إنه غير صحيح!» فقالت كورنيليا : «إنه صحيح كل الصحة . أنا سأتزوج الدكتور بسنر . لقد طلب منى الزواج فى الليلة الماضية» .

فقال فيرجسون بعنف : «ولماذا تتزوجينه ؟ هل تتزوجينه بكل بساطة لأنه غنى ؟» فقالت كورنيليا : «لا ، أنا لا أتزوجه لهذا السبب . أنا أحبه . إن قلبه مملوء بالحنو والمحبة . وهو يعرف الكثير . وأنا كنت دائمة الاهتمام بالناس المرضى وبعيادات الأطباء ، وأنا سأنعم بحياة رائعة مدهشة جميلة معه» . فقال فيرجسون بكل عنف : «هل أنت تريدين أن تقولى أنك تفضلين أن تتزوجى هذا الرجل العجوز المقزز المظهر عن أن تتزوجينى أنا ؟» .

فقالت كورنيليا : «نعم ، أنا أفضله عنك . أنت لا يمكن لى الاعتماد عليك . وأنت لن تكون من النوع المريح لكى أعيش معك . وهو ليس طاعنا جدا فى السن . إنه لم يبلغ الخمسين من العمر حتى الآن» . فقال فيرجسون بمرارة : «إنه يعانى من مرض فى المعدة» . فقالت كورنيليا : «حسنا ، لقد درست الموضوع . وشكل الإنسان لا يهم . وهو يقول إنه حقا أستطيع أن أساعده فى عمله . وهو سيعلمنى كل شىء يتصل بفنون التمريض» . وتحركت كورنيليا مبتعدة عن المكان . وقال فيرجسون مخاطبا بوارو : «هل تعتقد أنها تعنى ما كانت تقوله ؟» فقال بوارو : «نعم ، بالتأكيد» . فقال فيرجسون : «هل هى تفضل هذا الشخص العجوز الممل المنتفخ عنى ؟» فقال بوارو : «دون أى شك» . فقال فيرجسون : «البنت مجنونة» . فقال بوارو : «إنها امرأة لها عقل حصيف . وربما كانت هذه هى المرة الأولى التى تصادف فيها امرأة من هذا النوع» .

ودخلت الباخرة إلى المرسى . وكانت هنالك دائرة من رجال الشرطة تحيط بالمسافرين . وكانوا قد وصلوا لأن إشارة كانت قد صدرت إليهم من الباخرة .

وكان «ريشتى» يمشى على الشاطئ بين حارسين ووجهه مكفهر ومتورم . وبعد برهة ، تم إحضار محفة طبية ، وحمل عليها سيمون دويل من فوق سطح الباخرة إلى الشاطئ . وكان يبدو رجلا آخر يرتجف من الخوف ، وكان غروره الصبيانى كان قد تلاشى وتبدد ولم يبق له أى أثر . وكانت جاكلين دى بلفورت تمشى وراءه . وكانت الحارسة تمشى بجوارها . وكانت جاكلين شاحبة الوجه ، وفيما عدا شحوب

الوجه كانت كالعهد بها . وعندما وصلت إلى المحفة الطبية قالت : «مرحبا يا سيمون» . ونظر سيمون نحوها بسرعة . وعادت مسحة الطفولة لتكسو وجهه وقال : «لقد أخطأت . طاش منى العقل ، وضاع كل شيء . أنا آسف ياچاكى لقد ضيعت لك آمالك» . وعندئذ ابتسمت چاكلين فى مواجهته وهى تقول : «وهو كذلك ياسيمون . كل شيء على ما يرام . كانت لعبة حمقاء. وخسرناها . وهذا هو كل ما فى الأمر» .

ووقفت چاكلين عن السير بينما كان رجلان يحملان المحفة . وانحنت چاكلين لتربط حذاءها المفكوك الرباط . ثم ارتفعت يدها من الحذاء إلى جوربها ، ثم استوت واقفة وكان فى يدها شيء ما . وكان هناك صوت انفجار ، وارتجف جسد سيمون دويل ثم رقد وقد سكن جسمه سكونا تاما .

وأومأت چاكلين دى بلفورت برأسها راضية عما فعلت . ووقفت ساكنة هادئة لمدة دقيقة، والمسدس فى يدها . وابتسمت وهى تتجه بوجهها نحو بوارو .

وقفز ريسى مندفعا إلى الأمام . وأدارت چاكلين دى بلفورت المسدس الذى كان يلمع فى يدها نحو قلبها وضغطت الزناد . وسقطت فوق الأرض مثل الكومة الناعمة. وصاح ريسى: «من أين حصلت على هذا المسدس؟» .

وشعر بوارو أن يدا توضع فوق ذراعه وقالت له السيدة ألرتون بهدوء : «أنت – هل كنت تعرف؟» وأومأ بوارو برأسه ثم قال : «كان عندها مسدسان . ولقد تحققت من ذلك عندما سمعت صوت ذلك المسدس الذى كنا قد عثرنا عليه فى حقيبة يد روزالى أوتربورن يوم قمنا بإجراء التفتيش . وكانت چاكلين تجلس إلى نفس المنضدة مثل كل الموجودين . وعندما عرفت أننا سنقوم بالتفتيش ، دسّت المسدس فى حقيبة يد الفتاة التى كانت تجلس بجوارها . وفيما بعد ذهبت إلى كابينة روزالى واستعادت المسدس بعد أن ألهت روزالى بالمقارنة بين بعض الحاجيات . وحيث إن الكابينة الخاصة بها كان قد تم تفتيشها فلم يكن لديها ما تخشاه من استعادة مسدسها مرة أخرى» .

وقالت السيدة ألرتون : «هل كنت أنت تريد لها أن تسلك هذا المسلك ؟» فقال بوارو: «نعم ، ولكنها لم تكن لتسلك هذا المسلك بمفردها . وهذا هو السبب فى أن سيمون دويل قد مات بطريقة أسهل من الطريقة التى يستحقها» .

وارتجفت السيدة ألرتون وهى تقول : «إن الحب يمكن أن يكون شيئا مرعبا» . فقال بوارو : «وهذا هو السبب فى أن معظم قصص الحب إنما هى قصص مآس كبرى» .

واستقرت عينا السيدة ألرتون على كل من «تيم» الذى كان يقف بجوار «روزالى» فى ضوء الشمس وقالت فجأة وبكل حنان : «ولكن ، حمداً لله . السعادة لا تزال موجودة فى الدنيا» . وقال بوارو : «حمداً لله كما تقولين ياسيدتى . السعادة موجودة فى العالم» .

وكان المسافرون قد وصلوا إلى الشاطئ .

وفيما بعد تم نقل جثة كل من لويز بورجيه والسيدة أوتربورن من السفينة . وبعد ذلك تم نقل جثة لينيت دويل إلى الشاطئ . وبدأت البرقيات تتسابق إلى جميع أنحاء العالم لكى تنبئ الناس أن لينيت دويل التى كانت لينيت ريدجواى ، المشهورة، الجميلة ، الثرية قد ماتت ..

وقرأ «سير چورچ وود» النبأ وهو فى أحد النوادى فى مدينة لندن . وعرف «سترندال روكفورد» بالخبر بينما هو يعيش فى مدينة نيويورك . وسمعت «جوانا ساوثوود» النبأ» بينما هى فى سويسرا . وتناقش الناس حول «النبأ» فى نادى التيجان الثلاثة . وقال صديق السيد «برنابى» مايلى بالحرف الواحد : «حسنا ، لم يكن من العدل أن تحصل على كل الثروة» . وقال السيد «برنانى» بحدة وجفاء : «يبدو أن ذلك لم يحقق فائدة تذكر . يا لها من فتاة مسكينة!» .

ولكن بعد برهة من الوقت توقفوا عن الحديث بشأنها ، وتحولوا إلى مناقشة شأن من سيفوز بالجائزة القومية الكبرى ، وذلك لسبب بسيط سبق أن أشار إليه السيد فيرجسون فى نفس تلك اللحظة فى مدينة الأقصر فى مصر عندما قال : «ليس الماضى هو الذى يهم بل المستقبل هو الذى يهم» .

(تمت رواية جريمة على ضفاف النيل)